رسالة حب إلى شجرة النخيل

عبد المقصود السعيد عبد المقصود

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة حب إلي :

شجرة النخيل

عبد المقصود السعيد عبد المقصود

الطبعة الأولى

جمادى الآخــرة ١٤٣٠ هـ

يونيـــــــــو ٢٠٠٩ م

الإهـــــــــداء

** **إلي : روح والدي ووالدتي – رحمهما الله**

اللذان ربياني على حب العلم والمعرفة .

** **إلي : زوجتي الحبيبة**

التي ساندتني وآزرتني وتحملتني في رحلة الحياة .

** **إلي ولداي : منى ومحمد**

ثروتي من حياتي .

** **إلي حفيداي : بسملة وخالد**

مع تمنياتي لهما بمستقبل باهر زاهر .

.... إليهم جميعا .. مع أطيب تحياتي

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة الذاتيـة

للباحث – عبد المقصود السعيد عبد المقصود محمد

- مواليد مدينة المنصورة – محافظة الدقهلية– مصر في٢٩/١١/١٩٤٧م .
- بكالوريوس تعاون زراعي ه
- مهـندس زراعــي بالإدارة الزراعية بالمنصورة (سابقا) م

- أديــب وكاتــب وباحث تاريخي وإسلامي . نُشِر له منذ عام ١٩٦٦ العديـد من الأبحاث والمقالات والدراسات في عدد كبير من الصحف المحلـية بمـصر ، أهمها : صحف : الأهرام ، الأخبار ، القاهرة ، السياسي المصري ، رأي الشعب ، أخبار العمال ، جريدة الأسبوع ، الجمهورية ، أخبار الأدب ، الشروق الجديد وغيرهم .
- نُشِر له العديد من الدراسات الإسلامية والأدبية وسير الأعلام بجريدة صوت الأزهر المصرية.
- نُشِر له العديد من الدراسات الإسلامية والتاريخية بمجلات : الجديد – الثقافة الجديدة ، مجلة منبر الإسلام وجميعها مصرية ، المجلة العربية الـسعودية ، مجلة الفيصل السعودية ، مجلة الكويت الكويتية ، مجلة منار الإسلام الإماراتية .

نال عدد من الجواز وشهادات التقدير أهمها :

جائــزة القــصة القصيرة في مهرجان أدباء الأقاليم من مديرية الثقافة بمحافظة البحيرة عام ١٩٨٨م.

- جائزة القصة القصيرة من جماعة الأدب العربي في الإسكندرية في المهرجان الرابع عشر لأدباء الأقاليم عام ١٩٨٨م .
- فاز بجائزة جمعية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة النبوية فـي مسابقتها العلمـية الخامسة ، ببحثه المعنون : " الماء في القـرآن والسنة النبوية والعلوم الحديثة " في احتفالية أقيمت في ١٤ ذو القعدة ١٤٢٤هـ - ٧ يناير ٢٠٠٤م .
- فـاز بالجائزة المتميزة لوقف المستشار / محمد شوقي الفنجري لصالح خدمة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية ، بمـشاركة بنك فيصل الإسلامي ، والتي نظمتها لجنة الإعجاز العلمي برئاسة الأستاذ الدكتور / زغلول النجار بمجمع البحوث الإسـلامية بالأزهـر الـشريف عـن بحثه : " الحقائق العلمية المعاصرة في ضوء القرآن الكريم " وتسلم جائزتها في احتفالية بحـضور الإمـام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوي – شيخ الأزهر .

صدر له :

- الماء في القرآن والسنة والعلوم الحديثة ، المجلس الأعلى للشئون الإسـلامية ، وزارة الأوقـاف ، سلسلة دراسات إسلامية / العدد ١٢٦، ذو الحجة ١٤٢٦هـ - يناير ٢٠٠٦م .

من مؤلفاته أيضاً :

١- " صـيانة الإسـلام للنفس الإنسانية " بحث مقدم إلى مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية .

٢- " صحة الأسرة والمجتمع في ضوء السنة النبوية المطهرة " بحث

مقـــدم إلـــى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف مصر للنشر في سلسلة دراسات إسلامية .

٣- أصول الأمن الغذائي في القرآن الكريم ، بحث مقدم إلى المجلس الأعلي للشئون الإسلامية لوزارة الأوقاف مصر للنشر في سلسلة دراسات إسلامية .

٤- " الدكتور عبد القادر قط " .. وريادته النقدية دراسة أدبية .

٥- الحقائق العلمية المعاصرة في ضوء القرآن الكريم .

٦- " رسالة حب إلى شجرة النخيل " دراسة تاريخية ، علمية ، أدبية ، لغوية ، دينية عن شجرة النخيل .

تحت الإنجاز بإذن الله :

- التحديات التي تواجه العالم الإسلامي " مخطوط " .
- مفكرين غربيون .. لماذا أسلموا ؟
- من أعلام الأمة العربية في القرن العشرين .. " مخطوط " .
- " الخـــيل فـــي القرآن والسنة والأدب العربي " دراسة " دينية ، علمية ، أدبية ، تاريخية .
- محمد ﷺ نبي الرحمـــة .
- الخط العربي والكتابة : أعــــلام وتاريخ .
- ما نشر لي " بأخبار الأدب " والصحافة المحلية والعربية .

۞۞۞۞۞

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الأشجار : إنعام إلهي كبير ، وآيات كبرى تعجز الكلمات أمام إعجاز خلقها ، ويكفي أن نقول مع القائلين : أنها رئة العالم وسر حياة المخلوقات : فإخراجها للأكسجين اللازم للحياة وتنقيتها للجو بامتصاص ثاني أكسيد الكربون ، والذي إن ظل في الجو أدى إلى ارتفاع رهيب في درجة حرارة الأرض ، بسبب ذرات الكربون ، التي تحبس جزءا من الأشعة فوق الحمراء ، وهي تقوم بهذا العمل الفريد – على اختلاف أنواعها – في دأب لا يعرف التوقف أو الإبطاء أو السكينة، لتؤدي الدور الذي أُنيطَتْ به من قبل الخالق – جَلَّ في علاه – وذلك فضلا عن إثمارها ، وغذائها ، وأخشابها ، وخيراتها العديدة ، التي تكفل الهناء للبشرية ، والدواء والكساء والإيواء لتحقيق الأمن الغذائي والنفسي والاجتماعي لكل بني البشر.

" وهناك رأى يقول : أن الأشجار هي التي جعلت حياة البشر ممكنة على سطح الأرض عندما تشكلت – الأرض – منذ أكثر من أربعة آلاف وستمائة مليون سنة ، ولهذا كانت شعوب العالم القديم تعتقد بأنه عندما تكوَّنت الأرض ظهر في مركزها " الشجرة الأولى " أو "الشجرة المقدسة " ، ولذا شاعت في العصور القديمة عبادة الأشجار"[١].

---

(١) الأستاذ محسن حافظ ، تلك الأرواح الخضراء .. جذور ورموز ، مجلة=

وفي تتبعه التاريخي للأشجار المقدسة يقول أستاذنا محسن حافظ :

" فالجميز هو الشجرة المقدسة عند المصريين القدماء اعتقاد منهم بأن أرواح الموتى تحط بعد الوفاة على أشجار الجميز ، وأن ربة الجميز الآلهة " البقرة هاتور " تظهر بين الأغصان وترحب بالأرواح وتقدم لها الخبز والماء ، وفي جنوب شرق آسيا يعتقدون بأنه لا تلوذ بالأشجار إلا أرواح الذين ماتوا ميتة عنيفة ، ومن هنا ظهر الاعتقاد بضرورة غرس الأشجار في المقابر فكانت شجرة "السرور " هي شجرة المقابر الأولى في منطقة البحر المتوسط ، "الصنوبر " هو شجرة المقابر في الصين ، وشجرة " التين الهندي " أو " تين المعابد " هي الشجرة المقدسة في الهند ، وكانت الغابة بأشجارها هي مركز الإمبراطورية والعالم في الصين ، وعند قبائل " البلانزا " في أفريقيا وكانت "الكايلينا " هي شجرتهم المقدسة ، وقبائل الشاهان في تسيبيريا ، والأورنتا في أستراليا تعتقد أن الإنسان إذا تسلق الشجرة المقدسة ووصل إلى طرفها فإنه سيصل إلى السماء ، وفي اليونان والشعوب السلافية القديمة كان قطع الشجرة المقدسة أو جزء منها يعاقب بعقوبة واحدة فقط : " الموت " ، والتي لا تزال بقاياها حتى الآن موجودة في الهند والصين واليابان وغيرها" (٢).

ومن هنا شاعت فكرة " الغابات المقدسة ، والتي سادت بين

=العربي الكويتية ، العدد : ٤٤٢ ، سبتمبر ١٩٩٥م ، ص ١٣٩ .

(٢) مرجع سابق .

الإغـريق والـرومان وإيران وأفريقيا وأمريكا ، وأورد سيادته أن : " الـسومريون خـلال الألف عام الأولى قبل الميلاد كانوا يعبدون شجرة تـسمى " كسيكاند " ، وعلى " الاكروبوليس " نَمَتْ أشجار الزيتون التي غرسـتها " أثيـنا" ، وفـي ساحة روما نَمَتْ شجرة التين التي رضع " رومـولس " تحت أغصانها . وكان من المعروف قديما أنه عندما يولد طفل تغرس شجرة ، حيث ساد الاعتقاد بأنهما توأمان يتقاسمان مصيرا واحـد ، لـذا كانـت الأشجار تحظى برعاية شديدة لأن ذبولها يُعَرِّضْ توأمها – الطفل – للخطر " (١).

وبعـد نـزول الـديانات السماوية لهداية البشر وبيان الطريق لهم للإيمان نجد ذكر الأشجار والنباتات ، فإذا نظرنا في " سفر التكوين من الكتاب المقدس : الإصحاح (١ -٢ ،٦-٩ ، ٨-١) وجدنا النص التالي ، الـذي نجتـزئ منه : (ثم أمر الله لتتجمع المياة التي تحت السماء إلى موضـع واحـد ، ولتظهـر اليابسة ، وسمى الله اليابسة أرضا والمياه المجـتمعة بحارا ، وأمر الله : لتنبت الأرض عشبا وبقلا مبزرا وشجرا مثمـرا ..) وفـي القـرآن الكريم وردت كلمة شجر ومشتقاتها سبعا وعـشرين مرة ، جميعها بمعنى أشجار النبت ما عدا مرة واحدة جاءت بمعنـى : فوربك لا يعدون مؤمنين بالحق مذعنين له حتى يجعلوك فيما

---

(١) مرجع سابق .

شجر بينهم من نزاع وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ (٢).

هـذا فضلا عما ورد ذكره في الديانات السماوية الثلاث : تفصيلا وتحديداً بالاسم لشجرة النخيل ، وهو ما سنعرض له بشئ من التفصيل في الصفحات التالية من هذه الدراسة .

** ومـن هنا فإن الاهتمام بالأشجار نشأ منذ القدم حيث أدركت الإنـسانية مـنذ عصورها الأولى الفوائد الجمة التي تعود عليها نتيجة العناية بالأشجار .

ووسط سيل المعلومات التي تتدفق في عصرنا الحالي فإن الحديث عن :

شـجرة واحدة أو نوع من الأشجار يعد من باب وضعها في بؤرة الضوء .

وبتركيـز شـديد على تاريخنا وأهميتها اقتصاديا وغذائيا وإبراز عطائها الحضاري مقروناً فيما ورد عنها في الديانات السماوية ، خاصة فـي خاتمها : ديننا الإسلامي الحنيف ، الذي لم يقتصر على العبادات : كالصوم والصلاة والزكاة والحج فحسب بل استجابة للأمر الإلهي الوارد في مواضع كثيرة في القرآن الكريم بالتدبر والتأمل في أرجاء الكون ، وهـو مـا يرشد الإنسان إلى الهدف الأسمى من حياته على الأرض ،

---

(٢) سورة النساء الآية ٦٥ .

والتـــي يجب أن يكون التدبر والتأمل والبحث وإثراء المعرفة الإنسانية شغله الشاغل من أجل خيره وسعادته .

والأشجار أمة من أمم النباتات وآية من آيات الله التي تُسَبِّح بحمده وقدرتــه ، وإن لــم نَفْقَهْ تسبيحها ، فضلا عن دورها في الإلهام الأدبي للكــتاب الــشعراء والأدباء ، وبعثها لمواطن الجمال ، وتناول الإبداع الإلهــي في خلقها ، واستلهام الفكر الرمزي في الصورة القلمية : شعرا أو نثرا وهو ما يصنع قيماً رفيعة في نفس القارئ نتيجة فنيتها العالية ، وقــدرتها علــى الإيحاء والتأثير : باعتبار الصورة القلمية الأدبية التي يطرحها الكاتب فرعاً في عطاءه الأدبي تحمل بعضاً من سمات عطائه الفكري ، إن لم يكن كل السمات .

** وفي تلك البداية المعرفية للأشجار : نقدم هذا العمل :

رسالة حب إلى شجرة النخيل

والتـــي قــال عنها أستاذنا الجليل شوقي عبد الحكيم [(١)]. " الصديق الأول فـــي الصحراء ، ومانحة الحياة والأمل لسكانها ففي كل نواة من تمــراتها يــوجد خاتم سليمان : لأنه أول من دعا لها بالبركة وسماها " عَمَّتَنَا " فما أحوجنا إلى ثقافة النخيل بالغة العراقة :

يقول الرجل للنخلة : هل تريدين أن أُرَوِّيكِ اليوم؟ تقول النخلة : لا.

---

(١) ج الأهرام ، ٩/ ٥/ ١٩٩٥ .

فيقول لها : هل تريدين أن أُشَذِّبَ سَعَفَكِ اليوم ؟ تقول النخلة : لا .

فيقول لها : هل تريدين أن أُسَوِّيَ أَلْيَافَكِ اليوم ؟ فتقول النخلة : لا .

فيقول لها : ماذا تريدين إذاً ؟

تقول النخلة : أن تزورني مرة في اليوم "

وهانحن نزورك " يا عَمَّتَنا " عبر هذه الصفحات ، ونحتفي بكِ .... ونقدمك لأبنائنا وأحفادنا .

المنصورة : ربيع الثاني ١٤٢٤هـ .

يونيو ٢٠٠٣م

عبد المقصود السعيد عبد المقصود



الباب الأول

* النخيل وما له صِلَةٌ به في اللغة
* كُنَى النخيل في التراث العربي
* أمثال النخيـــل الشعبيـــــة
* النخيل أقـــدم الأشجـــــار
* التصنيــــف النباتـــــي
* أجنـــــاس النخيـــــــل
* أجـــزاء شجرة النخيـــل
* شجرة النخيل من البادرة حتى الإثمار

" ***النخيل*** " أحد أهم معالم الزراعة في عالمنا العربي ، وإن شئت فإنـــه : " كنـــز الثروة الذي لا نعلم عنه شيئاً ، فتركناه نهبا للعديد من المـــشاكل التي تؤثر على مستوياته الحياتية والإنتاجية فضلا عن العديد مـــن المـــشاكل التي تواجه زُرَّاعة في زراعته ورعايته ، وبيع إنتاجه وتخـــزينه وتـــوزيعه . ومـــن أجل الحفاظ على تلك " الثروة " وتجديد مـــنابعها، ونشر الثقافة المعرفية بقيمة ما نملكه ، ولفت الأنظار إليه : نقـــدم هـــذه المشاركة احتفاء بيوم " النخيل العربي " الخامس عشر من سبتمبر كل عام ، تقديراً لعطائها على مر الأزمان .

ويكفـــي في عصرنا الحاضر أن نشير إلى : أنها الشجرة الصامدة في وجه الحصار ، والتي أعانت شعباً عربياً على الصمود والمقاومة ، وأنقذت " العراق " من حصار الجوع طوال ما يزيد عن ستة عشر عاماً فكتبت له ولأبنائه : الحياة .

۞۞۞۞۞

الفصل الأول

النخيل وما له صلة به في اللغة

بـين دفائف " معاجم اللغة العربية " كنوز لغوية آثرة عن : النخيل ومـا لـه صـلة بـه ، تتـسم بقلة الألفاظ ، وكثرة المعاني والبلاغة، والشمولية، ينهل منها القارئ العاشق في حب وتأمل لمفرداتها وألفاظها مـا يـضيف إلـى قاموسه اللغوي ما يحقق له : ثراء فكرياً ، وإلهاماً إبداعـياً ، وَرُقِيًا حِسِّيًا ، بما تبعثه في شغاف روحه من مواطن الجمال والفكـر المعرفي ، ومن هنا يجئ حرصنا على رصدها : حفاظاً على اللغـة ذاتها ، وتجديداً لمفرداتها في حياتنا ، وما أوردناه ليس إلا قطرة من بحر دُرِّها الكامن في أعماقها :

(**النخلة**) فـي معاجم اللغة : شجرة من الفصيلة النخيلة كثيرة في بـلاد العرب (ج) : نخلٌ ، نَخِيلٌ . وقال : " أبو حاتم " النخيل مؤنثة لا اختلاف في ذلك ، وأما النخل فيذكر ويؤنث .

قال : نخل كريم ونخلة كريمة ، وفي القرآن الكريم ﴿ **أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ** ﴾ "من الآية ٢٠ سورة القمر " و ﴿ **أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ** ﴾ من الآية ٧ من سورة الحاقة ".

و(**أبَّرَ النخل**) : لقحهُ . والإبارة : حرفة من يأبر النخل .

و(**الأبَّار**) حرفة من يؤبر النخل .

(**البَتَلَةُ**) من النخل : الفسيلة التي انفردت عن أمها ، واستغنت بنفسها .

و (**البتيلُ**) من النخل : البتلة (ج) بتل .

و(**البتيلة**) من النخل : البتلة .

* (**البَرْدُيّ**) : نوع من جيد التمر .

* **فلانُ " النخلةَ بَسْرًا** ، وبِسَارًا : لقحها قبل أوان التلقيح .

و(**أبسر**) النخل : صار ما عليها بسرا .

و (**البُسْرُ**) ثمر النخل قبل أن يرطب .

* (**أبلحت**) النخلة : صار ما عليها بلحا .

* (**البلحُ**) ثمر النخل ما دام أخضر ، واحدته : بلحة .

* (**وسقَتِ**) النخلة – (تسق) وسقا : حملت .

* (**الجذع**) ساق النخلة ، ونحوها . (ج) أجذاع ، وجذوع .

* (**الجريدة**) : سعفة طويلة تقشر من خوصها .

* (**جَرَمَ**) : النخل ونحوه جرما وجراما : جنى ثمره .

* (**الجُرَامَةُ**) : مـــا سقط من التمر عند قطعه و– : ما ترك من التمر على الكرب . و– ردئ التمر المجروم .

* (**الجَريمُ**) : التمر المجروم . و– : التمر اليابس .

* (**أجْرَنَ**) الحب أو التمر : وضعه في الجرن .

* (**جَزَّ**) النخلة – جزا ، وجزازاً : قطع ثمارها .

* (**أجَزَّ**) النخل ونحوه : حان أن يقطع ثمره .

* (**الجَشَّاءُ**) : الأرض السهلة ذات الحصى تستصلح لغرس النخل .

* (**الجَعُلَهُ**) : الفسيلة . (ج) جعل .

* (**الجُلَّةُ**) : قُفَّةُ التمر .

* (**جَمَّرَ**) الرجل : قطع جمار النخل . ويقال : جمر الرجل النخل .

* (**الجُمَّار**) : قلب النخلة . واحدته : جمارة .

* (**الجُمْرة**) : الكتلة من التمر .

* (**الجنة**) : الحديقة ذات النخل والشجر . (ج) جنان .

* (**الحابول**) : حبل يصعد به على النخل .(ج) حوابيل .

* (**الحَتُوتُ والمحتاتُ**) : من النخل : ما تساقط بسره .

* (**الحَتِيُّ**) : تفل التمر وقشوره .

* (**أحْرَبَ**): النخل : أخرج حربه . و– الرجل النخل : لقحه بالحرب.

* (**الحُشُّ**) : البستان . و– النخل المجتمع .

* (**أخْشَفَ**) النخل : صار تمراً خشفاً يابساً .

* (**الحَشَفُ**) من التمر : أردؤه ، وهو الذي يجف ويصلب ويتقبض قبل نضجه فلا يكون له نوى ولا لحاء ولا حلاوة ولا طعم .

* (**حَشَكَ**) النخلة : كثر حملها .

* (**الحَصَلُ**) : البلح قبل أن يشتد .

* (**الحَضِيرَةُ**) : موضع حفظ التمر . " الجرين ، الجرن "

* (**الحُمَرُ**) : التمر الهندي . و- : نوع من العصافير .

* (**الخبيصُ**) : الحلـواء المخبوصة من التمر والسمن . (ج) أخبصة و(**الخبيصة**) : القطعة من الخبيص .

* (**خَزَّ**) التمر – خزا : كان فيه شئ من الحموضة . فهو خازٌ .

* (**إنخفعت**) النخلة : إنقلعت من أصولها .

* (**أخْوَصَتِ**) النخلة : تشققت عن الخوص فبَدَا .

و(**خَوّصَت**) الفـسيلة : انفـتحت سـعفاتها . ويقال : خَوّصَت النخلة : أوْرقَت .

- (**الخوص**) : ورق النخيل وما شاكلها .
- (**الدِّبْسُ**) : عسل التمر .
- (**الرُّبُ**) : خُثَارَةُ التمر المطبوخة . (ج) رُبُربُ وربابُ

- **(المِرْبَدُ)** : المكان الذي يجفف فيه التمر .(ج) مرَابِدُ .
- **(رَطَبَ)** البُسْرُ – رطابة : صار رُطَباً
- **(الرُّطَبُ)** : نضيج البُسْر قبل أن يصير رطبا ، وذلك إذا لان وحَلاَ . أو ثمر النخل إذا أدرك ونضج قبل أن يصير تمرا (ج) أرَطابُ ، ورطَابُ ، والواحدة . رُطَبة .
- **(الزغلول)** : ضربُ من البلح بمصر أحمر حُلْوُ ضخم
- **(السَّبَاطة)** : عرجون النخل يكون فيه ثمرة .
- **(المْسَطحُ)** : الجرن يبسط فيه التمر ويجفف .(ج) مَسَاطِحُ .
- **(السَعْدَانُ)** : شوك النخل .
- **(السَّعَفُ)** : جريد النخل . وورقه . و– : ورق النخل اليابس .
- **(السُلاَّءُ)** : شوك النخلة . واحدته : سُلاَّءَةُ .
- **(الشمروخ)** : العرجون عليه بُسْرُ . (ج) شماريخ .
- **(الشَّيصُ)** : تمر لم يتم نضجه ، لسوء تأبيره أو لفسَاد آخر .
- ويقال للنخلة إذا طالت جداً وذلك عند هرمها : رقَلَةُ . وجمعها: رَقَلُ ورقالُ . وهي الصَّوادي والسُّحُقُ واحدتها : صادية وسحوق .
- و**(الصَّوادي)** : جمع صادية وهي النخلة التي لا تسقى وإنما تشرب

بعروقها . كقول إمرئ القيس :

وقد سُمِّيَتْ باسم امرئ القيس قريةُ

كِـــرَامُ صوَاديها لئامُ رجالها .

- **(صيَّصَتَ)** النخلة : أثمرت الصيَّص .

(الصِّيص) التمر الذي لم يتم نضجه .

- (**أَطْلَعَ**) النخل : خَرَجَ طَلْعُهُ .
- (**الطَلْعُ**) : غـــلاف يشبه الكوز فينفتح عن حب منضود . فيه مادة إخصاب النخلة .
- (**العَجْوَةُ**) : ما يخلط من التمر بعضه ببعض ويُرْكَمْ .
- **(العُرجُون)** :العَـــذْقُ ، وهـــو مـــن النخل كالعنقود من العنب (ج) عراجينُ .
- (**العَسِيبُ**) : جـــريدة مـــن النخل المستقيمة يُكْشَطُ خُوصُها .(ج) عُسُبَانُ .
- **(الغَرِيسةُ)** : الفـــسيلة ســـاعة توضــــع في الأرض حتى تعلق (ج) غـــرائسٌ . والقـــول ينطـــبق علــــى كـــل ما يغرس من الشجر في (المَغْرِس): موضع الغرس .
- **(الغَرِيضُ)**: الطَّريُ من اللحم والتمر ونحو ذلك .

- (**الفَتِيلُ**) : الخيط الذي في شِقّ النواة .
- (**فَسَقَتِ**) : الرطبة عن قشرها – فسقاً وفسوقاً : خرجت منه .
- (**فسل**) الفسيل – فسلا : غرسه .
- (**الفسيلة**) : الـــنخلة الصغيرة تُقطع من الأم أو تقلع من الأرض فتغرس . (ج) فسائل .
- (**فَصَعَ**) الرطبة ونحوها–فَصْعًا : دلكها بإصبعية لتنفتح عما فيها .
- (**الفَصْلَةُ**) : النخلة المنقولة من موضعها .
- (**فَلَقَت**) النخلة – فَلْقًا : تشقق طلعها عن الحب المنضود فيه .
- (**الفلق**) : الشق و– : جذع النخلة ونحوه يشق إثنين فكل قسم فَلَقٌ (ج) فُلُوقٌ .
- (**المَقْطَفُ**) وعاء مجدول من خوص النخل وغيره يقطف فيه الثمر.
- (**قلب النخلة**) : جُمَّارُهَا .
- (**القَنْوُ**) : العذق بما فيهن الرطب (ج) أقناء ، وقنوان .
- (**الكِبَاسَةُ**) القَنْوُ التام من النخل بشماريخه وبُسْرُه (ج) كبائس .
- (**الكبيسُ**) : ضرب من التمر يُكْبَسُ بعضه في بعض .
- (**كَنَسَ**) الحصيد، والتمر والدراهم– كَنْسًا : وضع بعضها فوق بعض.

- **(كرنف)** النخلة : جرد جزعها من كرانيفه .
- **(الكرناف)** : أصـــول الكـــرب تبقى في الجذع بعد قطع السعف . الواحدة كرنافه . (ج) كرانيف .
- **(ألقح)** النخلة : أبَرَهَا . (لَقَّحَ) النخلة : أبرَّهَا.
- (**لَوَّزَ**) التمرة ونحوه : حشاه باللوز .
- **(الليف)** :قشر النخل الذي يجاوز السعف . الواحدة : ليفة .
- **(اللِّين)** : كل أنواع النخل ، الواحدة : لينة .
- **(مَرَسَ)** التمر في الماء – مَرْسًا : دَلَكَهُ حتى تتحلل أجزاؤه .
- **(أَمْرَطَت)** النخلة : سقط بسرها فهي ممرط .
- **(نَبَذَ)** التمر – نبذًا : صار نبيذا .
- **(نَبَّذَ)** التمر أو العنب ونحوهما : اتخذ منه النبيذ .
- **(النبيذُ)** : شراب مسكر يتخذ من عصير العنب أو التمر أو غيرهما . ويترك حتى يختمر . (ج) أنبذة .
- (**النضيجُ**) – يقال : تمر نضيج : ناضج .
- (**النضيدُ**) : المنضود . وفي القرآن الكريم : ﴿ والنخل باسقات لها طلعٌ نضيد ﴾.

- (**نوّى**) البسر : صار فيه نوى .

- **(النواة)** : عجم التمر والزبيب ونحوهما أو بذرة . والعامة تسمى " نـوى التمـر " : عبسا وتقول : فلان يعبس أي : يأكل التمر فليفظ العـبس أي : النوى . والنوى والعجم : من أسماء ما في التمرة . يقول " أبو النجم " :

- كأن في أذنابهن الشول من عبس الصيف قرون الايل

- **(هلب)** النخلة : نقى عنها الليف .

- (**وسقت**) النخلة – (يَسَقُ) وَسْقًا : حملت .

- ومـن أجمل ما حوته لغتنا العربية عن النخيل : قول " ابن منظور المعاصر :

- أَرقَلَ النخل وصار قحاما . ومعنى : ترقل : أي صارت طوالا .

- وقول كثير : حزبتُ لي بحزم فَيْده تُحْدَى

  كاليهودي من نطاة الرِّمَال

- حزِيّت : يعني الظعن أي : رفع شخوصها .

- كالـيهودي : أي كنخل اليهودي الرمال من نخيل نطاة ، وهي عين نجير عليها نخيل وتصير قحاما : يعني النخل. أي تكبر فيقل سعفها ويدِق أسفلها .

- والقحم : الشيخ الكبير .

*** ذلك قبس من ثروتنا اللغوية عن " شجرة النخيل وما له صلة بها " في بطون معاجمنا اللغوية ، لتكون للأجيال ذادا ترتشف من معينه ، مدركين أننا مهما :

غصنا فلن ندرك كل اللآلئ ، فثروتنا اللغوية دائبة الحركة عبر الأزمان والانتفاع بها وبثرائها : مهوى قلوب العرب وأفئدتهم في كل مكان وزمان .

كنى النخيل في التراث العربي

بنات بحنة :

ضرب من النخل طوال نسبت لامرأة كانت تسمى بحنة وكانت النخلات بفناء بيتها ، فكانت إذا سئلت عنهن قالت : هن بناتي، فقيل : بنات بحنة .

وفي " اللسان " بنات بحن ، وقيل هي السياط ، وبحنه : نخلة طويلة كانت معروفة بالمدينة شبهت السياط بها لطولها ، وهذا من كلام أهل المدينة ، ويقال للسوط الواحد : ابن بحنه وابن بُحينه لأن السوط مذكر فإذا جمع قيل : بنات بحنة ، لأن ما يضاف إلى ابن لغير الإنسان فإنه يجمع على بنات .

النخيل في تراث الشعوب

للنخيل ومنتجاته آثار عديدة في تراث الشعوب ، شاعت وانتشرت عبر الأجيال بانبثاقها من البيئة ، ولا تزال محتفظة بطابعها التراثي ، وخصوصيتها المحلية ، ومن بين تلك المآثر التراثية نذكر :

أ _ أمـــثال النخيل الشعبية : التى حفظتها الذاكرة وتناقلتها العقول جيلا وراء جيل ، فاتسمت بالحكمة والفصاحة ، وَبَيَّنَتْ مقدرة العقل العربـــى علـــى حُـــسْن التوظيف اللغوى للكلمات بما يخدم حياته وعاداته وتقاليده . ويحافظ على موروثه الفكرى والشعبى ، ومنها :

اشترى بدرهم بلح بَقَالُهْ فى الحى نخل

ويضرب المثل : للصبور المتحمل للكد والتعب والمعاناة لتنمية ماله وثـــروته ، وهو في سبيل ذلك يشتري بدرهم بلحا ، فيزرع نواه ، وينتظـــر حتـــى يصير نخلاً كبيراً كامل الإثمار : فيتحقق به ببيع تموره ومنتجات نخيله الثروة والمكانة .

- ومن أكثر الأمثال شيوعاً : قولهم :

ناس تأكل البلح وناس تتضرب بالشماريخ أو : " تِتْحَدِّفْ بالنوى "

* والمثل الشعبي :

" عنده مال والنخل حَمَّال "

* ومِن أشهر دعوات الناس لبعضهم دعاؤهـــم : ...

" يعطيك عمر النخل "

ب – النخيل وألعاب الأطفال :

حتـــى ألعـــاب الأطفال أمدتها النخلة بفيض عطاءاتها ، بعدما أيقن المـــوروث الـــشعبي أهميتها ، وضرورة تنشئة الأطفال على حبها والولع بها ، وهو هدف تربوي آثر يُعلي قيمة النخيل في نفوسهم ، ويكفي أن نشير إلى واحدة من أهم تلك الألعاب :

لعبة " عجام التمر " [1].

" تلك اللعبة اليمنية التي تؤكد أن اللعب حق للطفل يحقق له:

- الـــنمو الجـــسدي وتقـــوية العـــضلات واللذان يحققهما النشاط والحركة .
- تـــربوياً : مـــن خلال تعلم أشياء عديدة من خلال أدوات اللعب وأشـــكالها ، وألوانها ، وأحجامها ومهارات تجميعها وتصنيفها ... الخ
- اجتماعياً : حيث تبرز العلاقات بين الأطفال بأوجهها وأشكالها، وعلاقـــات الـــود والـــصداقة فتـــنمو في نفسية الطفل صلات

---

(١) أ/ علـــوي عـــبد الله طاهر ، ألعاب الأطفال في التراث اليمني الشعبي ، مجلـــة الفيـــصل السعودية ، العدد ٢٦١ ، ربيع الأول ١٤١٩ هـ – يوليو ١٩٩٨ م ، ص ٢٦٢ .

اجتماعـية عديدة بالإنخراط مع الآخرين والأخذ منهم والعطاء لهم ، والتفاعل المشترك مع مجموعات اللعب .

- أخلاقـياً : يكتـسب الطفـل مفاهيم الخطأ والصواب ، وبعض المعاييـر الأخلاقية كالعدل والصدق والأمانة وضبط النفس .. الخ

- إبداعـياً : تبـرز مـن خلال اللعب قدرات الأطفال الإبداعية والقـدرة على تطوير مهاراته ، والتمييز بين الألعاب المتعددة وتفـضيل إحداها على الأخرى فتنمو في نفسه قدرات الإبداع والتطوير والخيال .

- علاجـياً : يـؤدي اللعب إلى تصريف الطاقات المكبوتة لدى الأطفــال ويــزيل عنهم التوترات النفسية المتولدة نتيجة القيود الاجتماعـية التـي يفرضــها الأهل عليهم ، ولعلنا نلمس أن الكثيـرين مــنهم ممن يتعرضوا لتلك القيود : هم الأكثر لعباً وحركة في الشوارع والمدارس .

والعجــام : جمع عَجْمَة أو عجامة ، وهي نوى التمر ، وقد حَرَّفَتِ العامة لفظ عجامة إلى عجاجة لذلك يقولون " عجاج التمر " .

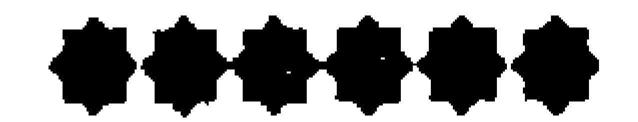
ولعــبة " عجام التمر " : لعبة شعبية محببة لدى الأطفال ، ويكثر لعبها في موسم البلح ، وطريقتها أن يقوم الأطفال بجمع عجام التمر مــن الطــرقات لتكون رأس مال في اللعبة وعندما يتجمع لدى كل

منهم كمية معينة من العجام ، يبدأ اللعب باجتماع الأطفال في مكان معين إلى جوار جدار ، ثم يتفقون على تحديد نوع اللعبة التي سيلعبونها بالعجام لأن هناك أنواعاً مختلفة من ألعاب عجام التمر ، نذكر منها واحدة هي " لعبة البيوت " وفيها يشرع الأطفال في بناء بيوت من عجام التمر التي جمعوها ، وذلك برص العجام بعضها فوق بعض إلى أقصى عدد ممكن يستطيعه اللاعب ، على أن يختم البناء بعجمة واحدة يضعها في أعلاه للدلالة على اكتمال البيت ، بعد ذلك يبتعد اللاعبون مسافة معينة لا تقل عن عشرة أذرع أو بحسب تراضيهم ، فيرسمون خطاً لا يسمح بتجاوزه ثم يقف كل لاعب عند ذلك الخط ويرمي تلك البيوت بعجام التمر ، فإن أصاب بيتاً من تلك البيوت ، فإن ذلك البيت يصبح له ويستمر اللعب إلى أن تسقط جميع البيوت واللاعب الفائز هو الذي يستولي على أكثر البيوت ، وبعدها إما يكرروا اللعبة أو يمارسون لعبة أخرى بتلك العجام ذاتها .

- ومن ألعاب عجام التمر الأخرى اللعبة التالية :

يلتقي لاعبان ويحفر كل منهما لنفسه عدداً من الحفر الصغيرة بحسب ما يتم الاتفاق عليه ، ثم يوزع كل منهما عجامه على الحفر الصغيرة بالتساوي ، بعدها يبدأ أحدهما من طريقة القرعة بأخذ العجام من إحدى الحفر الخاصة به ، ويقوم بتوزيعها على جميع الحفر بحيث يضع عجامة واحدة في كل حفرة إلى أن ينتهي العجام

الــذي بيده ، فيأخذ ما في الحفر التالية لآخر حبة ، ويكرر العملية إلى أن تنتهي عجامه عند حفرة تليها حفر فارغة واسعة ، وعندما يــستولى على جميع ما في الحفر المجاورة للحفرة الفارغة وتنتقل اللعبة لزميلة ، واللاعب الفائز هو الذي يحصل على عدد من عجام التمر أكثر من زميله " .



(الفصل الثاني)

النخيل أقدم الأشجار

شجرة النخيل من أقدم الأشجار التي عرفتها البشرية عبر مسيرتها الطـويلة في أعماق الزمان : " فقد وجدت حفريات لأوراق النخيل منذ عصر الزواحف " أي ما يقرب من حوالي ٢٤٠ مليون إلى ٦٣ مليون عام ، وثبت نموها في جميع أنحاء الكرة الأرضية ، وليس أدل علـى ذلـك مـن تلك الحفريات التي وجدت شمال جزيرة " جرينلاند " [١].

وقـد أمدتنا حفريات العصرين الأيوسيني والأوا.جوسيني في شمال أوروبا بالكثير من المعلومات عن تاريخ المجموعات النباتية، وفي مقدمـتها نـباتات الفصيلة النخيلية " والتي لا تنمو إلا في درجات الحـرارة العالـية ، ونستنتج من ذلك : ارتفاع درجة حرارة هذه المناطق في العصرين المذكورين عما هي عليه الآن .

وأوردت " موسـوعة مـصر القديمة " أنه : " عُثِرَ على بقايا من جـذوع الـنخل فـي مصر منذ العصر الحجري القديم العلوي في الواحة الخارجة . والواقع أنه كان يزرع في مصر منذ أقدم العهود ، وكانت تستعمل جذوعه في الأسقف ، وقد عثر على سقف مقبرة

---

(١) مجلة الكويت ، العدد ١٩١ ، جمادي الأول ١٤٢٠ هـ - سبتمبر ١٩٩٩م .

مــن فلــوق النخل في سقارة ، يرجع عهدها إلى الأسرة الثانية أو الثالثة ، وكذلك عثر على سقف من الحجر مقلدة عليه جذوع النخل فــي حفائــر الجامعة بمنطقة الأهرام بالجيزة من الأسرة الرابعة ، وفي مقبرة " بتاح حتب " بسقارة (١).

وتحدثت " الموسوعة " عن " نخيل الدوم " وهو أحد أجناس النخيل بقولها : " ونخيل الدوم : أول رسم عثر عليه لهذه النخلة وجد في مقبرة العظيم " كا إم نفرت " في عهد الدولة القديمة ، ولا شك أنها كانــت موجودة في مصر منذ عهد ما قبل الأسرات ، إذ عثر على بــذورها في مقابر البداري . وفضلاً عن أكل ثمار النخل والدوم ، فــإن خوص أشجارها كان يستعمل في عمل السلال ، وليفها لعمل الحــبال والــشباك . ويلاحــظ أن عمل حبال أسطول الفرعون " سحورع " ، التي كان يبلغ طول الحبل منها نحو ٣٠٠ ذراعاً كانت تــصنع مــن ليف النخيل، وكان يصنع من خوص الدوم وفروعه السلال والحصير ، والأطباق والنعال والعصي والأقفاص (٢).

وقد استخدمت شجرة النخيل كرمز للعديد من المقاطعات في الوجه البحري في مصر القديمة ومنها : (٣).

---

(١) سليم حسن ، الجزء الثاني ، مكتبة الأسرة ٢٠٠م .

(٢) المرجع السابق ، ص٧٠ .

(٣) موسوعة مصر القديمة ، ج١ ، مكتبة الأسرة ٢٠٠٠ ، ص ٤٤٤ .

رقم المقاطعة	رمز المقاطعة	آلهة العاصمة	العاصمة	اسم المقاطعة اليوناني
٢٠	نعرت خنتت (شجرة النخيل أو الرمان العليا)	الكبش " حرشف " (الذي على بحيرته)	"حنن نيسوت " بلد طفل الملك (أهناسيا)	هيرا كليوبوليس مجنا
٢١	نعرت بحوت " (شجرة النخيل أو الرمان السفلى)	حور " والكبش " خنوم "	" شدت " " برشدت " الفيوم بيت التمساح " أو " سمن حور " كفر عمار الحالية	كروكوديلوبوليس

وقد نالت أشجار النخيل عناية الأقدمين ، وما ورد في " شريعة حمورابـــي " في المواد ٥٩ – ٦٥ يعزز ذلك ، وهي تنص على " حماية شجرة النخيل وتحديد غرسها وتلقيحها " ، وتنص المادة ٥٩ على : " فرض غرامة نصف من الفضة التي تساوي نصف أوقية عــن كــل نخلة تقطع ، أما المادتان ٦٤ ، ٦٥ فقد اختصتا بتلقيح النخـــيل ، فقضت المادة الأولى : " أنه إذا أعطى رجل بستانه إلى فلاح للتلقيح والعناية فعلى الفلاح أن يسلم ثلثي حاصل (محصول) البستان إلى صاحبه طول مدة شغله ويأخذ لنفسه الثلث " أما المادة ٦٥ فجاء فيها " إذا أهمل البستاني ولم يلقحه وسبب تقليل الحاصل

فعليه أن يؤدي إيجار البستان على أساس البساتين المماثلة "[1].

- وأوردت أخبار الأدب قبساً معرفياً آثراً عن شغف المصريون القدماء بشجرة النخيل ، وألمحت إلى تأثيراتها على فنون البناء والمعمار والزخرفة الهندسية ، بقولها : " شغف المصريون القدماء بالساق الرشيق الممتد إلى السماء ، وتنسيقها البديع ، وألوانها الخلابة التي تضم " البني " للساق، يعلوها القمة الخضراء التي تتألق تحت خلفية السماء الزرقاء ، بينما تتدلى ثمارها الخضراء في مراحلها الأولى ثم تتحول إلى حمراء أو صفراء تبعاً لنوعها فسحرهم ذلك وأسموها " شجرة الفردوس والجنة " وانعكس ذلك الحب على عطائهم في فن البناء من خلال زخرفة أعمدة القصور والمعابد والمقابر على هيئة " شجرة النخيل " وأخذوا سعفة النخيل المنمنمة للتزيين ، وما لبث أن تبعهم الإغريق والرومان "[2].

وقَدَّسَ المصريون شجرة النخيل حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي كتقديس جذوعها ، حيث كانوا يقبلونها ويتباركون بها ، وشغفوا بها ، وأفردوا لها مكانة مرموقة في تنسيق الحدائق

---

(١) مرجع سابق .

(٢) أ/ عزت القمحاوي ، عمتنا النخلة .. سيدة الأشجار وملهمة المبدعين ، أخبار الأدب ، العدد ٣٣ ، ١٧ رمضان ١٤١٤هـ - ٢٧ فبراير ١٩٩٤م .

المصرية القديمة لاستقامتها وما تضيفه على الحدائق من جمال وبهاء يبرزان قوة شخصيتها واعتزازها . في عليائها " وعرفوا طريقتين لحفظ ثمارهما :

الأولى : التجفيف والثانية : حفظها في أكياس من جلود الماعز كانت تسمى في الواحات " عجلة " وربما اشتقت منها كلمة " عجوة " وهي " ما يخلط من التمر بعضه ببعض ويركم [٣].

وعند اليونانيين نقشت النخلة على النقود شعاراً لبعض المدن (كما فعل المصريون في تسمية بعض المقاطعات) ، حيث عثر بين الآثار اليونانية القديمة على قطع من النقود عليها صورة نخلة كرمز للتقديس والتبجيل [٤].

ولم تخلو الأساطير اليونانية القديمة من ذكر النخيل : " وكذلك بين معتقدات الموت والفناء ثم معاودة البعث والقيامة التي كان يمثل أطوارها الطائر المقدس ، وعند الرومان كانت النخلة رمزاً للنصر العسكري تحمل له أثناء المواكب الاحتفالية للانتصارات وللمصارع المنتصر أيضاً ، حيث كانت شعارات النصر تمثل بأن يمسك في اليد إما سعف نخلة أو تاج من الأوراق[٥].

---

(٣) (المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة) .

(٤) (مرجع سابق) .

(٥) (مرجع سابق) .

۞ وشـــجرة النخـــيل هـــي : شـــجرة الحياة " كما سماها الأشوريين والكلدانيين كانت " هدفاً للتدمير أثناء الحروب للقضاء على مقاومة الأعـــداء بحـــرمانهم مـــن أســـباب الحياة كما أشارت بذلك بعض المنمنمات الأشورية التي صورت الجنود الأشوريين وهم يدمرون بساتين النخيل المحيطة بمدن أعدائهم المحاصرة من قبلهم[١].

۞ وفـــي دراسته المقارنة عن " مكانة نخلة التمر في التوراة والإنجيل والقـــرآن [٢] يقـــول أستاذنا الدكتور / عماد محمد دياب الحفيظ في تناوله لمكانتها قبل نزول الديانات السماوية في الجزيرة العربية : " إن أولـــى المناطق التي وصل إليها العرب بعد هجرتهم الأولى هي بـــلاد سومر " في شمال الجزيرة العربية حيث كان العرب يقدسون الـــنخلة منذ عهود قديمة جداً سبقت فترة ظهور الحضارة السومرية لـــذلك أصبحت للنخلة عند السومريين مكانة مقدسة ، فقد عثر على نقوش مدونة على ختم أسطواني يعود إلى العهد السومري (الألف الثالثة قبل الميلاد) حيث يشاهد في النقش رجلاً وامرأة وتشاهد أفعى وقد لنتصبت خلف للمرأة وكأنها تغريها على الأكل من ثمرة النخلة " .

---

(١) (مرجع سابق) .

(٢) مجلـــة منبر الإسلام ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، العدد ٦٤/٩ ، رمضان ١٤٢٦هـ- أكتوبر ٢٠٠٥م ، ص ٧١ ، بتصرف يسير.

ويبين سيادته أن " السومريون كانوا ينشئون بساتين النخيل حول معابدهم ويلاحظ ذلك حول المعبد " أوما " ولقد ترجم المستشرق " سايس " بعض النصوص المسمارية عن النخلة كما يلي: إن الشجرة المقدسة التي يناطح سعفها السماء وتتعمق جذورها في الأغوار البعيدة لهي الشجرة التي يعتمد عليها العالم في رزقه ، فقد كانت بحق " شجرة الحياة " وقد شوهدت النخلة وثمارها ونقوشها المقدسة في هياكل سومر وآكد وبابل وآشور ؛ حيث كانوا يقدسون أربعة شعارات دينية أهمها : النخلة والتي شوهدت منقوشة على تاج وضع في أعلى محراب يعود إلى الملك الأشوري " أسر حدون " الذي حكم خلال الفترة من ٦٦٩ – ٦٨٠ ق.م "[٣].

۞ وعن الموطن الأصلي للنخلة اختلفت الآراء ، فمنهم من يؤكد أن " الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي لها وانتقلت منها إلى بابل ، كما ورد على لسان " سيبويه : قوله : " قد سمعنا من العرب من يقول : كجالب التمر إلى هجر " . ثم انتقلت أشجار النخيل إلى آسيا خاصة " إيران " التي يرجع الفضل للعرب في إدخال زراعة النخيل إليها أثناء فتوحاتهم كما جاء في " مختصر البلدان " لابن فقيه الهمذاني " . وأما الرأي الآخر فيقول : إن الموطن الأصلي للنخلة هو أرض بابل القديمة ، وقد طوروا طرق غرسها في ضفاف نهر الفرات قبل الميلاد بخمسة آلاف عام تقريباً(٤). " ولمتلأ وادي " الرافدين "

---

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق .

شـمالا حتى فينقيا – أول من نشرها في جنوب البحر المتوسط – واتخذ اسمها علمـاً علـى هذه البلاد : فكلمة : فينيقي Phenix باليونانية تعني " النخلة " ، ويقابلها عند الرومان كلمة " بالميرا Palmyra والتي أطلقت على مدينة تدمر " السورية والمـشتقة مـن كلمة Palm بمعنى " النخلة "(١). ويذكر أستاذنا الجلـيل شـوقي عـبد الحكيم : " أن النخيل والتمر كانا من أعظم العوامل التي اجتذبت الساميين الرعويين المعدمين من شبه الجزيرة العربية إلى أرض بابل ، وبناء على ما رواه المؤرخ " سترابون " الذي ذكر أن الفارسيين قالوا في النخل شعراً " عد فيه نحو ثمانمائة وستين طريقة مختلفة لاستخدامها والانتفاع بها(٢). وعبد العرب نخلة "نجران" كآلهة وكانوا يزينونها سنوياً بأزياء نسائية ملونة كما يقـول: " جريفز " واتخذت بعض الطوائف العربية من التمر معبوداً صنع على شـكل صـنم ، وقد أشار الشاعر أكلهم للصنم في قوله : " وأكلت تميم ربها " ، وفـي رواية أخرى أن قبيلة جهينة العربية التي عاشت قبل الإسلام صنعت من التمـر هـيكلاً اتخذته إلهاً ، ولكنها اتخذت منه طعاما في إحدى سنوات القحط والمجاعة حتى قال فيهم الشاعر :

أكلت جهينـة ربهـا ... زمـن التفحـم والمجاعـة

لم يحذروا من ربهـم ... خوف العقوبة والتباعـة[٣].

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

التصنيف النباتي

في التصنيف النباتي تتبع رتبة النخيليات : Order Principes النباتات ذوات الفلقة الواحدة : Class Monocotyledoneae ، وأغلبها أعشاب معمرة تعمر بواسطة الأبصال أو الكورمات أو الدرنات أو الريـزومات . وقـد دلـت البحوث التشريحية لعدد من أشجار تلك النـباتات ومـن بيـنها " النخيل " أنها ليست أشجار بالمعنى الحقيقي ، ولكـنها صور خاصة نشأت خلال تطور ذوات الفلقة الواحدة من الحالة العـشبية . ويـرى **Eames** أن الأشجار غير المتفرعة كالنخيل إنما نـشأت من النجيليات العشبية الريزومية المتفرعة ، ويؤيده عالم النبات الروسـي ألكـسندروف Alexandrov ، مبينا أن الفرق بين السوق الخشبية والعشبية ليس في الشكل الخارجي ولكن في التركيب الداخلي ، فالنخـيل الذي يتركب من أنسجة صلبة متينة ، هي في الحقيقة نباتات عـشبية . وتُجْمِـعُ آراء علماء النبات على اعتبار رتبة النخيليات أكثر مجامـع الـرتب بدائـية لاحتوائها على الصور الشجرية رغم فقد هذه النباتات للقدرة على التغلظ الثانوي .

✿ وأغلـب نـباتات الفصيلة النخيلية أشجار غير متفرعة إلا في الدوم Hyphaens ففيه يتفرع الساق إلى شعبتين ، والساق إسطوانية الشكل ومغطاه بقواعد الأوراق ، والجذور في النخيل ليفية .

الأوراق : مركبة كبيرة ريشية تتجه الوريقات فيها إلى أعلى كما في

نخــل البلح أو أسفل كما في جوز الهند ، ويوجد للأوراق أغماد تحيط بالــساق ، ومن هذه الأغماد تنفصل المادة الليفية الحمراء كما في نخيل البلح ، وقد تكون طويلة خضراء كما في النخيل الملوكي Oryodaxa Regia . وتخرج النورة من إبط الورقة ، والنورة عبارة عن إغريض مركب متفرع إلى عدة أفرع تحمل عليها الأزهار، ويغلف النورة غلاف يشبه القارب وقد يحمل الإغريض أزهارا مؤنثة فقط أو مذكرة فقط كما فــي نخيل البلح ، أما في جوز الهند فتحمل الأزهار المذكرة في أعلى الفروع بينما تحمل الأزهار المؤنثة في أسفلها .

والثمرة في الفصيلة النخيلية : لبية أو حسلية وبكل ثمرة بذرة واحدة ذات أندوسبرم قرني ، كما والتلقيح يتم بواسطة الرياح أو يدوياً كما في نخيل البلح .

معجزة إلهية على أرض مصر في مطلع الألفية الثالثة

سبق أن أوردنا إجماع علماء النبات منذ أقدم العصور بدءاً من عهد أرسطو وتلميذه " ثيوفراستس " ، إلى أن جاء " ديوسكوريدس" ومروراً بجمــيع علمــاء القرون الأولى للميلاد وما تلاها من عصور على أن : أشجار النخيل خاصة " نخيل البلح " لا تتفرع !! إلا أن إرادة الله شاءت أن تكون مصر : أول دولة في العالم تتفرع فيها شجرة البلح إلى ثلاثة فــروع فــيما يعــد معجــزة إلهية نباتية تستحق اهتمام الهيئات العلمية والبحثية والسياحية المصرية والعالمية :

والقضية كما يرويها لنا الأستاذ / سمير سلامة حسن وكيل مدرسة السوالم البحرية الإعدادية على صفحات جريدة الأزهر" صوت الأزهر": عن تلك النخلة التي " يتحدث عنها أهالي قرية الوسطى مركز الناصرية – محافظـة أسيوط ، والتي كانت ملكاً للحاج على محمد هوى المُحِبُ لفعـل الخير ، والذي وهب طرحها من بلح وتمر لوجه الله – تعالى – ففـاض خيـرها على الجميع . وعندما توفى اختلف أولاده الثلاثة على مستقبل النخلة فرأى الابن الأكبر مصطفى أن يتركها لله كما كان يفعل والـده ، ورأى حسنين أن يأخذ ثمرها له ، أما محمد الأصغر فقد رأى قطعها والاستفادة منها ، وطال الخلاف الذي انتهى إلى قطع النخلة من منتصفها ، ولكن الله – جل في علاه – أعاد الحياة إلى النخلة مرة أخرى : لتنـبت ثلاث أفرع جديدة من منطقة القطع وبنفس طول النخلة ونمت الأفرع وترعرعت وطرحت بلحاً بنفس لون وطعم بلح النخلة المقطوعة وازداد إثمارهـا ، وكانـت هداية الله للأخوة الثلاثة ليرجعوا إلى الله ، ويداومـوا علـى فعل الخيرات ، وتحقيق قول الله – تبارك في علاه – ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ سورة : فصلت الآية : ٥٣ .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ " سورة فصلت – الآية ٣٩ " . إنها آية كبرى من آيات الله نستشعر معها عظمة الخالق – جلا في علاه – فسبحان المحيي المميت ، رب الأرض والملكوت .

" أجناس النخيل "

وعلــى المستوى العام فإن أنواع وأجناس النخيل يوجد منها ٢٧٠٠ نــوع تختلف فيما بينها بحجمها وأشجارها وأزهارها وثمارها، ويزرع الكثيــر مــنها فــي مصر للــزينة ، منها ما هو ريشي الأوراق مثل Caryata ذو الوريقات التي تشبه ذيل السمكة ، وجوز الهند ، والنخيل الملوكــي Oreodoxa regia ، ومــنها ما هو رامي الأوراق مثل Washing tonia ، ومــن هذا الجنس نوعان w.fihipera وله ساق سميكة ، W.robusta وله ساق رفيعة. " ونخل التال المنتشر فــي أرجــاء الهند والجزر المجاورة ، ونخل التود الذي تستخرج منه عصارة سكرية تستخدم في صناعة شراب مخمر ، وهناك : نخل العاج المنتــشر في الجنوب الشرقي للولايات المتحدة ، فضلاً عن العديد من الأنــواع الأخــرى التي تنتشر في المناطق المدارية وجنوب شرق آسيا وجزر المحيط الهادي [١].

۞ أمــا نخيل الدوم فهو : من الأشجار المصرية القديمة ، وتمتاز شجرته بتفرعها ، وتنمو بريا في الواحات والوجه القبلي ، وثمرة الدوم حسلية ، والجزء الخارجي منها ليفي حلو المذاق ، وتحتوي البذرة على أندوســبيرم صــلب جداً يستعمل في صناعة الزراير ، ويضيف أستاذنا الجلــيل عــزت القمحــاوي : أنه نوعان نوع له ثمرة في حجم بيضة

---

(١) مرجع سابق .

الدجاجة خشنة السطح ، وهو الذي وصفه " النويري " في كتابه " نهاية الإرب " يقول : وهو شجرة كالدوم له أقذاء وبشر أسود إذا أينع إلا أنه مــر عفص لا يأكله الناس ، وتتخذ من خوصه وسعفه الحبال فلا يكون شيء أقوى منه " .

والــنوع الثاني : هو الدوم العادي الذي تؤكل ثمرته أحياناً ويصنع منها صيفاً شراب مرطب ومن بذوره تصنع المسابح[٢].

۞ ونخــيل الأريكا Areca Catechu ويعطي مسحوق الثمار Catechu Palm عقــاراً لطــرد الديــدان الشريطية من الأمعاء ، ومــسحوق الأريكــا مــادة قابضة وكثيراً ما تدخل في تركيب معاجين الأسنان .

۞ أما نخيل الزيت Elaeis guiueensis المنتشر في ماليزيا والهــند فهــو أحــد أجناس النخيل الهامة ، وسيأتي الحديث عن فوائده الغذائية والصحية بإضافة أكبر (ص٦٥ ، ٦٦) .

۞ أما نخيل جوز الهند Coconut فيزرع في البلدان الواقعة بين خطــي عرض ١٥ شمالاً و١٥ جنوباً ومن أهم الدول المنتجة له الفلبين وأندونسيا وسيلان والملايو والمكسيك وموزمبيق وفيجي وجزر المحيط الهــادي ، وتستخدم ثماره في كثير من أنواع الطعام والحلويات . كما يــؤكل لــبه طازجــاً أو مطبوخا ، أما زيته فيستخدم في صناعة الزبد

---

(٢) مرجع السابق .

الصناعي (مارجرين) والصابون ، كما أنه غذاء غني بالبروتين والسكريات بالإضافة إلى فيتامين ب ١، ب٢ ، جـ .

ولا يختلف ساق نخيل جوز الهند وأوراقه عن نخيل البلح من حيث عدم تفرع الساق فهو اسطواني الشكل ، يبلغ سمكه ٣٠سم ، وأوراقه مرتبة حلزونياً وهي مركبة ريشية ولها عنق وقاعدة سميكة ، وتحمل في آباطها نورات إغريضية تحمل شماريخ زهرية يحمل كل شمراخ نوعين من الأزهار : ففي القاعدة يوجد عدد قليل (حوالي ٣٠ زهرة) من الأزهار المؤنثة التي تخرج منفردة ، أما باقي الشمراخ فيحمل حوالي ٨٠٠٠ زهرة مذكرة تخرج كل ٢ :٣ أزهار في مجموعة واحدة . وبرغم تواجد الأزهار المؤنثة والمذكرة على نفس النبات ، بل على نفس الشمراخ إلا أن التلقيح يتم خلطياً بالرياح أو الحشرات . والسبب في ذلك يرجع إلى أن الأزهار المذكرة مبكرة الطلح في حين تتأخر مياسم الأزهار المؤنثة في موعد نضجها واستعدادها للتلقيح من الأزهار الموجودة على نفس الشمراخ .

" التكاثر "

وتتكاثر نباتات جوز الهند بالبذرة ، وهي الوسيلة الوحيدة للتكاثر حيث لا تنتج النباتات خلفات ، وتزرع الثمار الناضجة في المشتل في تربة غنية مفككة على مسافات ٣٠سم من بعضها ، ويراعى أن يظل ٣/ ١ الثمرة بارزاً فوق سطح الأرض (الطرف الذي به الثقوب أو العيوب

حيث يضم ذلك الطرف الجنيني) ، وتعتمد البادرات على الغذاء المدخر في الأندوسبيرم (وهو الجزء الذي يستخدم في الأكل والمسمى باللب) حتى بعد الإنبات لعدة أشهر وتستغرق عملية الإنبات حوالي شهرين ويتم نقل البادرات بعد تكوين ثلاث أو أربع ورقات وتزرع في المكان المستديم على مسافات ٩×٩ متر في جور قطرها حوالي نصف متر وبنفس العمق وجذور جوز الهند ليفية يصل عددها إلى ٧٠٠٠ جذر للنبات الواحد وليس له شعيرات ماصة حيث يتم الامتصاص من التربة بواسطة نسيج القشرة المفكك بالجذر .

" أجزاء شجرة النخيل "

لإغناء موضوع دراستنا هذه ، وإتاحة المزيد من الثقافة الرفيعة . نعرض في السطور التالية " أجزاء شجرة النخيل ربيبة الحضارة وعروس الصحراء " :

الجذور : قاعدة وتدية غائرة في الأرض إلى مدى متر ونصف المتر ، وتخرج منها مجموعات ليفية كثيرة قد يكون طولها سبعة أمتار، وقد تطول إلى عشرين متراً .

الجذع : الساق الإسطواني الممتد في الهواء فوق سطح الأرض ، وعليه تلتف قواعد السعف المزال ، وكل ثلاث درجات منه فوق بعضها على الساق تعني ثلاثة صفوف من السعف المزال ، وهذا يعني بدوره عاماً من عمر النخلة .

التاج : قمــة الــساق ورأس النخلة ويتكون من سعف وليف وزر طرفــي وحــيد هو منطقة نمو النخلة وسر امتدادها ، وفي أباط السعف يــنمو الطلع الذي يضم النورات الزهرية ، ومنطقة تجمع التاج تعرف باسم : " التومة " ومعناها : " اللؤلؤة " للونها الأبيض الناصع إذا كشف عنها السعف والليف ، ولأهميتها الكبيرة في حياة النخلة .

السعف : جمــع واحدته : سعفة وهي الورقة في النخلة ، والورقة ريشية طولها من ٣ :٥ أمتار ، وتتكون السعفة من ثلاثة أجزاء هي:

أ – ***الكِرْنَافَة*** : قاعــدة السعفة ، ومن الناس من يدعونها : قَحْفاً . وجمعها : قُحُوف ، وعلى جانبي الكرنافة يمتد جناحان من الليف الأحمر الطوبي مهمته حفظ الرأس متماسكاً في مواجهة التقلبات الجوية .

ب – ***الجريدة*** : وهــي امتداد الكرنافة العلوي ، وطولها من ٣: ٥ أمــتار وعرضها بعد الكرنافة حوالي ١٠ سم ثم تستدق حتى تصل إلى نصف سم في طرفها . وهذا الجزء يستخدم في العديد من الصناعات

ج: ***الأشواك*** : وتعــرف " بالــسُّلّ " وهي وريقات قاعدية ضامرة ســميكة ، ذات طرف مدبب حاد ، وتشغل من السعفة بعد الكرنافة من ٣٥ إلــى ٨٥ ســم ، وتوجد على جانبي الجريدة متقابلة أو متبادلة أو مزدوجة .

الخوص : وهــي وريقــات توجد على الجريدة متقابلة أو متبادلة ،

ولـونها فـي أول عهدها : أبيض سمني ، وتخضر كلما تقدم بها العمر حتى يكتمل عمرها فتصير خضراء داكنة أو باهتة ، حسب صنف النخلة وظروفها . وتستغرق رحلة السعفة من وقت ظهورها إلى تدليها هرمة من ٣: ٤ أعوام تقطع بعدها ، ويمكن أن تظل خضراء عامين آخرين إذا لم تقطع ، ويبلغ مجموع السعف في رأس النخلة بين قائم ومتدل حوالي ستين إلى اثنتين وسبعين سعفة .

الجُمَّارة : والبعض يسمونها " الكرينة " والجمارة تضم أهم أجزاء الـنخلة : فبـين لفائفهـا يزبض البرعم الطرفي الوحيد ، وحوله تلتف الأوراق الحديثة في أغمارها وأطوالها وألوانها فمن بيضاء إلى بيضاء مخضرة ، وبينها الليف يحزمها حزماً محكماً ، وهي منطقة نمو النخلة ، وهي لا تؤدي مهمتها إلا في الليل حينما ينتشر الظلام ، لأن الثغور تقفل فتتوقف عملية النتح ، وسبحان الخالق العظيم في إبداع خلقه وإحكامه ، وهـو ما يفسر لنا سر صمودها سنين عدداً بلا ري من مصادر المياة ، فحق عليها القول : عروس الصحراء .

الطلع : وهو مبتدأ الثمرة ، والتمر خبرها : ففي رأس النخلة ومن آبـاط الأوراق التـي عمرها عامان تنبثق أكمام خضراء مغلقة جلدية بيضاوية أو مستطيلة .

الكـم : عبارة عن إغريض بداخله نورة كبيرة ، وهي وعاء النورة ويعرف بالسيف أو الكوز أو الجراب ، وإذا ما نضج انشق تلقائياً فبدت -

في داخلة النورة بيضاء في الشجرة الأنثى ، وبيضاء مصفرة في الشجرة المذكرة .

العرجون : نـــورة كبيرة ذات شماريخ مكدسة عليها أزهار متراكبة بالتبادل ، تبدو قبل تفتحها كاللؤلؤ المنظوم بإحكام ، تحتوي في الذكر علـــى حـــبوب اللقاح ، التي تعرف : " بالغبار " : كالدقيق دقة ونعومة ولـــونا ، لها رائحة خاصة ، إذا ما كبست باليد تعجنت ، وإذا ما انتقلت إلـــى الأزهار المؤنثة حدثت عملية التلقيح والإخصاب، ومن ثم تتكون الثمار .

النقير : حفـــرة في ظهر نواة البلحة وهي مكان انبثاق الجنين عند الإنبات

القِطْمِير : هو الغلاف الشفاف الذي يغلق النواة ، فاصلاً بينها وبين لحم التمرة .

السلعة : هي بمثابة الحبل السري بين الفسائل الصغيرة والأم ، وتمد النخلة عن طريقها : صغارها (خلفتها) بالغذاء ، ومن هذه السلعة يتم فصل الخلفات عن أمهاتها إما فصلا كليا أو جزئياً ، ثم تنقل إلى الأرض المستديمة .

ومن أهم العمليات الزراعية التي تجري للنخلة :

الفصل الجزئي : هو الفصل بين الأم وخلفتها بقطع السلعة ، وتستبقى .

الخلفة مكانها لا ترفع منه لمدة عام حتى تستقل عن الأم معتمدة على ما كونــته لنفسها من جذور ، ثم تنقل إلى المكان المستديم التي ستزرع به فتبدو كما لو كانت منزرعة في مشتل ، وهذه الطريقة تحدث في نطاق ضيق لعدد محدود من الشتلات .

الفصل الكلي : هو الفصل بين الفسيلة وأمها ورفع الفسيلة من مكانها وزراعتها في مشتل لمدو ثلاثة أعوام ، ثم نقلها إلى المكان المستديم أو زراعتها بعد الفصل مباشرة في المكان المستديم (١).

(*إضــاءة*)

لا يمكــن أن يتغيــر ســمك الساق في النخلة البالغة ما دامت قوية ومعتنى بها ، أما إذا إعتراها ظروف غير ملائمة مثل : ظمأ يعقبه ري أو ري يعقــبه ظمأ أو جور في التقليم فإن الساق هو الجزء الوحيد في الــنخلة الــذي يحمــل على امتداده الطويل تلك المؤشرات الدالة على المعــاملات المختلفة التي واجهتها النخلة سواء كانت حسنة أو سيئة .. ومحــددا التاريخ الذي وقعت فيه كل معاملة ، لأنها جميعاً تترك آثاراً على الساق لا تمحي ولا تزول إلا بزوال النخلة .

❁❁❁❁❁

---

(١) (للمــزيد انظر: عبد المقصود السعيد ، مجلة الكويت ، العدد رقم (١٩٧)، ٢٥ ذي القعدة ١٤٢٠ هـ – أول مارس ٢٠٠٠ ، ص ٤ ،٥ .

الفصل الثالث

" شجرة النخيل من البادرة حتى الإثمار ".

شـــجرة النخـــيل مـــن أشـــجار الفاكهة المستديمة الخضرة ، التي تظل أشـــجارها محـــتفظة بأوراقهـــا طول العام ، ولذا فهي من أشجار المناطق الاســـتوائية والقـــريبة مـــنها ، وأهم مناطق انتشارها بمصر : رشيد وادكو بمحافظة البحيرة ، والسنانية محافظة دمياط ، عزبة النخل والمرج قليوبية ، والصـالحية والقرين شرقية ، والبدرشين وكرداسة جيزة ، وواحة سيوة ، أما الأصناف الجافة من البلح فتنتشر أشجارها في قنا وأسوان .

" *تكاثر نخيل البلح وزراعتـه* "

أولاً : التكاثر الجنسي (بالنوى) :

ويـــتم بـــزراعة " النواة " المأخوذة من الثمار ، تحت سطح التربة بحوالـــي ٢,٥ : ٣ ســـم مع ضرورة توفر درجة الحرارة العالية ، وأن تكـــون التـــربة جيدة التهوية لضمان زيادة نسبة الإنبات وذلك في شهر سبتمبر أو شهر فبراير في سطور تبعد عن بعضها ٢٥سم ، ويلجأ لهذه الطـــريقة الكثيرة من المزارعين ، خاصة في الوجه القبلي وبلاد النوبة وذلـــك لسهولة الزراعة وقوة الإنبات ، وهي محدودة الانتشار ، وتتبع فقط لتحقيق الآتي :

- انتخاب أصناف جديدة من البلح الجيد .
- إكثار الذكور ثم انتخاب الجيد منها .

إلا أنها تنتج الكثير من المشاكل :

١- النخيل من النباتات ثنائية المسكن وجيدة الجنس ، والنباتات الناتجة بالتكاثـر الجنـسي سيكون نصفها مذكر والآخر مؤنث ، وهناك صـعوبة كبيرة في التفرقة بين الإناث والذكور وهو ما يؤدي إلى إهدار سنوات جديدة من الرعاية والخدمة حتى يتم التمييز بينهما .

٢- ينتج عن التكاثر الجنسي اختلافات وراثية بين النباتات الناتجة عن النباتات الأم وذلك بنسبة عالية .

٣- الأشـجار البذرية ينتج عنها محصول بعد خمس إلى تسع سنوات وبالتالي تأخذ فترة طويلة حتى الإنتاج .

٤- الـثمار الـناتجة غالباً ذات صفات غير جيدة سواء في الطعم أو اللون أو الحجم .

٥- الـثمار الناتجة غير متشابهة في النوعية وبالتالي ستكون صعبة التسويق .

ثانياً : التكاثر الخضري :

وهـي الطـريقة الاقتـصادية الـشائعة فـي إكثار النخيل الجيد ، والمقصود به : زراعة أعضاء ناتجة من أجزاء خضرية لها القدرة على الانقسام والنمو دون حدوث عملية التلقيح .

وهم يتم بعدد من الطرق :

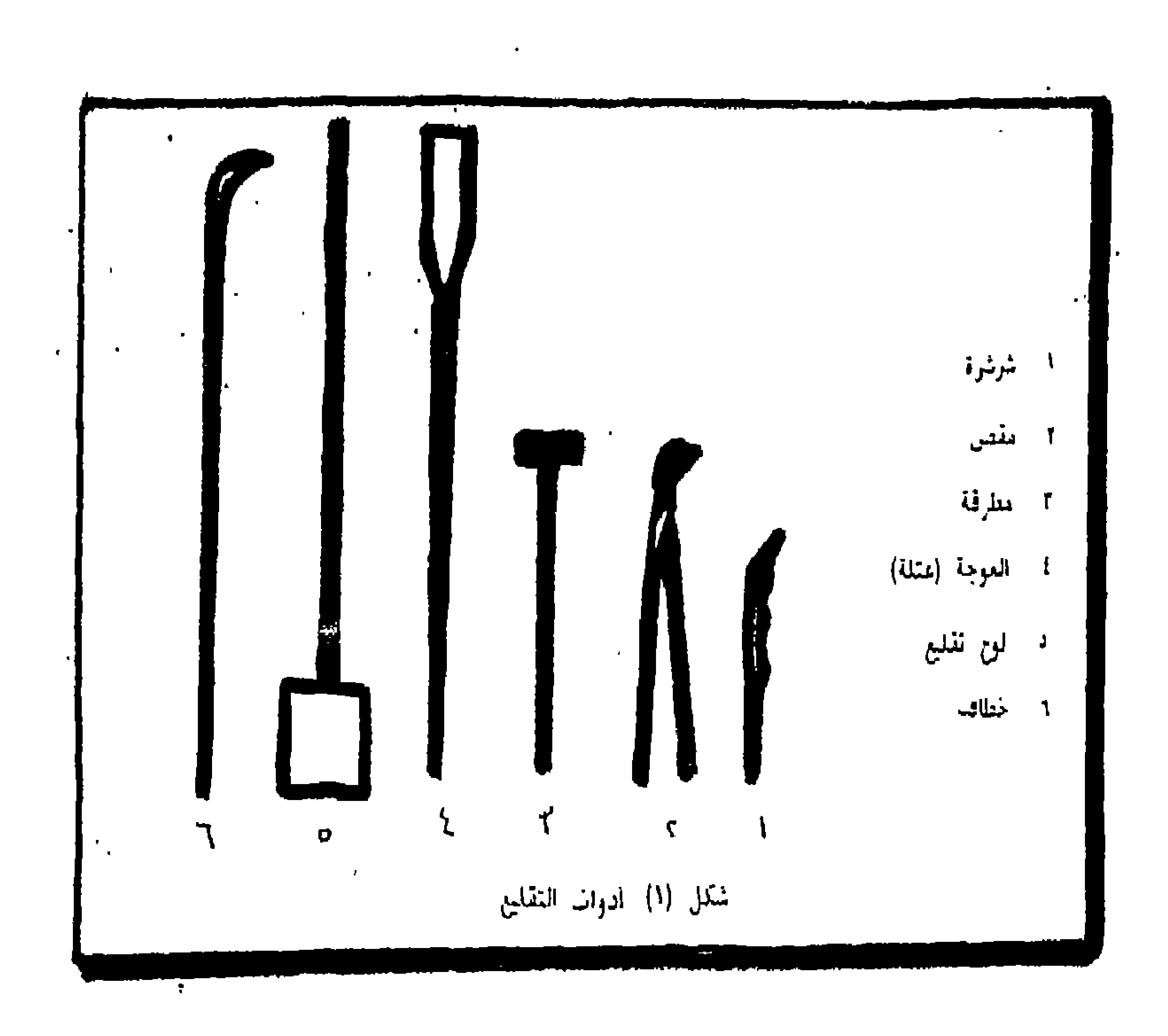
١- **التكاثر بالفسائل** : ويفضلها المزارعون للأسباب الآتية :

- سرعة الإثمار .
- ضمان إنتاج نباتات مرغوبة مماثلة للأم .
- التغلب على مشكلة ظهور الذكور .

والفسائل : هي نباتات تظهر حول النخلة البالغة عند سطح الأرض وتكون متصلة اتصالاً تاماً بالجذع وغالباً ما تكون لها جذورها الخاصة ، وهي وسيلة التكاثر الخضري الصادق للنخيل بحيث تؤخذ من النخيل البالغ المثمر ، وتكون خالية من الآفات والأمراض ، قوية النمو ، عمرها ٢ : ٣ سنوات ، ذات مجموع جذري مستقل .

" الفرق بين الشتلة البذرية والفسيلة "

الشتلة البذرية	الفسيلة الناتجة من الأم
حلقة الجذور مكتملة حول القاعدة .	حلقة الجذور غير مكتملة ، والجذور تكون نامية في ناحية واحدة فقط .
الجذور تحيط بكل مكان بالقاعدة .	يوجد أثر واضح مكان القطع من الفسيلة الأم ، خال من الجذور .
الشتلة وضعها عمودي (معتدلة)	الشتلة تكون مقوسة قليلاً من القاعدة نتيجة خروجها من قاعدة الأم



شكل (١) ادوات التقليع



عدد من الفسائل حول النخلة الأم



كيفية فصل الفسائل من الأم والعامل يحاول خلخلة الفسيلة بالعتلة من أسفل حتي تخرج بسلام .



الفسيلة بعد نجاحها وزراعتها في الأرض المستديمة



زراعة الفسائل في المشتل وكيفية لف الفسائل بالخيش أو الليف او أو السعف

وتنتج النخلة الأم في حياتها ما بين ٦: ٣٠ فسيلة ، حسب الصنف والبيئة والرعاية والخدمة .

مواعيد وكيفية فصل الفسائل :

من مارس إلى إبريل ، أو يوليو إلى سبتمبر .

وفي مصر يفضل الفصل في شهر إبريل في الوجه البحري والدلتا، ويمتد الفصل إلى شهر سبتمبر في الوجه القبلي .

ويتم ذلك وفق الخطوات التالية :

- تنشيط نمو الجذور أولاً قبل الفصل وذلك بتكويم التراب حول قواعد الفسائل .
- تقصير الجريد الخارجي مع ترك صفين حول القلب (الجُمَّارة) .
- ربط الجريد المتبقي بحبل ليف مع إزالة القحوف والليف بين الفسيلة والأم .
- يزال التراب حول القواعد بالفأس حتى يظهر مكان اتصال الفسيلة بالأم ، بحيث لا يكشف عن الجذور .
- استخدام آلات الفصل الخاصة للحصول على قطع أملس نظيف (شكل ١) .
- تزال الجذور المشقوقة أو الرديئة مع تهذيب السليم منها ، وتلف

بالخيش المُندَّى بالماء ، ويتم رشها من وقت لآخر بالماء حتى لا تجف إلى حين الزراعة ويلاحظ أن زراعة الفسائل في المكان الدائم عقب فصلها فيه مجازفة كبيرة لأن نسبة الناجح منها تكون عندئذ قليلة ، والأفضل تربيتها بالمشتل لمدة سنتين لتشجيع خروج الجذور العرضية ، والحيلولة دون تعفن القلب وتعرف في هذه الحالة باسم " بنت جورة " وعند تربية الفسائل بالمشتل يراعى :

- الزراعة على مصاطب بأبعاد ١×١ م كحد أدنى .
- الغرس بعد الفصل مباشرة حتى لا تتعرض الفسائل للجفاف .
- ضرورة ظهور البرعم الطرفي فوق سطح التربة وبمستوى أعلى بشكل واضح عن ماء الري ، حتى لا تصل المياه إلى قلب النخلة فتتلف الجمارة .
- لف الجريد بعد الغرس بالحُصُر أو الخيش أو قش الأرز أو تحفظ الفسائل تحت مخروط من الجريد أو حطب الأذرة بغرض حمايتها وتقليل النتح منها .

- وفيما يختص بالفسائل الصالحة فيجب أن تتوفر فيها الشروط الآتية:

١- أن تكون من صنف جيد في النمو والإنتاج وذات جودة عالية .

٢- يفضل أخذ الفسائل بعد إنتاج النخل الأم للتمر حتى يتأكد من الصنف .

٣- أن يكون وزن الفسيلة من ١٠- ٢٠ كجم .

٤- ألا يقل عمرها عن ٣: ٤ سنوات .

٥- لا يقل طولها عن ٩٠ وقطرها ما بين ٢٥: ٤٠ سم .

٦- لا يزيد ارتفاع الجريد بعد قرطه عن ٥٠ سم .

٧- يكون مكان الفصل عن الأم منتظما وتكون الفسائل خضراء اللون وافرة الجذور ، خالية من الحشرات والأمراض .

أما بنت الجورة :

١- لا يقل مدة غرسها بالمشتل عن سنة .

٢- لا يقل وزنها عن ١٠ كجم ولا يقل أكبر قطر لها عن ٣٠سم.

٣- لا يقل ارتفاع الساق من قاعدة الفسيلة إلى نهاية الليف من أعلى عن ٦٠ سم .

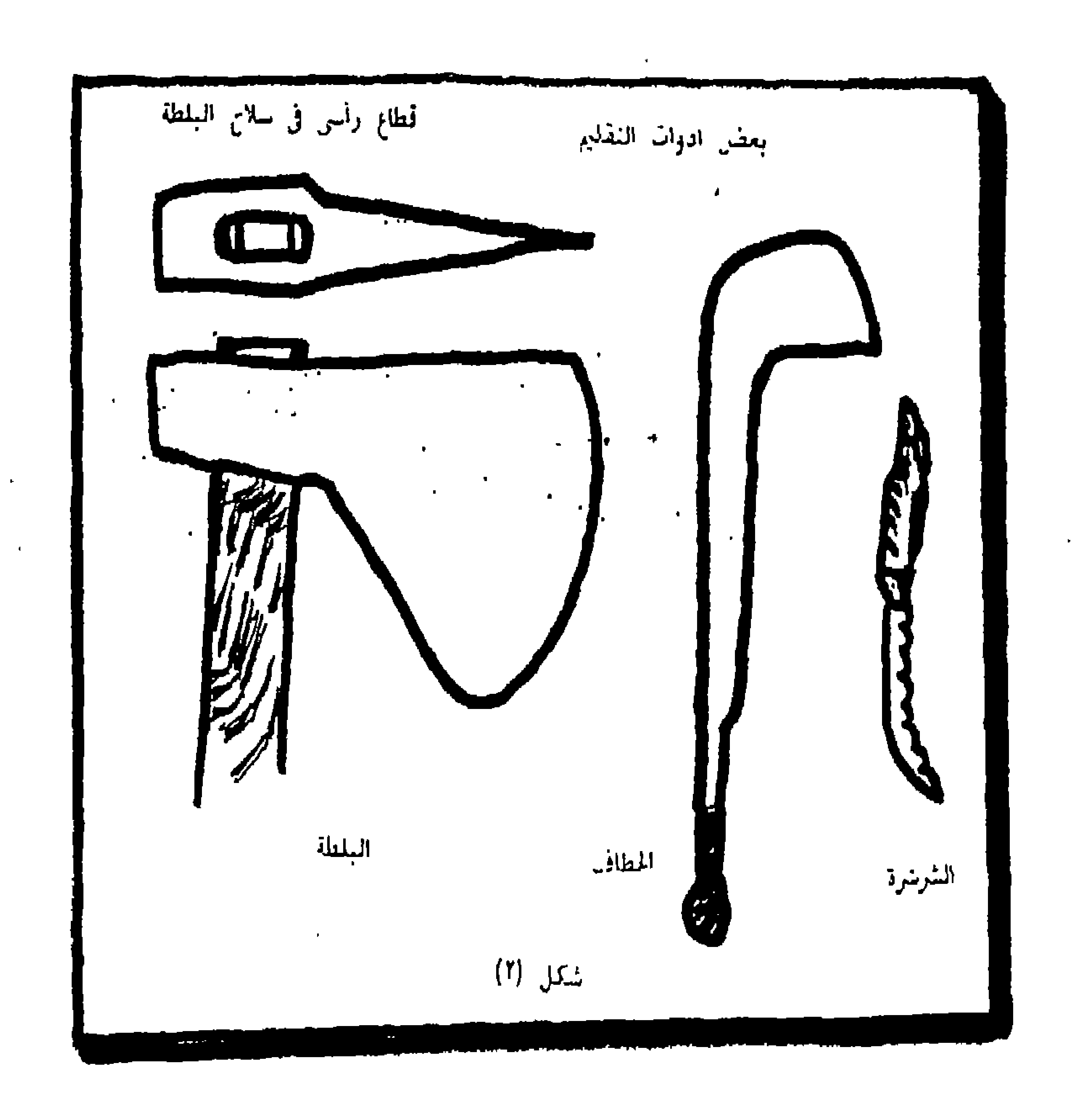
٤- وافرة الجذور ، خضراء اللون ، خالية من الحشائش والأمراض

وعموماً يمكن غرس الفسائل في المشتل أو في الأرض المستديمة مباشرة ، طبقاً للمسافات الآتية :

المسافات المقترحة	الهدف من إنشاء المزرعة
٦ × ٦م في الأرض الرملية ٧ × ٧م في الأرض الثقيلة	في حالة استخدام المزرعة في إنتاج نخيل فقط .
٨ × ٨م جميع أنواع الأراضي ١٠×١٠م جميع أنواع الأراضي	في حالة زراعة خضراً ومحاصيل مؤقتة مع النخيل . في حالة زراعة أشجار فاكهة مؤقتة مع النخيل

وفـــي الحالتـــين لابد من اليوم الأول لإتمام عملية الغرس ولمدة شـــهرين الحذر التام والرعاية الكاملة للفسائل خاصة عند الري ، على أن يكون كل يوم أو يومين في الأراضي الرملية ، وكل ٣ : ٤ أيـــام في الأراضي الطبيعية وحسب احتياج النبات والتربية . مع عدم فك الأربطة سواء الخصير أو القش أو سعف النخيل إلا بعـــد نجاح زراعة الفسيلة وعلاماته : تكوين سعف جديد في قلب النخلة .

- مـــراعاة إضـــافة السماد العضوي ، خاصة في الأراضي الرملية والضعيفة بمعدل ٤ : ٨ مقاطف لكل نخلة سنويا أو ٢: ٣ كيلة " زَرَقْ حَمَـــامْ " كل ثلاث سنوات ، ويفضل أن يتم ذلك في خندق يحفر حول قاعدة النخلة في حدود ربع الدائرة المحيطة مع تعميق الخـــندق حتـــى يـــصل إلى مستوى الماء الأرضي حيث يضاف الـــسماد ويـــردم ويفضل تغيير موقع الخندق في كل مرة للتسميد على جانب جديد من جوانب النخلة .



شكل (٢)

- إتقان عملية التقليم والتربية لها دور كبير في زيادة المحصول إذ أن السبائط تخرج من آباط الأوراق التي يبلغ عمرها سنتان ، ولهذا يجب الحذر وعدم الإسراف في التقليم .

والمعتاد تقليم حلقة أو حلقتين من الأوراق أسفل العراجين المتكونة في الـــسنة السابقة أي تزال الأوراق التي عمرها ثلاث سنوات بمعدل ٨: ١٥ ورقـــة سنوياً ، بحيث يترك لكل سباطة ٨: ١٠ أوراق للتغذية ، والطريقة التـــي يجـــري علـــيها التقليم هي قطع الجريد أولاً دون الكرانيف (قواعد الجـــريد) حيث تترك سنة أخرى تزال بعدها بقواعدها الليفية وينصح بمنع تقلـــيم الجـــريد ا لأخضر ، ولا يقلم إلا الجريد الجاف فقط ، وبذلك يحمى الجريد النخلة من شدة الحرارة ويساعد على زيادة المحصول .

ويجري التقليم بعد جمع الثمار في الخريف المتأخر أو الشتاء ، وقد يجري في أوائل الربيع أثناء عملية التلقيح اليدوي ، والغرض من عملية التلقيح هو : سهولة إجراء عمليات التلقيح وتذليل السبائط وجمع الثمار (شكل ٢ بعض أدوات التقليم) .

٢- التكاثر باستخدام الرواكيب (الطواعين) :

الرواكيب (الطواعين) : هي جمع كلمة راكوب (طاعون) وهي عبارة عن نموات خضرية ناتجة عن نشاط البراعم الإبطية الساكنة في الجـــزء العلوي من النخلة التي تنشط في قواعد أوراق النخيل المركبة تحت منطقة التاج وهي تتكون بأعداد قليلة ولذلك فهي غير منتشرة في الإكثار ، وأيضاً لعدم تَكَوُّنْ جذور لها ، ولكن تستخدم لإكثار الأصناف النادرة والجيدة خاصة إذا كانت تعطي خلفات قليلة .

ويتم الاستفادة منها طبقاً للخطوات التالية :

١- تجري هذه العملية في الشتاء .

٢- يــتم إزالة الأوراق الجافة والسعف الجانبي ، ثم ربط الأوراق من أعلى بخصوص النخيل أو خيط الرفا .

٣- يتم إدخال كيس من البولي ايثيلين مفتوح من أعلى ومن أسفل داخل الراكوب حتى منطقة الاتصال بالأم .

٤- يتم ملئ الكيس بـــ " بيت موس " ويروي جيداً ثم يربط من أسفل ومن أعلى .

٥- بعــد تكوين الجذور في فصل الربيع يتم فصل الراكوب عن الأم وذلك بعد الري الغزير ثم ينزع كيس البولي ايثيلين .

٦- تقصير الأوراق الطويلة وربطها بالليف ، يتم الفصل بعناية تامة .

٧- يلــف الراكوب المُجَذَّرْ (الذي تكون عليه جذور) بعد فصله من الأم بالخيش المبلل حتى ميعاد الزراعة .

وعموما تعتبر هذه الطريقة غير عملية للإكثار لصعوبتها وقلة عدد النباتات الناتجة .

٣- الإكثار باستخدام طريقة زراعة الأنسجة :

زراعة الأنسجة Tissue Culture .

هي مصطلح عام لزراعة الأجزاء النباتية سواء خلايا أو أنسجة أو أعــضاء نباتــية تحت ظروف معقمة في بيئة صناعية داخل الأنابيب ، وأيضاً تعني أنها طريقة لتكاثر النباتات خضرياً .

الأسباب التي أدت إلى استخدام زراعة الأنسجة في إكثار نخيل البلح :

١- نظــراً لأن النخيل من النباتات ذات الفلقة الواحدة ثنائية المسكن ،

وحيدة الجنس ، تتكاثر بالبذرة ، ولكن سينتج عنها ٥٠% نباتات مذكرة ، وبالإضافة إلى إمكانية حدوث اختلافات في صفات النباتات الناتجة من الإكثار البذري .

٢- قلة أعداد الفسائل من النخلة الواحدة في خلال حياتها وأيضاً ندرة الفسائل في بعض الأصناف .

٣- نسبة النجاح في الفسائل المزروعة بالطرق التقليدية ليست كبيرة، بالإضافة إلى أن الأعداد الناتجة بهذه الطرق لا تفي بالمطلوب لنشر زراعة النخيل .

أهداف استخدام زراعة الأنسجة في نخيل البلح :

١- الحصول على عدد كبير من النباتات في وقت قصير ذات صفات متشابهة للأم .

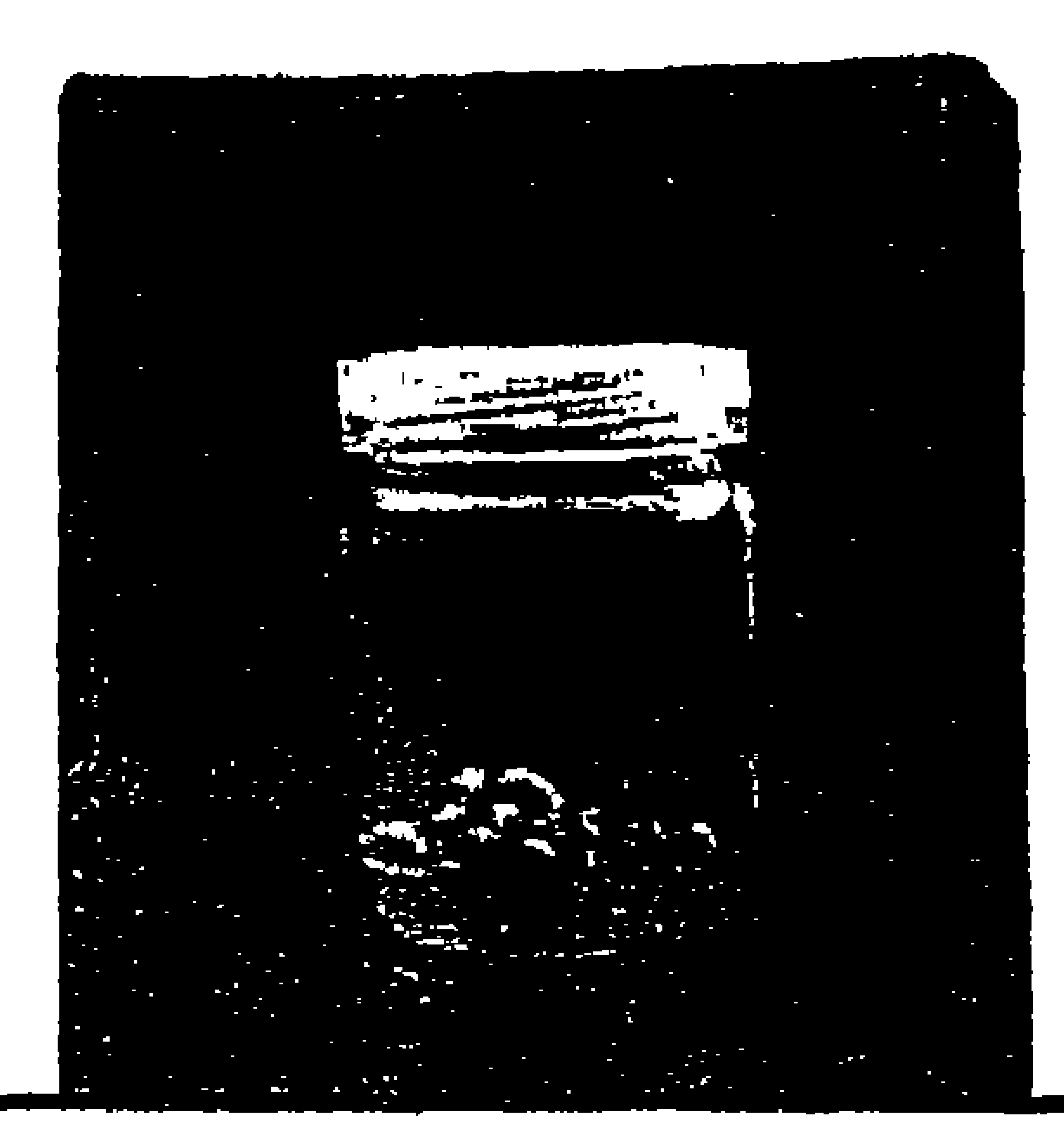
٢- الحصول على نباتات من الأصناف التي يندر فيها الفسائل بأعداد كبيرة .

٣- هذه الطريقة تقلل من الأسعار العالية للنخيل حتى تصبح اقتصادية للمنتج والمزارع معاً .

٤- نظراً لطول فترة تربية النخيل فإنها تكون طريقة لتقصير برامج التربية ، والتحسين الوراثي .

٥- حفظ التراكيب الوراثية لأشجار النخيل ذات الصفات الممتازة .

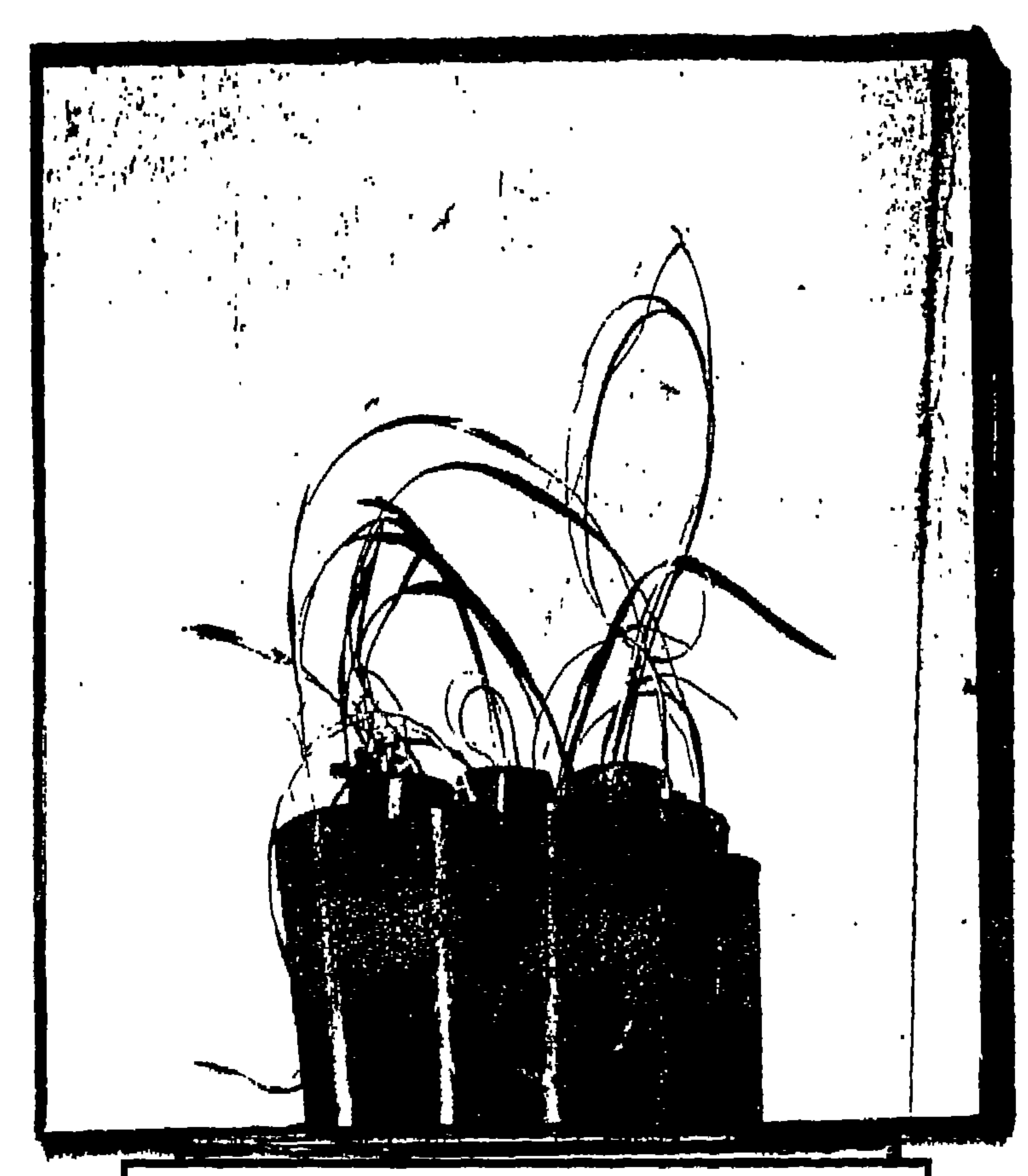
٦- استخدام زراعة الأنسجة في التغلب على الأمراض الفطرية مثل مرض " البيوض " والأمراض الحشرية مثل " سوسة النخيل " الموجودة حالياً في مصر والعديد من الدول العربية .



مرحلة تكوين الأجنة الجسدية عن طريق زراعة الأنسجة



مرحلة النمو الخضري في البرطمانات في البيئة الغذائية المناسبة



مرحلة الاقلمة في النخيل – ناتج زراعة أنسجة عمر ٣ شهور

" طرق زراعة أنسجة النخيل "

هناك طريقتان رئيسيتان لزراعة النخيل بالأنسجة :

أولاً : تكــوين النموات الجانبية (الطريقة المباشرة) (Direct) Organagenesis وتعتمد على نمو البرعم الطرفي والبراعم الجانبية وتضاعف النموات عليها مباشرة ، ثم العمل على استمرار تضاعف هذه النموات عدة مرات حتى الوصول بها إلى مرحلة التجذير والأقلمة.

مراحلها :

١- مرحلة البداية Starting stage .

والهــدف مــنها الحصول على مزرعة خالية من التلوث ذات جزء نباتي معقم .

٢- مرحلة التضاعف : Multiplieation stage .

والهــدف مــنها الحصول على عدد كبير من النباتات نتيجة التغذية بالأملاح والهرمونات التي يحدث بينها توازن بين السيتوكينين والأكسين للوصول إلى أفضل معدل مضاعف .

٣- مرحلة التجذير : Rooting stage .

والهــدف منها الحصول على نباتات ذات جذور قوية وقادرة على الــنمو والعــيش خارج الأنبوبة ويتم إضافة الأكسينات في هذه المرحلة لدفع النموات إلى التجذير .

٤- مرحلة الأقلمة : Aeelimatiation stage .

وفـــي هــذه المرحلة يتم نقل النباتات ذات الجذور من الأنابيب إلى الصوب وذلك لمحاكاة الطبيعة الخارجية التي ستنتقل إليها النباتات بصفة مستديمة .

ثانياً : تكوين الأجنة العرضية الجسدية (غير المباشرة) .

Adventitious Somatic Emlryas (indirect)

مـــاذا يعنـــي الجنـــين الجسدي Somatie Emlrgo هو عضو جنيني ذو بناء مظهري وتركيب جنيني ومتشابهة ظاهرياً للجنين الناتج مـــن الإخصاب (الزيجوت) لكنه نشأ من خلال جسدية غير زيجوتية وبعد نموها تعطى نباتات في الأنابيب تكون متشابهة للنباتات الناتجة من الأجنة الزيجوتية (المخصبة) . وهذه الطريقة يتم فيها الحصول على نباتات بعد تكوين الجنين الجسدي ، ثم يتم عليها إجراء مراحل الطريقة السابقة . وتتم هذه الطريقة بأسلوبين مختلفين .

١) تكـــوين أجنة عرضية جسدية مباشرة : Direct Somatic Emlrgogenesis .

فـــي هـــذا الأسلوب يتم زراعة القمة النامية في بيئة غذائية مناسبة ليـــتكون الجنـــين مباشرة على الجزء النباتي . وبعد ذلك يؤخذ الجنين وينمي ويتم عليه مراحل الطرق السابقة .

ب – تكـوين جنـين جسدي بطريقة غير مباشرة : Gnclireet . Somatic Emlrgogenesis

وفـي هذه المرحلة يتم زراعة الجزء النباتي (قمة نامية – أوراق أوّلية – خلايا مرستيمية – مريستيمات زهرية مؤنثة) على بيئة غذائية بها أكسينات عالية توضع في الظلام التام لحث تكوين خلايا الكالس على الجزء النباتي ، أو تحويل الجزء النباتي إلى كالس وأيضاً الحصول على مزرعة معقمة خالية من التلوث .

٢- مرحلة تكوين الكالس : Callus Farmation stage .

ويـتم فيها نقل الأجزاء التي تكون فيه الكالس في المرحلة السابقة على بيئة غذائية مشابهة وذلك لإنتاج كمية كبيرة من الكالس ويحدث ذلك نتيجة الانقسامات العديدة التي تحدث في الخلايا .

٣ – مـرحلة تكـوين الكالس الجنيني : mlrgogenesis Callus stage . ويتم فيها تحويل الكالس المتكون إلى خلايا كالس ذات صفات تشابه الأجنة .

٤- مرحلة تكوين الأجنة الجسدية : Emlrgoid stage .

وفـيها تتكشف الخلايا الجنينية إلى أجنة جسدية كاملة غير مخصبة ويتم تكشفها على عدة مراحل .

٥- مرحلة نمو الجنين : Growth Emlrgoids .

ويتم فيها نقل الأجنة إلى بيئة مناسبة للنمو حتى تتكشف وتنمو عليها الأوراق والجذور .

٦- مرحلة النموالخضري : Shooting stage .

ويتم وضعها في بيئة غذائية متوازنة من السيتوكينينات والأكسينات للوصول إلى اكبر عدد من النباتات الناتجة .

٧- مرحلة الاستطالة : Elongation stage .

وفيها تنقل تنمية النباتات إلى بيئات تعمل على استطالة النبات وتهيئته لمرحلة التجذير .

٨- مرحلة تكون الجذور Rooting Stage ، ويتم فيها تنمية النباتات ذات النمو الخضري على بيئات بها أو كسينات ذات تركيز قليل وذلك لتكوين المجموع الجذري وبالتالي الحصول على نبات متكامل .

٩- مرحلة الأقلمة Aeelimatiation stage .

وتهدف هذه المرحلة إلى إعداد النباتات الناتجة من مرحلة التجذير إلى التعود على الجو الخارجي بالتدريج ، ويتم ذلك عن طريق الزراعة في الصوب الزراعية وتوفير الإضاءة ودرجة الحرارة المتوفرة في الخارج في المكان الذي سوف يزرع فيه .

١٠- مرحلة التقسية Hardening stage .

حيث تنقل النباتات بعد أقلمتها إلى إصيص أكبر حجماً وتوضع في

الـــصوب أو المعروشات ويتم خدمتها من حيث الري والتسميد ومقاومة الآفـــات حتـــى تعطـــى أول ورقة ريشية ثم تنقل بعد ذلك إلى الأرض المستديمة .

" خف الثمـار "

إحدى العمليات الهامة التي لها علاقة بتقليم النخيل فهي تساعد على تحسين صفات الثمار وكبر حجمها ، كما تساعد على التبكير في النضج والإقلال من صفة الحمل المتبادل ، وتخف الثمار بعدة طرق :

- إزالـــة الـــشماريخ الوسطى وهذا يعطينا عرجونا مفككاً تسهل فيه حركة الهواء ، وعدم تراكم الرطوبة حول الثمار .
- استئـــصال عدد من العراجين في حالة حمل النخلة لأكثر من ١٢ عرجون للنخلة الواحدة .
- استئصال أطراف الشماريخ الزهرية عند تلقيح أو خف الثمار بعد العقد خلال شهر يونيو .

وأحسن وقت للخف هو أثناء تلقيح الأزهار ، كما يمكن إجراؤه في أي وقت قبل أن تصل الثمار إلى ربع حجمها الحقيقي .

التقويس (سند العراجين)

بعـــد التلقـــيح والإخـــصاب يكبر حجم الثمار بسرعة وبالتالي حجم الـــسباطات فإذا تركت وشأنها فإنها تتكدس داخل النخلة بين الجريد مما

يعـرض الـثمار للتشوه في الشكل والتثقيب بشوك الجريد ، وغالباً ما تكـون رديئة التكوين بسبب حجب الضوء عنها ، لذلك لابد من إجراء عملية التقويس (التدلية) خلال شهر يونيو أو يوليو ، وذلك بثني حامل العرجون للخارج حتى تتدلى الثمار وتصبح معرضة للهواء والضوء ، وبـذلك تأخذ الحجم واللون الطبيعيين عند النضج ، ويلاحظ سند حامل العـرجون على جريذة حتى لا ينكسر فتتلف السباطة أو تشد جريدتين مـتجاورتان تحـت قاعدة العرجون ليرتكز عليها العرجون ، أو تسند العراجين على عصيّ ذات شعبتين على شكل حرف Y لحمل العراجين.

وفـي بعض الأصناف كالزغلول والعمري ، والأصناف الجافة في أسـوان نجد أن الحامل النوري قصير فيها لا يساعد على إجراء عملية التقويس ، وفيها تترك العراجين بدون تدلية .

" الإثمار "

يختلف العمر الذي يزهر فيه النخيل باختلاف الصنف ونوع التربة، والمنـشأ أن كـان بـذرياً أم خضرياً ، ومتوسط العمر الذي تزهر فيه النخلات المكثرة بالفسيلة هو من ٤: ٦ سنوات .

وتخـرج الكيزان المذكرة في أواخر فبراير وعندما يتم نمو الكوز ونضجه فإنه ينشق طولياً ويبرز منه الشماريخ الحاملة للأزهار المذكرة، وتخرج الأغاريض (الكبائش) المؤنثة في أوائل مارس ويختلف عددها على النخلة الواحدة تبعاً لعدة عوامل : خصب التربة – المناخ السائد ،

الخدمة ، ويتراوح ما تحمله النخلة سنويا من ٨: ٢٠ إغريضاً ينشق عند تمـــام نــضج الأزهـــار حيث يتم التلقيح اليدوي ضماناً للإثمار الجيد ، ونظرا لكون أشجار النخيل وحيدة الجنس (أشجاراً مؤنثة تحمل أزهار مؤنثة وأشجاراً مذكرة تحمل أزهاراً مذكرة) .

وعند بروز العرجون المؤنث من الإغريض (الكوز) يؤتى ببعض الشماريخ الذكرية وتنفض بشدة لتنطلق منها حبوب اللقاح وتنتشر حول أزهار العرجون المؤنث ثم توضع تلك الشماريخ المذكرة وسط العرجون المــؤنث وتربط ربطاً خفيفاً بخوصة من سعف النخيل لتبقى الشماريخ المذكـــرة دون أن تعبث بها الرياح . وأحسن وقت للتلقيح هو من ابتداء خـــروج الأزهـــار المؤنثة من الإغريض ولفترة ٣: ٤ أيام من انبثاقها ويمكـــن لِلْطُلاَّعْ (طالع النخل) أن يلقح ١٥: ٢٠ نخلة يومياً . ويكفي الفحـــل (الذكر الواحد) من النخيل لتلقيح ٤٠: ٥٠ نخلة مؤنثة . وهنا لابد أن نتأمل حديث رسول الله ﷺ : " من غرس أربعين نخلة مع فحلها حشر معي " والذي يفيض بعطاءات جليلة .

" الأطوار التي تمر بها الثمرة بعد التلقيح والإخصاب "

١) **الطور الأول** ، ويسمى : حبابوك :

ويبدأ هذا الطور بعد التلقيح مباشرة بفترة قصيرة ويستغرق حوالي ٤ : ٥ أسابيع ويكون النمو بطيء ويستمر حتى بداية شهر يونيو .

٢) **الطور الثاني** ، ويسمى بلح أخضر أو كمري :

وفــي هــذا الطــور تبدأ الثمرة في النمو والاستطالة ويصبح لونها أخـضر ويتميز هذا الطور بالزيادة السريعة في الوزن والحجم خاصة خلال شهري يونيو ويوليو ، والطعم لا يزال في هذا الطور قابض .

٣) **الطورالثالث** ، بلح خِلاَلْ :

ويتصف هذا الطور بالبطء في زيادة الوزن ويزداد خلال هذا الطور تراكم السكر ويصبح حلو المذاق ولكنه يكون أحياناً مشوب بطعم قابض عادة ويتم هذا الطور من ٣: ٥ أسابيع .

٤- **الطورالرابع**: الرطب :

ويـبدأ الإرطاب غالباً من قمة الثمرة في خلال أسبوعين إلى أربعة أســابيع من نهاية الطور السابق وفي بعض الأصناف الجافة أو النصف جافة قد لا تمر الثمرة بهذا الطور وإنما يتغير لون الثمار إلى لون تيني أو مِخمِرْ .

٥- **الطورالخامس** : (التمــر) :

ويسمى في مصر (بلح) وهو الطور النهائي لنضوج الثمرة ويكون قوام اللحم في هذا الطور غالباً ليناً متماسكاً معتم اللون ، مجعد القشرة فــي الأصناف النصف جافة أما في الأصناف الجافة فيكون اللون فاتحاً وقوام اللحم صلباً يابساً .

" موسم الإثمــار "

- الأصناف الطرية يكون موسم نضجعها كالآتي :

حياني	في أغسطس .
أمهات	في أواخر أغسطس .
سماني	في سبتمبر .
بنت عيشة	أوائل أكتوبر

- **الأصناف نصف الجافة :**

السيوي	في سبتمبر .
العامري والعجلاني	في أكتوبر .

كمية المحصول

تتوقف كمية المحصول على عدة عوامل أهمها : الصنف – طريقة التلقيح – الخدمة والتقليم – المنطقة والمناخ .

وتعطي النخلة الواحدة :

البلح الجاف	من ٢٥ : ١٠٠ كجم .
أصناف البلح نصف الجاف	من ٣٠ : ١٠٠ كجم .

أصناف البلح الطري :

السماني	من ١٥٠ : ٢٠٠ كجم.
الأمهات	من ٩٠: ١٥٠ كجم.
الحياني	من ٧٠ : ١٢٠ كجم.
الزغلول	من ٦٠ : ١٢٠ كجم.

بنت عيشة من ٥٠ : ٧٠ كجم.

" الأصناف التجارية في مصر ومناطق زراعتها "

إدكو ورشيد : تشتهر بأصناف الزغلول ، الحياني ، بنت عيشة .

دمياط السنانية : تشتهر بصنفي الحياني ، الكبي .

الشرقية : تشتهر بأصناف – العجلاني – بنت عيشة ، الحياني .

المرج : تشتهر بصنف الحياني .

الجيزة والفيوم : تشتهر بصنفي الأمهات والسيوي .

أسيوط : تشتهر بصنف الصعيدي .

أسوان : تشتهر بأصناف البركاوي – الجنديلة – البرتمودا .

الواحات : تشتهر بأصناف السيوي ، الغزالي ، السلكاني ، الفريجي ، القوقع .

ويمكن تقسيم أصناف البلح إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

١– البلح الجاف (التمر) : وأشهر أصنافه المنزرعة بمصر :

الصنف	وصف النخلة	وصف الثمرة
السكوتي (الإبريمي – البركاوي)	النخلة رفيعة في كل أجزائها منفرجة، متدلية السعف دقيقة الجريد ،	متوسطة الحجم طولها من ٤ : ٥سم عرضها ١٨ ملليمتر – طرفها مدبباً ، القشرة ناعمة ، لونها برتقالي عند

	أشواكها متوسطة الطول.	القاعـــدة ، وأسمر ضارب للحمرة مع الاتجـــاه إلى القمـــة ، اللحم متوسط الـــسُمك غير لذيذ الطعم إذا كانت الثمرة فجة ، وحلو المذاق إذا كانت الـــثمار ناضجة ، وللثمرة قمع صغير غائر في تجويف قاعدتها .
الجنديلـــة	نحيفة في أجزائها ، منفرجة الرأس ، متدلية السعف ، دقـــيقة الجريد، أشواكها قصيرة فردية .	متوســـطة الحجم طولها من ٤ :٥سم وعرضها ٢٢ ملليمتر ، القشرة لونها لـــيموني وهي فجة وتتحول إلى اللون البرتقالي عند القاعدة وبلون أسمر محمر مـــن القمـــة إلى أسفل عند النضج ، اللحم متوسط السمك مقبول الحلاوة وهي فجة ، وحلو المذاق وهي ناضجة ، وللتمرة قمع كبير فاتح اللون .
الجرجـــودة	أكثر أصناف النخيل نحافة الرأس متكاثفة ، جريدها دقيق ، وأشواكها مقبولة الطول الخوص دقيق قصير غير متباعد عن بعضه .	صغيرة غير جيدة الصفات طولها ٣,٥ ســـم وعرضها ١: ١,٥سم ، اللحم رقيق حلو ولكنه جاف عند النضج . انظر شكل (٣)

البرتمودة	النخلة معتدلة النحافة ، قمتها معتدلة الكثافة جريدها دقيق ، وأشواكها غليظة ، وخوصها قصير رقيق غير متباعد عن بعضه على الجريد .	متوسطة الحجم يبلغ طولها حوالي ٥ سم وعرضها ٢سم ، جوانب التمرة غير متماثلة تتضخم عند منتصفها أو فوقه مباشرة ثم تستدق عند طرفيها ، اللحم متوسط السُّمك ، حامض المذاق والتمرة فجة ، حلو جاف وهي ناضجة .

٢- أصناف البلح النصف جاف (المعو)

العمري	نحيفة رأسها منفرجة ، السعف كثير التدلي ، الأشواك معتدلة الطول الخوص ضيق معتدل غير متلاصق على الجريد .	متوسط الطول يبلغ طولها ٥: ٥,٥ سم وعرضها ٢,٥سم ، وهي أعرض عند المنتصف ، لون القشرة برتقالي وهي فجة ثم يصير أسمر داكن عند النضج ، اللحم معتدل السمك حلو المذاق .
العجلاني	معتدلة الضخامة كل أجزائها قمتها متكاثفة والسعف متدلي قليلاً ، الأشواك قوية ضخمة طويلة مرتبة في أزواج ،	معتدلة الحجم يبلغ طولها ٤: ٤,٥ سم وعرضها ٢,٢سم ، مستطيلة الشكل قمتها مستديرة وقاعدتها مفلطحة والثمرة الناضجة لونها أسود اللحم متوسط السمك لين حلو

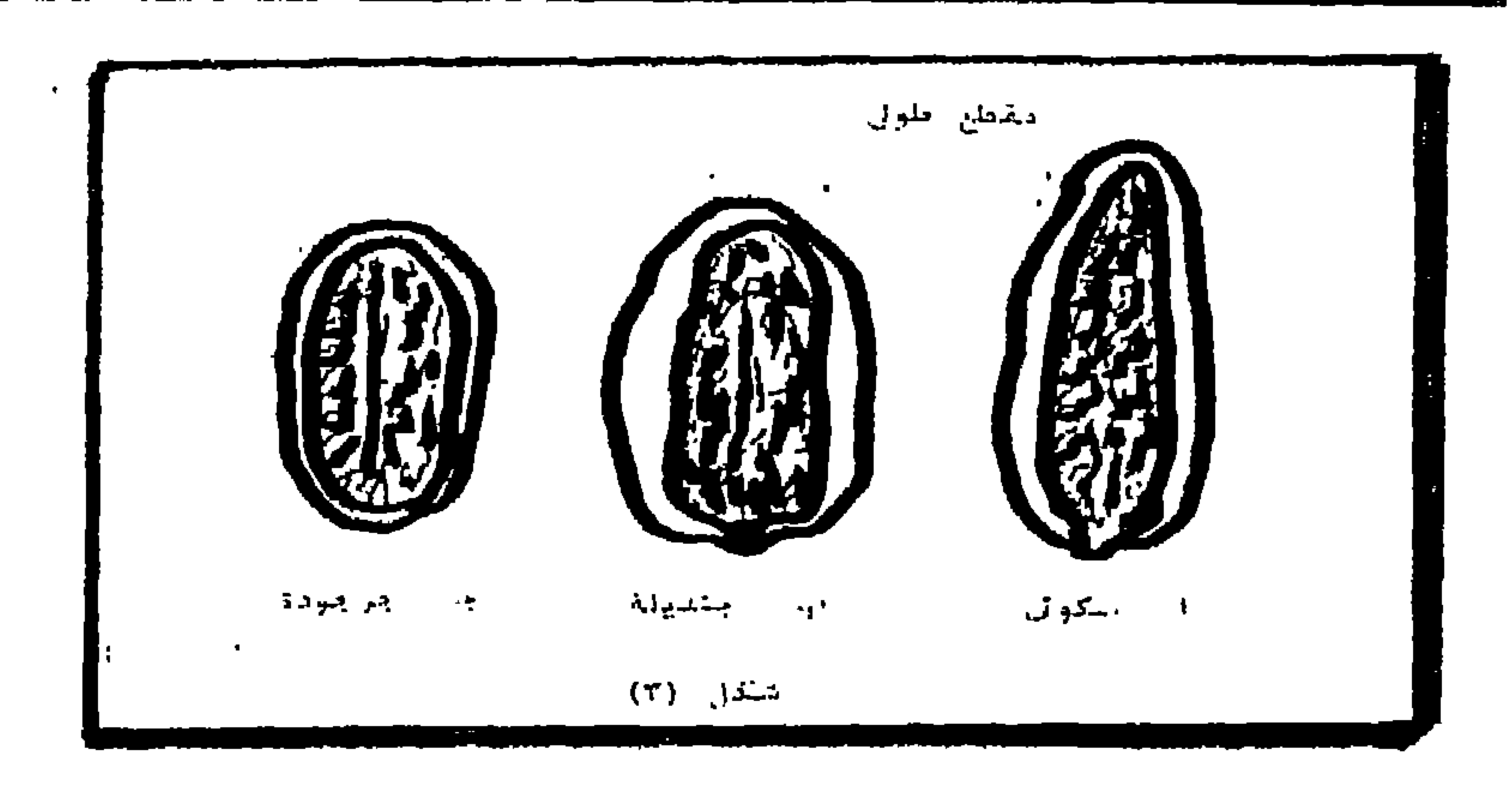
	الخوص عريض متلاصق على الجريد ومتدلي .	المذاق عند اكتمال النضج .
السيـــوي	ضـــخمة والقمة منفرجة الجـــريد غلـــيظ متدلي الأشـــواك ضخمة فردية علـــى الجريد ، الخوص عـــريض غـــير معتدل . انظر شكل (٤) .	معتدلة الطول ، يبلغ طولها ٤,٥سم الثمـــرة أكثـــر سمكاً عند المنتصف قـــشرتها ملـــساء صـــفراء اللون ، واللحم حلو ، قليل العصير .

٣- أصناف البلح الرطـب

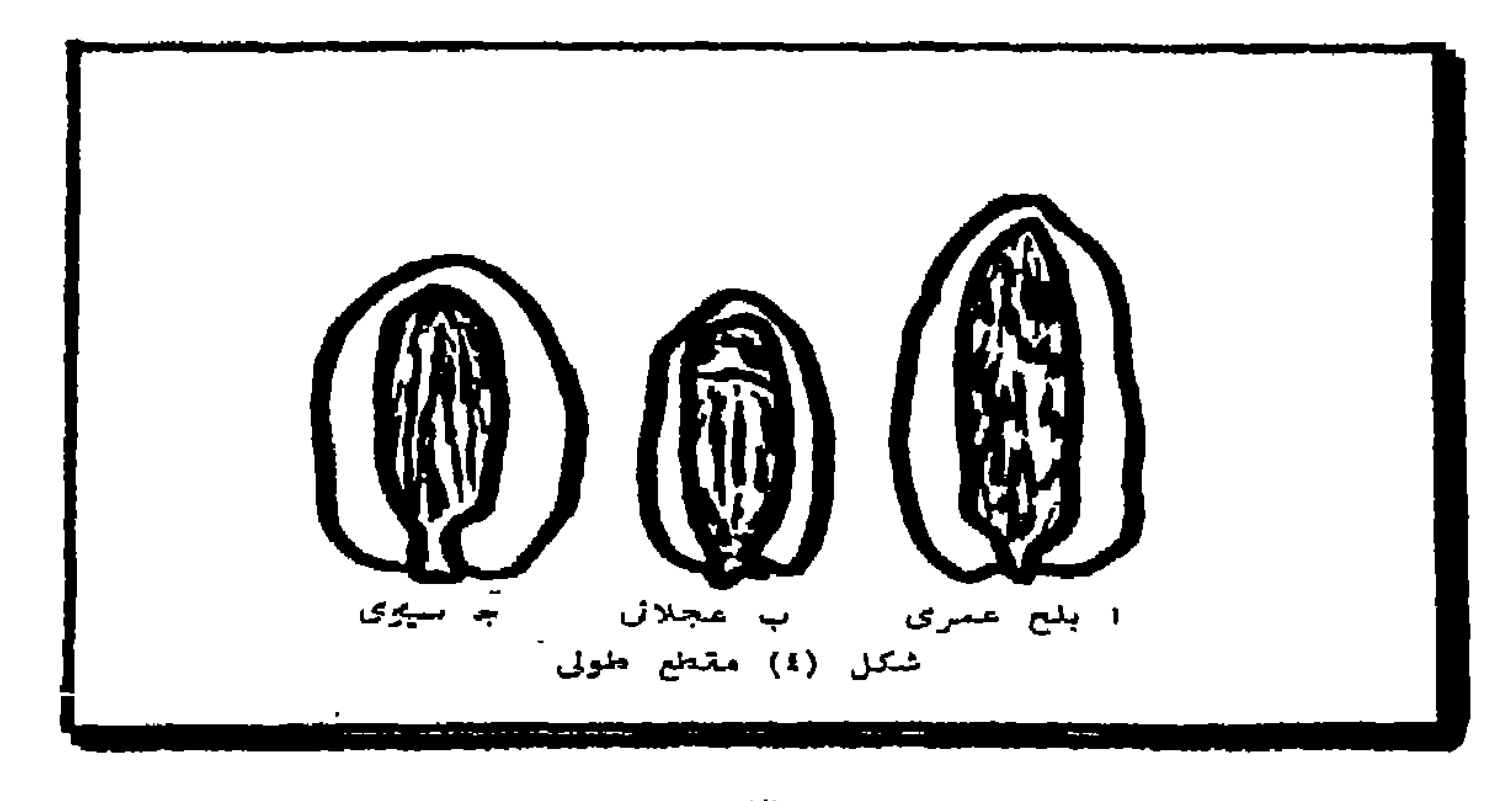
الزغلـــــول	معـــتدلة الضخامة قمتها منفرجة وسعفها مستقيم وغير متدلي الجريد غليظ والأشـــواك قليلة مبعثرة غير ظاهـــرة .	الثمـــرة كبيرة طولها حوالي ٦سم ، وقطـــرها ٢,٥ســـم قشرتها ناعمة ملـــساء لـــونها أحمر زاهي ، اللحم سمـــيك حلو كثير العصارة والنواة عليها تضاريس ، يعتبر الزغلول من أجـــود الأصناف لقلة وجود المادة القابضة فيه .
السمانـــــي	قوية متينة التكوين قمتها معتدلة الكثافة رغم طولها ســـعفها الجـــريد سميك	الثمـــرة سمينة يبلغ طولها ٥,٥سم ، قـــشرتها ناعمة ملساء ، لونها أصفر منقط باللون الأحمر ، واللحم سميك

الأمَهَات	معتدلة الضخامة في كل أجزائها ، قمتها غير كثيفة ، السعف غير معتدل ، الأشواك عديدة متوسطة الطول .	صغيرة نسبياً طولها حوالي ٣,٥سم وعرضها ٢سم ، قمتها مستديرة ، وقاعدتها مفلطحة ، والقشرة صفراء باهتة وهي فجة تصير سمراء بنية عند النضج وتصبح سهلة الفصل ، اللحم لين قليل الألياف شديدة الحلاوة ، يظهر محصولها في أواخر أغسطس .
الحَيَّاني	نحيفة في كل أجزائها ، قمتها معتدلة التكالف وسعفها غير معتدل ، الأشواك طويلة فردية على الجريد ، والخوص متدلي .	كبيرة نوعاً يبلغ طولها ٤: ٥ سم وعرضها ٢,٥سم ، قشرها ناعمة حمراء داكنة إذا كانت فجة وتصير سوداء اللون سهلة الانفصال عند تمام النضج ، اللحم متوسط السمك لين لذيذ الطعم وهو ناضج ، وهو أكثر الأصناف انتشار في الوجه البحري .
بنت عيشة	نحيفة في كل أجزائها ،	معتدلة الحجم غليظة يبلغ طولها ٤

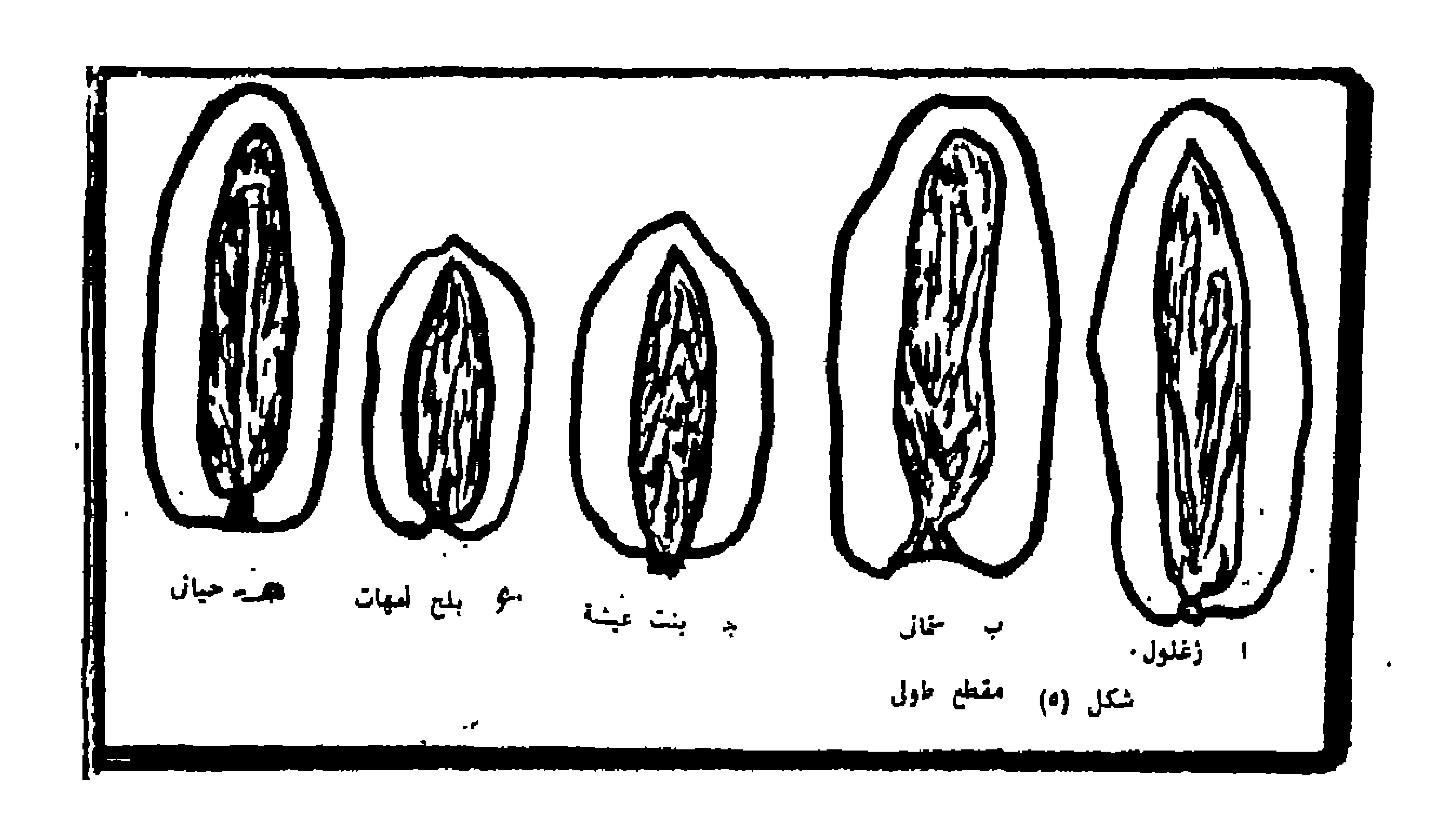
	قمــتها معــتدلة الكثافة الــسعف غــير متدلي ، والجريد دقيق . انظر الشكل (٥) .	ســم وقطــرها ٢,٥ســم مستدقة الطــرف نــسبياً ، القــشرة خشنة الملمــس لونها أحمر داكن وهي فجة تتحول إلى اللون الأسود اللامع عند النضج ، اللحم سميك حلو الطعم.



شكل (٣)



شكل (٤) مقطع طولى



شكل (٥) مقطع طولي

" أماكن تسويق البلح ومكاييله "

وتلقـــى الأســـتاذة " وداد حامد " الضوء على مكاييل البلح وأماكن تسويقه في دراستها القيمة فتقول :

" **المسطاح** " : وهو عبارة عن مساحة متسعة ، ترتفع قليلاً عن سطح الأرض تجنباً للرطوبة ، وتقسم هذه المساحة إلى عدة أقسام بعدد عائلات الواحة المنتجين للبلح ، ويسمى كان منها :

" مـــارس " وهـــو يـــستخدم أيضاً كمخزن لحفظ كميات البلح التي تحـــتاجها العائلة طوال العام ، ويتولى حراسة " المسطاح " حارسا يقوم نـــيابة عن الأهالي بالتفاوض مع التجار الغرباء الذين يقصدون الواحة

لشراء البلح ، ونظير قيامه بهذه الأعمال يدفع له كل منها أجراً يتقاضاه بلحاً في معظم الأحيان " .

وعن مكاييل البلح ذكرت " أن الأهالي يعتمدون في بيع وشراء البلح على مكاييل معروفة لديهم ومتوارثة منذ القدم هي :

الصاع والمرجونة : وكلاهما يصنعه الأهالي من جريد وسعف النخيل، ويقوم " ختّامْ المكاييل " بمراجعة سعة كل منهما ومعايرته بنموذج معتمد لديه فإن وجده مطابقاً أثبت عليه خاتماً من الرصاص محفور عليه رقم وتاريخ اليوم والسنة . يذكر أن مكيال الصاع يعادل ٢,٥كجم ، أما المرجونة فتساوي خمس صيعات (١٢,٥كجم) (١). وقبل شهر رمضان يقوم تجار الجملة بالشراء من أماكن الإنتاج والاتفاق على الكميات والأنواع ، والتي يبدأ توريدها إلى محلاتهم من أول شعبان ، حيث يتجمع تجار التجزئة ، ويقوم العاملين مع تاجر الجملة بفتح "أجولة التمر " ويعرضون ما بها على تجار التجزئة بنظام المزاد ، على أساس السعر للكيلو ، ومن يرسو عليه المزاد يكتب اسمه على الجوال ويتم خياطة ما به من فتحات ثم يحمل إلى الميزان لوزنه وتسجل أوزان الأجولة المشتراة وسعر الكيلو لكل منها في كشف باسم تاجر التجزئة ويحسب إجمالي المشتروات ، ويتم سداد الثمن ونقل البضاعة إلى محل بيع تاجر التجزئة ، الذي يُصنِّفْ الأجولة ويُسَعِّرها من جديد بعد إضافة

---

(١) (أ/ وداد حامد ، ج أخبار الأدب ، القاهرة ، العدد ٣٣) .

مصاريف النقل وهامش الربح – طبقا للأسعار السارية – ويعرضها للجمهور للبيع المجزأ .

• أهم الأمراض التي تصيب النخيل

١- اصفرار الأوراق Chlrosis

وينتج عن نقص عنصري المنجنيز والحديد في التربة الزراعية .

٢- اسوداد طرفي الثمار Black nase

وهو ناتج عن ازدياد الرطوبة الجوية النسبية ، والثمار الصغير أكثر عرضة للإصابة حيث يتشقق طرفي الثمرة ويتلون باللون القاتم ، وتكثر الإصابة به في مصر في الصنف الحياني .

٣- انحناء الرأس : The Bending head

ومن أعراضه اصفرار الرأس ثم جفاف الخوص الخارجي ثم انكسار في القمة بعد أن تكون قد بدأت في الإنحاء التدريجي .

٤- التفحم الكاذب :

Graphiola leaf spot (False smut)

مرض فطري يصيب الأوراق في المناطق الساحلية ذات الرطوبة العالية ويظهر على شكل بقع سوداء منتصفها ذو لون مصفر والبقع أكثر ارتفاعا عن سطح الورقة على شكل دمامل ويقاوم بقطع السعف المصاب

والرش بمحلول بوردو .

٥- التعفن الديلودي لقواعد الأوراق :

Diplodia leaf laserat

مـرض فطري يصيب الفسائل ويظهر في العرق الوسطى للأوراق حيث يتحول لونها من الأخضر إلى الأصفر ويشوبه لون بني ، وتتركز الإصـابة فـي قاعدة الأوراق ولمسافة ٢٠سم تقريباً وينتقل الفطر من قـواعد الأوراق إلى البرعم الطرفي ويقضي على الفسيلة (وقد يحدث الإصـابة فـي البرعم الطرفي مباشرة) وينتقل هذا المرض من تلوث قـواعد الأوراق عند إجراء عمليات التقليم أو الجروح الناشئة عن أي خدش ميكانيكي .

٦- عفن النورات (الخامج) Gnbloresecence Rot

يصيب هذا الفطر البراعم الزهرية ويظهر الفطر ذاته على الأجزاء المـصابة بلون أبيض وردي ثم تتحول الأنسجة إلى اللون البني ، ولا تعطـي الـشماريخ المصابة ثماراً . ويمكن معرفة الأغاريض المصابة بمشاهدة بقع حمراء مستطيلة من الخارج في أوائل الربيع .

٧- اللفحة السوداء Black Scorch

يصيب هذا المرض الأوراق ويظهر على شكل مساحات بنية اللون على العرق الوسطى فتتحول إلى الأسود بتقدم الإصابة ثم جفاف الجزء المصاب مما يؤدي إلى التفاف أو التواء الأوراق [(١)(٢)(٣)(٤)]

❁❁❁❁❁❁

---

(١) د/ محمـود رشـاد شديد ، د/ محمود هاشم البرقوقي ، أساسيات البساتين القاهرة ، ط – ١٩٨٣.

(٢) (د/ صفوت شاكر مهنا ، انتاج الفاكهة ، القاهرة ، ط – ١٩٨٤م)

(٣) (مهـندس / عـبد الحميد أحمد حسن ، م. محمد حسن محمد شعراوي ، مراجعة د/ محمد طلعت قابيل . الفاكهة ، القاهرة ، ط١٩٩٠، ١٩٩١م .

(٤) (م.ز / شـريف فتحي الشرباصي ، إكثار وزراعة نخيل البلح ، الإدارة العامة للثقافة الزراعية ، القاهرة ، ٢٠٠٠م) .

الباب الثاني

الفصل الأول : النخيل في الديانات السماوية

الفصل الثاني : فيما له صلة بالنخيل في القرآن الكريم .

الفصل الثالث : النخيل في السنة النبوية المطهرة .

الفصل الأول

النخيل في الديانات السماوية

احتلت النخلة مكانة رفيعة ، وحظيت بتقدير فريد بين مثيلاتها من الأشجار في الديانات السماوية كافة الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلامية) فقد كان لهذه الشجرة قدسيتها ومكانتها الخاصة في طقوسهم الدينية والشعائرية من خلال ما جاء في كتبهم ومعتقداتهم.

ففي اليهودية : احتل النخيل مكانة رفيعة في طقوس اليهود الدينية : " وفي كل من التوراة والتلمود ، خاصة في عيد الغراريل حيث يأخذ اليهودي سعفا طرياً من لب النخيل ويسجد له بطريقة خاصة ويحمله بيديه عند تلاوته صلاة العيد [(١)]. ولعل أبرز دليل على مكانة النخيل في الديانة اليهودية أن جدران الهيكل الذي بناه سيدنا سليمان الحكيم لعبادة الله كان مكسوا بخشب الأرز ومنقوشاً عليه صور تمثل النخيل ، وكذلك فإن حكيمة بني إسرائيل في عهد القضاة والمسماة : " دابورا " كانت تجلس للقضاء تحت جذع نخلة عرفت باسمها ، كما أن الكثير من اليهود أطلقوا على بناتهم لفظة : " تامار " والتي تعني النخيل والتمر معاً رمزاً لجمالهن وتيمناً بخصوبتهن في المال والبنين . وقد ذكر النخيل في التوراة لأول مرة بعد خروج بني إسرائيل من مصر ودخولهم صحراء التيه في شبه جزيرة سيناء ، حيث وجدوا بعد عبورهم البحر اثنتى عشرة

---

(١) (مرجع سابق) .

عـين مـاء وسـبعين نخلة ، وعند دخول النبي موسى– عليه السلام–[١]. فلـسطين كـان يحمل معه تمرة كتقدير لهذه النعمة المباركة " كما أن شـاعر المزامير الأكبر الصالح يشبه بالنخلة الخصبة " [٢]. واعتبر في التوراة عصارة التمر (الدبس السيال) من الأثمار السبعة الممتازة [٣]. وكانت مدينة أريحا الفلسطينية والتي أسسها العرب الكنعانيون منذ آلاف الـسنين وقبل وصول العبرانيين القادمين من بلاد النيل في ذلك الوقت والتـي كانـت تعرف باسم مدينة النخيل [٤].ويضيف أستاذنا الدكتور / عماد الحفيظ إلى ما سبق : " بل وكانت تفتخر هذه المدينة بالرطب حتى بدايـة العصر المسيحي فيؤمها الأمراء والأميرات[٥]. أما كتاب التلمود

---

(١) (معنى موسى : المنقذ من الماء . روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : إنما سمي موسى لأنه ألقي بين الماء والشجر ، فالماء بالقبطية " مـو " والشجر " سي " وهو أكثر الأنبياء ذكرا في القرآن ، فقد ذكر مائة وستا وثلاثين مرة ، في العديد من السور ، وسبب ذلك الإكثار – كما يقول العلماء أن قصته أشبه قصص الرسل – عليهم السلام – بقصة سيدنا محمد ﷺ من حيث أنه أوتي شريعة دينية ودنيوية ، وكوّنَ الله به أمة عظيمة ذات ملك ومدينة " (انظر : تفسير المنار : ج٩ ص ٣٤) .

(٢) (المزامير ٩٢ – ١٢) .

(٣) (للتوراة : قضاة : ٤ :٥).

(٤) (تثنية ٨ :٨) .

(٥) (مرجع سابق) .

فقـد كتب في القرن الخامس الميلادي من قبل عدد من أحبار اليهود في بـلاد الرافدين ومنهم من ذكر تاريخ كتابته قبل ذلك ، وعلى الرغم من أنـه كتاب وضعي إلا أن اليهود يعتبرونه كتاباً مقدساً لا يقل شأناً عن الـتوراة . ذكر في هذا الكتاب أنه في إقليم " ميسان " [٦]. وسورا [٧]. كان النخيل منتشراً في ضواحي المدن وشوارعها كما كان يزرع أيضاً في داخل البيوت فتخترق جذوعها السقوف لتظلل السطوح . أما الفقراء فكانـوا يسكنون في أكواخ مبنية من سعف النخيل . علما أن فقراء أهل العراق وشمال الجزيرة العربية كانوا وما زالوا يستخدمون هذه المساكن حتى يومنا هذا في بعض المناطق ولم أشاهد ذلك في بلاد الشام وأغوار الأردن لقلـة النخـيل لديهم فلا يستطيع الفقير استخدام السعف اللازم لبناء كـوخه وقـد عدد التلمود فوائد للتمر فذكر أنه يشبع المعدة ويلين الأمعاء ويغذي البدن دون أن يرهله ، وهذا مأخوذ عن أهل سومر وآكد وبابل مما جعلهم يقدسون النخلة ، وهذه هي ذات معتقدات العرب منذ قديم الزمان وما نجده في أشعارهم القديمة وقبل نزول القرآن بزمن طويل . [٨].

---

(٦) (الجـزء الجنوبي من بلاد الرافدين قديماً ، واليوم توجد في جنوب العراق محافظة ميسان) .

(٧) (قـال الـبعض هـي مديـنة الحلـة حالياً ، ولعلها كانت تمثل وسط بلاد الرافدين).

(٨) (مرجع سابق) .

أما في " الديانة المسيحية " :

فقــد اعتبــرها " المسيحيون " : شجرة الحياة ، فتحتها وُلِدَ السيد المسيح – عليه السلام – " حين جاء أمه المخاض وهي إلى جذع النخلة في ليلة الإثنين التاسع والعشرين من شهر كيهك – من الشهور القبطية – وفــيه يشتد البرد [١]. وبسعفها وأغصان الزيتون فرشت الأرض له عند دخــوله القدس تكريماً له واحتفاء به ، كما جاء في إنجيل متى وإنجيل يوحنا :

" وفي الغد لما سمع الجمع الكثير الذين جاؤوا إلى العيد بأن يسوع يأتي " أورشليم " أخذوا سعف النخيل وخرجوا للقائه " [٢]. وما زال هذا التقليد متبعاً في احتفالاتهم الدينية : " وبخاصة في أحد السعف Palm Sunday حــيث يعــيدون التذكيــر بدخــول المسيح المنتصر إلى " أورشــليم مــن خــلال حملهم لسعف النخيل وأغصان الزيتون بأشكال الصلبان والأكاليل [٣]. ويضيف أستاذنا الدكتور / عماد الحفيظ : " ولقد عثــر في العديد من الأديرة القبطية القديمة بمصر على أسطورة التمر ودلالاته في القيمة الغذائية عند الرهبان والقساوسة ، ولعل ذلك مكتسب عــن عــرب الجزيرة أو لأنه كان الطعام الوحيد للسيدة مريم – عليها

---

(١) (بدائع الزهور لابن إياس ، ص ١٨٣) .

(٢) (مرجع سابق) .

(٣) (مرجع سابق) .

الـسلام – عـند مخاضها كما جاء في القرآن الكريم ، وما زالت نخلة التمر تزرع في مقر الكنيسة البابوية بدولة الفاتيكان في روما لأجل تلبية مستلزمات الشعائر

والطقوس الدينية من سعف النخيل في يوم أحد النخيل ، وهو كان العرب يمارسونه قديماً ، وهو ما يعرف بأحد الشعانين لدى المسيحيين فـي مصر ، حيث يجدلون سعف النخيل الطري بأشكال مختلفة بأيديهم ويـضعونها في منازلهم أو يحملونها بأيديهم ابتغاء للبركة، ويتبادلونها كهـدايا قـيمة فـيما بينهم ، ويقول سيادته : أنه : " لم يشاهد ذلك لدى المـسيحيين فـي العـراق وبـلاد الشام ولعل ذلك يعود إلى أن معظم المسيحيين في هذه المنطقة أنهم يتبعون الكنيسة الغربية ــ التي لا تعرف أهمية النخلة بالنسبة لشعوب منطقتنا [٤].

" النخيل في الإسلام "

لشجرة النخيل في ديننا الإسلامي الحنيف مكانة كريمة ، تقديراً لما حباها الله به من القدرة على الصبر والنمو في جوف الصحراء ، لتكون غذاء للإنسان وهي إحدى دلائل الإعجاز الإلهي قدمها لنا المولى – عز وجل – لنتأمل ونتدبر ونستلهم من صبرها وصمودها وعطائها ما يُقَوِّى عـزيمتنا وإيمانـنا ويزيدنا يقيناً ببديع صنع الله ، وفي نصوص القرآن الكـريم والأحاديـث النبوية ما يؤيد هذا القول : – فقد ورد لفظ النخل

---

(٤) (مرجع سابق) .

والنخــيل في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرة في سبع عشرة سورة وذلك في قول الحق - تبارك وتعالى - :

- ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾" سورة البقرة: الآية ٢٦٦ " .

وفــي القرطبي : [١]. روي عن ابن عباس أن - الآية - مَثَلٌ لمن عمــل لغير الله من منافق وكافر ، وَخَرَّجَ البخاري عن عبيد بن عمير قــال : قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يوماً لأصحاب رسول الله ﷺ : فــيم ترون هذه الآية نزلت " أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فغضب عمر وقال : قولوا : نعلم أو لا نعلم ! فقال بن عباس : في نفسي منها شئ يا أمير المؤمنين ، قــال : يا بن أخي قل ولا تحقر نفسك ، قال بن عباس : ضربت مثلا لعمــل . قال عمر : أي عمل ؟ قال ابن عباس : لعمل رجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله - عز وجل - الشيطان فعمل في المعاصي حتى أحرق عمله . وفي رواية : فإذا فنى عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من أعمال الشقاء ، فرضي ذلك عمر . وروي بن أبي ملكية أن عمر تلا هذه الآية . وقال : هذا مثل ضُرِبَ للإنسان يعمل عملاً صالحاً حتى إذا كان عند آخر عمره أحوج ما يكون إليه عَمِلَ عَمَلَ السوء " وكذلك شأن

---

(١) تفــسير القرطبي ، المجلد الثاني ص ١٢٤١ وما بعدها ، ط دار الغد العربي ، القاهرة .

من ينفق ويتصدق ثم يُعقِبُ النفقة والصدقة بالمن والأذى والرياء فَيُبطِلُ بذلك ثواب نفقته ولا يستطيع أن يتصدق من بعد ذلك بنفس طيبة، ومثل هذا البيان يبين الله آياته للناس ليتفكروا فيها ويعملوا بها ، ونشير إلى أن الآيـــة الكـــريمة تحمـــل سبقاً علمياً بذكرها : ﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ﴾ وهو ما فسره العلم الحديث بأن الإعصار: اضطراب جوي يتميـــز برياح شديدة يصحبه رعد وبرق وأمطار وقد يكون فيه نار إذا كـــان مقترناً بتفريغ شحنات كهربائية من السحب أو يحمل قذائف نارية من بركان ثائر قريب يُهلِكُ ماحوله من أشجار وثمارها والنص القرآني يشير إلى كل هذه المعاني [٢].

- ﴿ وَهُـــوَ الَّـــذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ ﴾"سورة الأنعام مـــن الآيـــة ٩٩ " والحق – تبارك وتعالى– أنزل من السحاب ماءً أخرج به نبات كل صنف ، وحبا متراكبا بعضه فوق بعض ، ومن طلـــع الـــنخل عـــراجين أخرجها بقدرته – جل في علاه – محملة بالـــثمار . أمـــا الآيـــة ١٤١ من نفس السورة فيجئ قول الحق – ســـبحانه وتعالى – فيها : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَـــاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ.. ﴾ مشيراً إلى أنه وحده –

---

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، ط ١٩٧٧ م ، القاهرة) .

جل في علاه - خلق حدائق من الكَرْمِ ، منها ما يغرس ويُرْفَع على دعائم - وهو ما يحدث في أزماننا الحالية - ومنها ما لا يقوم على دعـائم ، وخلق النخل والزرع الذي يخرج ثمراً مختلفاً في اللون والـشكل والطعـم والـرائحة .. الخ ، وجميعها يسقى بماء واحد فـسبحان الخالق المنعم . وبذلك يجئ ذكر النخل مرتين في سورة الأنعام .

- ﴿ وَفِـي الأَرْضِ قِطَـعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ ﴾ سورة الرعد- من الآية ٤ " وهمـا جمـع " صنو " ، وهي النخلات والنخلتان يجمعهن أصل واحـد ، وتتشعب منه رؤوس فتصير نخيلا . ونظيرها : قنوان ، واحـدها : قـنو وروي أبـو اسحق عن البراء قال : الصنوان : المُجْـتَمِعُ . وغير الصنوان : المتفرق ويقال للنخلة إذا كانت فيها نخلة أخرى أو أكثر : صنوان ، والصنو : المثل . مثل قول النبي ﷺ" عم الرجل صنو أبيه " ولا فرق فيها بين التثنية والجمع [1].

وفـي الآية ذكر كريم للعديد من علوم الأراضي والبيئة من خلال صفاتها الطبيعية والكيميائية والحيوية وتأثيراتها على النباتات المنزرعة بها ، وهو ما يدل على قدرة الخالق وإبداعه وروعة الخلق فالأرض كما نقول نحن الزارعيين : تختلف من شبر إلى شبر . وأورد " معجم النبات

---

(١) القرطبي ، مجلده ، ص ٣٦١٧ .

الكويتي " إفاضة علمية آثرة حول " صنوان " و " غير صنوان " :

" من المعروف علمياً أن البذرة التي ينتجها أي نوع نباتي ، ما هي إلا نــتاج اتحــاد حــبة من حبوب اللقاح الذكرية ، وبويضة في مبيض الزهرة ، وحبوب اللقاح قد تكون من نفس الزهرة التي تلقح بويضتها أو من زهرة مختلفة أو من زهرة يحملها فرد آخر من نفس النوع . يعني ذلــك أنه في أحوال كثيرة تنشأ حبوب اللقاح في أزهار ونباتات تختلف فــي صفاتها الوراثية عن تلك التي تنشأ فيها البويضة . ويعد ذلك سبباً رئيــسياً مــن أسباب تباين الصفات الوراثية للبذور الناتجة . وفي كل الحالات فإن البذرة الناتجة تحمل صفات من النباتين الأبوين فهي ليست مــن أصــل واحــد . والنباتات التي تنتج عن إنبات هذه البذور " غير صنوان " أي : حدث تهجن عند تكوين بذرتها ، وهي عملية تندمج فيها الــصفات الوراثية ويؤدى ذلك إلى إنتاج نباتات ذوات صفات قد تختلف عــن النباتين الأبوين " ويبين " المعجم " مدى استفادة الباحثين من هذه الظاهرة : - فهم يقدمون للبشرية أعظم خدمة من خلال تربية النباتات وإنــتاج سلالات منها أكثر إنتاجاً ، أو أعظم مقاومة لبعض الأمراض ، أو أكثــر تحمــلاً لغيــر ذلك من المشكلات ، وذلك بالتهجين ، وإنتاج سلالات مختلفة ، لاشك أن نباتاتها غير صنوان " ذوات أصول متباينة غيــر متماثلة ، - ومن بين أيدينا اليوم حشد هائل من السلالات من كل نــوع نباتي ، خاصة من التي نأكل ثمارها ، والتي عمل الباحثون على إنتاجها بالتهجين المستمر ، مثل البطيخ بسلالاته المختلفة ذوات الأشكال

والألوان والطعوم المتباينة رغم أنها تنتمي إلى نوع نباتي واحد .

-وفي النخيل والمانجو والعنب وغيرهم : يُرَى ذلك أيضاً في سلالات من نوع واحد ، تزرع في مكان واحد ، وتروى بماء واحد ، ولكننا نلحظ الفروق الواضحة في اللون والشكل والحجم والطعم ، وكل هذه الصفات التي نراها أو نتذوقها ما هي إلا نتاج صفات وراثية تتوارثها جيلاً بعد جيل ، وعمليات التهجين تفيد في الاندماجات الوراثية ، مما يستتبعه تغيير في اللون والشكل والحجم والطعم .

أما النباتات التي تنتج عن فسائل أو تطعيم بالقلم أو البرعم ، أو الترقيد لفروع منها في التربة أو عن درنة أو جزء من كورمة أو بصلة (وهو ما يعرف بعملية التكاثر الخضري Vegetative Reproduction) فإنها تحمل صفات وراثية مماثلة للنبات الذي أخذت منه . وهي نباتات " صنوان " لأن " صنوان " تدل على الأصل الواحد ، وعدد من العقل من نبات واحد ، أو درنات من نبات واحد يعطي نباتات تحمل نفس الصفات الوراثية للنبات الأم ، أي نباتات صنوان . إنها قدرة الله – جل في علاه – الذي ملأ الآفاق إعجازاً وآيات مبهرات ، ستظل على مدار الأزمان وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها شاهدة بوحدانيته وعظمته .

- أما في سورة " النحل " فقد ورد ذكر النخيل مرتين :

الأولى : قوله – تعالى – ﴿ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ

وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الآية : ١١ "
والحديث في الآية عن " الماء " الذي ينزل من السماء وينبت الله به كل الثمرات تكريماً للإنسان الذي يجب أن يفكر دوماً في القدرة التي أوجدت تلك النعم .

الثاني : قوله – تعالى – ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ الآية : ٦٧ .
ونلاحظ أن الآية ١١ تحدثت عن إنبات النباتات بالماء ، بينما أشارت الآية ٦٧ إلى ما يستخرج من تلك النباتات من أغذية وعصائر المسكر منها غير حسن ، والآخر : طعاما حسنا ، وفي ذلك كله علامات وإشارات تنبه العقول إلى قدرة الله ورحمته لقوم ينتفعون بالتدبر والتأمل في بديع صنع الله وكرم عطاءاته .

ولا يفوتنا أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى تأمل : التكامل الإلهي الحكيم في عرض وبيان أنعم الله وإعجازها الخلقي ، واقتران ذلك ببيان فوائدها الصحية والغذائية في الآيتين الكريمتين ، وهو نهج القرآن الدائم في كل القضايا التي يتناولها ويتعرض لها .

- وقوله – تعالى – ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا ﴾ سورة الإسراء– الآيتين : ٩٠، ٩١ ".

والمخاطب في الآية هو النبي ﷺ في مواجهة إصرار كفار قريش

علــى إنكار : إعجاز القرآن ، فاقترحوا الآيات والمعجزات الواحدة تلو الأخــرى ومنها ما قالوه في الآية : ٩٠ : حين جعلوا شرط إيمانهم أن يفجر لهم من أرض مكة عينا لا ينقطع ماؤها ، أو يكون للنبي ﷺ بستان بمكـــة من نخيل وعنب وتتفجر الأنهار في وسطه تفجيراً كثيراً ، وغير ذلك من الحجج ، والتي تناولتها الآيات التالية للآيتين الكريمتين ، والتي بيـــنت عـــدم إذعانهم للحق ، وزعمهم جهلا منهم أن الله - تعالى - لا يـــبعث رسله من البشر بل من الملائكة ، وهو فساد في الفكر والطباع يستحقون عليه الجزاء والعذاب بسبب كفرهم بالرسل والأدلة التي جاءت بالحق

- وقـــوله - تعالـــى - ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ سورة الكهـــف الآية : ٣٢ " والخطاب للنبي ﷺ في شأن الكفار الأغنياء مـــع المؤمنـــين الفقراء ، وهي مثل لما وقع فيما سلف بين رجلين كافر ومؤمن ، وللكافر حديقتين من أعناب (وحففناهما بنخل) أي: أحطناهما وأطفناهما بنخل : والحفاف : الجانب . وجمعه : أحفه ، ويقـــال : حـــف القـــوم بفلان يحفون حفاً : أي طافوا به ، ومنه : (حافين من حول العرش) [1]. والإحاطة بالنخيل لما فيه من فوائد غذائية وجمالية وبين الجنتين زرعاً نضراً مثمراً . والآية الكريمة والتالية لها تنطقان بعدد من الحقائق الإعجازية والعلمية والزراعية

---

(١) القرطبي ، مجلده ص ٤١٣١ .

والحسية التي تنبه البشرية إلى : الاستغلال الأمثل لكل شبر من الأرض الزراعية ، وضرورة زراعة المسافات البينية بمحاصيل أخرى وهو ما يعرف " بالمحاصيل المؤقتة " كالبرسيم والخضروات بأنواعها (٢).

وقوله- تعالى- : ﴿ فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ سورة مريم الآيات ٢٣ : ٢٥ "

بعد أن تحققت إرادة الله ، وحملت مريم بعيسى على الوجه الذي أراده – جل في علاه – ذهبت بحملها إلى مكان بعيد تستتر فيه عن أعين الناس (فَأَجَاءَهَا) : اضطرها المخاض إلى طلب الاستناد إلى شئ ، وتتعلق به ، كما تتعلق الحامل لشدة وجع الطلق ، والجذع : ساق النخلة اليابسة في الصحراء الذي لا سعف عليه ولا غصن ، ولهذا لم يقل : " إلى النخلة "

و(هزي) : أمر إلهي لمريم بهز الجذع اليابس لترى آية أخرى في إحياء موت الجذع ، وقال ابن عباس : " كان جذعاً نخرا فلما هزت نظرت إلى أعلى الجذع فإذا السعف قد طلع ، ثم نظرت إلى الطلع قد خرج من بين السعف ، ثم اخضر فصار بلحاً ثم احمرَّ فصار زهورًا ،

---

(٢) للمزيد أنظر للمؤلف : أصول الأمن الغذائي في القرآن والسنة .

ثـــم رطـــبا ، كل ذلك في طرفة عين فجعل الرطب يقع بين يديها [1].
وأورد " القرطبـــي " [2]. قـــول " الربيع بن هيثم " : " ما للنفساء عندي خيـــر مـــن الـــرطب ، ولو علم الله شيئا هو أفضل من الرطب للنفساء لأطعمه مريم ، ولذلك قالوا : التمر عادة للنفساء من ذلك الوقت و كذلك التحنـــيك و قـــيل : إذا عـــسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب ،ولا للمـــريض خير من العسل ، " ذكره الزمخشري " وفي الآيات : إعجاز إلهـــي : بعـــدما ثبت طبيا أن البلح الرطب يحتوي على المواد الغذائية الرئيسية في صورة مركزة وسهلة الهضم ،وأنه بذلك يناسب النفساء .

" وقـــد كـــان في الإمكان أن ينزل الرطب لها بدون هز طالما أن الـــشجرة إخْـــضَرَّتْ بعد يبسها وأثمرت في غير أوانها كرامة لمريم ، ولكن الله أراد أن ينكرها بالسبب حتى لا تنسى في غمرة الأحداث التي تمت لها بدون أسباب ظاهرة : التمسك بالأسباب الظاهرة : فحملها دون زواج ، وإثمار الشجرة اليابسة العجفاء فور نزولها تأكيد لإمكانية تخطي الأســـباب ، فجاء الأمر بالهز لها لتعاطي الأسباب بعد تخطيها ، جريا على سنة الكون ولذلك قال أحد الشعراء منبهاً إلى هذا المعنى :

ألم تـــر أن الله قـــــال لمريـــم ... وهزي إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أدنى الجذع من غير هزها ... جنتـــه ولكـــن كـــل شئ له سبب [3]

---

(١) مرجع سابق مجلد ٦ ، ص ٤٢٦٣ .
(٢) (م: ٦ ، ص ٤٢٦٧) .
(٣) د/ حمزة النشرتي ولخرين ، سلسلة القصص القرآني مجلده ، ص ٦٥ ، ٦٦ .)

وقــوله تعالى : ﴿ فَلأقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴾ " سورة طه " : الآية : ٧١ " بعــد أن آمن السحرة بصدق موسى ، ومبادرة فرعون بسؤالهم : كيف تؤمنون به دون إذن مني ؟ واتهامه إياهم بأنه رئيسهم الذي علمهم السحر : توعدهم وهددهم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلال ، وصلبهم (في جذوع النخل) أي : على جذوع النخل .

قال " سويد بن أبي كامل " :

هم صلبوا العبديَّ في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بِأجْدَعَا

والجذع : واحد جذوع النخلة ، ويطلق على ذلك الجزء الاسطواني الذي يعلو من النخيل . وقد وردت كلمة جذع مرتين (انظر مريم ٢٣ ، ٢٥) أما جذوع فقد وردت مرة واحدة في طه ٧١.

- وقوله تعالى : ﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ " سورة المؤمنون – الآية : ١٩ " .

والحديث عن الماء ، الذي خلق به الحق – تبارك وتعالى – حدائق من نخيل وأعناب ، وللبشر فيها فواكه كثيرة ، ومنها يأكلون .

وقــوله تعالى : ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ ســورة الــشعراء الآيتــين : ١٤٧ ، ١٤٨ وفي الآيتين كما في الآيات الــسابقة نلحظ ارتباط النخل بالجنات ، وهو يشير إلى جماله وبهاءه ،

وفـــي " القرطبي " [1]. الجنات هنا : تتناول النخل ، حتى أنهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون إلا النخل ، كما يذكرون النعم ولا يريدون إلا الإبل .

قال زهير :

كأن عَيْنَيَّ في غَرْبِي مُقَتَّلَةٌ　　　من النواضح تسقى جَنَّةً سُحقًا

يعني النخل : والنخلة السحوق : البعيدة الطول . وطلعها : ثمرها الذي يؤول إليه الطلع وهضيم : رطب ناضج أو متدل لكثرته . ويذكر شيخنا الجليل " أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري"[2]. أن التمر لا يقتل ، تعليقا على ما قاله الحاكم : زادني الثقفة من أصحابنا : أنه مات منها (يقـصد أبي الحسن مسلم بن الحجاج حين التهم سلة التمر وهو يبحث عـن حـديث لـم يعرفه) فالتمر كان وجبة رئيسية في سنين مضت ، وكانـت أنواع التمر محدودة فكثرت بحمد الله أنواع الرطب ونوادره ، وكـان الـنخل بالملايين : أضعاف السكان أضعافاً مضاعفة ، ورأيت بعـض طلـبة العلم يتلذذون به ، ويتحدثون بمأمن عاقبته ، وانه سريع الهـضم ، احتجاجاً بقوله – تعالى – : (وزروع ونخل طلعها هضيم) ويورد : " أبو عبد الرحمن " أنه حين كان يوم السبت (٥/ ٣/ ١٤٢٠ هـ – ١٩ يونيو ١٩٩٩ م) بمجلس صاحب السمو الملكي الأمير / سليمان

---

(١) مجلد ٧ ص ٥٠٠٧ .

(٢) المجلة العربية ، العدد ٢٦٧ – ربيع الآخر ١٤٢٠هـ – أغسطس ١٩٩٩م ، ص ٦٨ .

بن عبد العزيز – حفظه الله – قول سموه : أنه سأل سماحة الشيخ " ابن باز " (١٣٣٠ – ١٤٢٠ هـ) – (١٩١٢ – ١٩٩٩م) – رحمه الله عن هذا المعنى : (يقصد سريع الهضم) فلم يقره .

وأورد " أبو عبد الرحمن " قول " الماوردي في " النكت والعيون " أن في تلك الآية الكريمة عشرة تأويلات :

١- الرطب اللين ، قاله عكرمه .

٢- المذنِّب من الرطب ، قاله : الحسن .

٣- الذي ليس فه نوى ، قاله : الحسن .

٤- المتهشم المتفتت ، قاله : مجاهد .

٥- المتلاصق بعضه ببعض ، قاله : أبو صخر .

٦- الطلع حين يتفرق ويخضر ، قاله الضحاك .

٧- اليانع النضيج ، قاله : ابن عباس .

٨- المكتنز قبل أن ينشق عنه القشر ، حكاه بن شجرة .. قال الشاعر :

كان حمولة تجلى عليـــــه هضيم ما يحس له شقوق

٩- الرخو / قاله : الحسن

١٠- إنه اللطيف قاله الكلبي .

ثم قال " الماوردي " : ويحتمل أن يكون الهضيم هو الهاضم المرئ .

- وقـوله – تعالى – : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِـيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴾ سورة يس – الآية : ٣٤ " والآية الكريمة تبرز مع مثيلاتها السابقات معانى وحقائق علمية لم يتعرف عليها العلماء إلا حديـثاً : فالمنظر الخلاب ، الذي تكون عليه الحدائق والبساتين ومـا بهمـا مـن نخيل وأعناب، وما بينهما من عيون الماء لري أشـجارهما وإخـراج ثمارهمـا بلوحتها الجمالية التي تبتهج بها النفوس وتغذي شغاف القلوب بآيات الإبداع الإلهي هي : من صنع الله ، وهو ما يدفع الإنسان بتأملها إلى آداء حق الله عليه بالإيمان ، والثناء دوماً عليه .

وقوله – تعالى – : ﴿ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾ سورة : ق – الآية : ١٠ .

(النخل باسقات) طوالاً ، أو حوامل .

وقال : " عبد الله بن شداد " بسوقها واستقامتها في الطول .

وقال : " الحسن وعكرمه والفراء " : مواقير حوامل ، يقال للشاة : بسقت إذا ولدت .

قال الشاعر :

فلما تركنا الدار ظلت منيفة بِقَرَّانَ فيه الباسقات المواقر

ويقال : بسق النخل بسوقا : إذا طال .

وقال الشاعر :

لنا خمر وليست خمر كـرم ولكن من نتاج الباسقات

كرام في السماء ذهبن طولا وفات ثمارها أيدي الجُنَاةِ

وفي " القرطبي " أيضاً : [1] (لها طلع نضيد) الطلع هو أول ما يخرج من ثمر النخل ، يقال : طلع الطلع طلوعا وأطلعت النخلة . وفي كلمات القرآن .. تفسير وبيان " لفضيلة المرحوم الشيخ / حسنين محمد مخلـوف (الأربعـاء ١٨ رمضان ١٣٠٧ هـ - (الأحد ١٩ رمضان ١٤١٠ هـ)- (٦ مايو ١٨٩٠ - ١٤ إبريل ١٩٩٠م): (لها طلع) : هـو ثمرها ما دام في وعائه . و(نضيد) : متراكم بعضه فوق بعض . وهو ما يتفق مع ما جاء في " البخاري " : (النضيد) : الكفري ما دام في أكمامه ، ومعناه : منضود بعضه على بعض ، فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد .

ويلفت أستاذنا الدكتور / زغلول النجار أنظارنا إلى إعجاز علمي هـام يـؤكد تفرد رسالة الإسلام ن وهو يبين لنا : " روعة القُوَى التي وضـعها الله – جل في علاه – في النخلات الطوال كي تمكنها من رفع العـصارة الغذائـية من التربة إلى قمتها ، ويؤكد لنا حقيقة أن هناك ما يقرب من العشرة آلاف زهرة على الطلع الواحد منضودة أي : متراكبة بعـضها فـوق بعض فتأتي الثمار منضودة كذلك ، وهي حقائق لم تكن

---

(١) مجلد ٩ ، ٦٤٠٦ .

معـــروفة فـــي زمن الوحي ، ولا لقرون متطاولة من بعده أبقاها الله – تعالى – في محكم كتابه شاهده له بأنه كلام الله الخالق ، وشاهدة للنبي الخاتم – الذي تلقاه بالنبوة والرسالة، فصلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ودعا بدعوته إلى يوم الدين [1].

وقـــوله – تعالـــى – ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ * تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ سورة القمر – الآيتين : ١٩ – ٢٠ "

والحـــديث عـــن " عـــاد" التي كذبت رسولها " هودا" فكان العقاب الإلهـــي : أن سلط الله عليهم (ريحا صرصرا) أي : شديدة السموم أو البـــرد أو الصوت ، في (يوم نحس مستمر) أي في يوم كان مشئوما عليهم ، وقال : " ابن عباس " أي : في يوم كانوا يتشاءمون به .

وقـــال : " الزجاج : قيل في يوم أربعاء . وقال : " بن عباس " : كان آخر أربعاء في الشهر أفنى صغيرهم وكبيرهم . واستمر فيه العذاب علـــيهم حتـــى الهلاك . و(تنزع الناس) : صفة للريح التي تقلعهم من مواضعهم . قيل : " قلعتهم من تحت أقدامهم اقتلاع النخلة من أصلها " وتبقـــى تلك الحفر كأنها أصول نخل هلك ما كان فيها فتبقى مواضعها منقعرة و (أعجاز نخل) أي : أصوله بلا رؤوس.

- وقـــوله – تعالى – : ﴿ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأكْمَامِ ﴾ سورة

---

(١) من أسرار القرآن ، ج الأهرام ، الحلقة ٩٤-١٤ /٧ /٢٠٠٣ م ، ص١٢ .

الـــرحمن الآيـــة : ١١) والحديث عن الأرض وما فيها من خيرات الإنعـــام الإلهي التي سُخِّرَتْ للبشر ولحياتهم ، ومن بينها الأنواع العديدة من الفواكه ، والنخيل ذات الأوعية التي فيها الثمر . وأكمام الـــنخل : مـــا غطى جمارها من السعف والليف والجذع ، فالعذق والطلع قبل أن يخرجا مغلفان في أكمام .

وفـــي معجـــم النـــبات الكويتي : " الثمرات في الأكمام ما هي إلا مبايض لقحت بويضاتها بحبوب اللقاح وأخصبت ، وكل بويضة مخصبة تنتج بذرة ، وتوجد البذرة أو البذور في الثمرة . وكل هذا مغلف بأغلفة هـــي الأكمـــام ، وخروج الثمرة بعد إخصاب البويضات في المبيض ، يتشابه مع خروج الجنين من بطن الأم عند الولادة ، وكلاهما لا يحدث إلا بعلمـــه جـــل شأنه من خالق قدير . وقد وردت كلمة أكمام في الآية الـــسابقة ، وكلمة : (أكمامها) في الآية ٤٧ من سورة فصلت في قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلا تَضَعُ إِلا بِعِلْمِهِ ﴾ [٢].

وقـــد تكرر وورد لفظ " نخل " في سورة الرحمن في الآية ٦٨ في حـــديث الحق – سبحانه وتعالى – عما في الجنان من خيرات وأنعـــم : ﴿ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ وفي " القرطبي " عن ابن عباس " قال: " نخـــل الجنة جذوعها زمرد أخضر ، وكرانيفها ذهب أحمر ، وسعفها

---

(٢) (ص ٤١) .

كسوة لأهل الجنة ، منها مُقطعاتهم وحُللهم ، وثمرها أمثال القلال والدلاء أشـد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيه عجم . قال : " وحدثنا المسعودي " عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة قال : نخل الجـنة نضيد من أصلها إلى فرعها ، وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى ، وإن ماءها ليجري في غير أخدود ، والعنقود اثنا عشر ذراعا " [1].

ونشير إلى أن تكرار الحديث عن النخيل في آي الذكر الحكيم جاء لفـضل ثمارهـا على غيرها من الثمار ، ولما أودع الله فيها من مزايا أثبـتت العلـوم الغذائـية والطبية الحديثة وجودها فيها : فبتحليل التمر كـيماوياً وجـد أنـه يحتوي على ١٣ % ماء ، وبروتينات وفيتامينات وهـرمونات ، ٥ر٢ دهـون ، ١,٥ % أملاح معدنية ، ١٠ % ألياف ، ومعظمه سكريات (٧٠%) من سكر القصب ، والسكر المحول (سكر الفاكهـة وسـكر العنب : الفركتوز والجلوكوز) وهو سهل الاحتراق ، ويـستفيد مـنه الجسم في إنتاج طاقة عالية ، ولعل ذلك ربما كان وجه الحكمـة في أمر الله للسيدة مريم بتناول الرطب كي يعوضها عما بذلته من جهد ، وما فقده جسدها من سوائل أثناء المخاض .

- وقـوله – تعالى– : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ سورة الحاقة – الآية ٧.

---

(١) (مجلد ٩ ، ص ٦٥٨٦) .

والحديث عن قوم عاد ، الذين أهلِكوا بريح باردة عنيفة متمردة ، سلطها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة بلا انقطاع، فترى في مهاب الريح موتى كأنهم : أصول نخل خاوية أجوافها . "وأصل النخل أسفله الذي تخرج منه الجذور الليفية وأساسه الذي يقوم عليه ، ومنشؤه الذي ينبت منه ، وعندما تجف النخلة فإن أصلها يصبح خاوياً ، ليس فيه لب ، وذلك لأن خلايا الأصل قد ماتت وَضَمُرَتْ وفقدت ماءها ،وجفافها وموتها يجعلها كأنها خويت مما كان بها. وهذه الظاهرة تحدث عند اقتلاع النخل وموته.وليس أشد خواء من أصل النخلة بعد موتها،حيث لا توجد عناصر خشبيه كثيره كتلك التى توجد في أصول الأشجار الخشبية ".وقدوردت كلمة "أعجاز مرتين في القرآن الكريم في الآية ٢٠ من سورة القمر، والآية السابعة من سورة الحاقة .

وقوله- تعالي -:﴿ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴾ "سورة:عبس- الآية :٢٩" في معرض دعوة القرآن الكريم للإنسان ليتأمل : شأن طعامه ، كيف دَبَّرَهُ المولي- جل في علاه- وأنزل من أجل ذلك:الغيث

وشق الأرض بالنباتات شقا ، وأنبت فيها حبا يقتات به الناس ويدخرونه ، وعنبا ونباتا يؤكل رطبا ، وزيتونا طيبا، ونخلا مثمراً ، وحدائق ملتفة بالأغصان .. الخ العديد من النعم التي أنعم الله بها على عباده منذ نشأتهم وحتى نشورهم .

ويمكن إيجاز ما يتعلق بألفاظ النخيل معرفاً وغير معرف ،

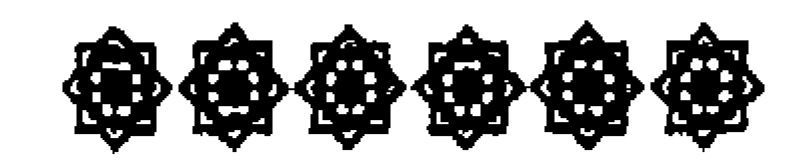
ومجموع ، طبقا لترتيب السور الكريمة بالمصحف الشريف في الجدول التالي :

م	اسم السورة	الآيات		بيان الكلمات					
				نخيل	نخل	النخل	النخيل	النخلة	الجملة
١	البقرة	٢٦٦	-	١					١
٢	الأنعام	٩٩	١٤١		١	١			٢
٣	الرعد	٤	-	١					١
٤	النحل	١١	٦٧			١	١		٢
٥	الإسراء	٩١	-	١					١
٦	الكهف	٣٢	-		١				١
٧	مريم	٢٣	٢٥					٢	٢
٨	طه	٧١	-			١			١
٩	المؤمنون	١٩	-	١					١
١٠	الشعراء	١٤٨	-		١				١
١١	يس	٣٤	-	١					١
١٢	ق	١٠	-			١			١
١٣	القمر	٢٠	-		١				١
١٤	الرحمن	١١	٦٨		١	١			٢
١٥	الحاقة	٧	-		١				١
١٦	عبس	٢٩	-		١				١
١٦	الجملة	١٦	٤	٥	٧	٥	١	٢	٢٠
		٢٠							

ومن الجدول عالية يتبين :

ورود ذكر ألفاظه في ستة سور بالقرآن الكريم .

ورد ذكـر ألفاظه في عشرين موضعاً بالقرآن الكريم ، منها أربع سـور ورد بكل منها ذكر ألفاظه مرتين وهي سور : الأنعام ، النحل، مريم ، الرحمن ، بإجمالي ثمانية مرات ، بينما مرد لفظه مرة واحدة في اثنتى عشرة سورة .



" الفصل الثاني "

(فيما له صلة بالنخيل في القرآن الكريم)

مـــن إحـــسان الله – جل في علاه – على عباده : أن يعينهم على الإيمان به وطاعته ، وتلبية أوامره الدائمة بالتدبر والتفكير في عطاءاته وإنعامه ، ومن فيض الهداية الإلهية أن يحرص الإنسان على الربط بين المخلـــوقات ومـــا له صلة بها ، ولأن مادة " النخيل " تتسم بثراء لغوي وفكري وعلمي كبير ، كان لابد أن نضع في بؤرة الضوء ما يتصل بها فـــي القـــرآن الكريم حتى تزهو اللوحة الفكرية ، وتكتمل نورانياتها ، وتأتلـــق إشـــعاعاتها الروحية في شغاف قلوب القراء الكرام ومكامنهم الفكـــرية ، وينابيعهم الوجدانية ، داعين الله – العلي القدير – أن يعيننا ويجعل التوفيق حليفنا :

- قول الحق – تبارك وتعالى – : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَـــةً عَلَـــى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ " سورة الحشر – الآية : الخامسة "

فـــي المنـــتخب فـــي تفـــسير القرآن الكريم : " ما قطعتم – أيها المسلمون – من نخلة أو تركتموها باقية على ما كانت عليه فبأمر الله ، ولا حـــرج عليكم فيه ، ليعز المؤمنين ، وليهين الفاسقين المنحرفين عن شرائعه " [1]. وقال صاحب " كلمات القرآن .. تفسير وبيان " – رحمه

---

(١) (ص ٨١٥) .

الله - : (لينة) : نخلة ، أو نخلة كريمة . وفيها اختلفت الآراء :

- عن الزهري وآخرين : أنها النخل كله إلا العجوة .

- وعن ابن عباس ومجاهد والحسن : أنها النخل كله ، ولم يستثنوا عجوة ولا غيرها .

- وعن ابن عباس أيضاً : أنها لون من النخل .

- وعن الثوري : أنها كرام النخل .

- وعن أبي عبيدة : أنها جميع ألوان التمر سوى العجوة والبرني

وقال جعفر بن محمد : " إنها العجوة خاصة . وذكر أن العتيق والعجوة كانتا مع نوح - عليه السلام - في السفينة ، والعتيق : الفحل . وكانت العجوة أصل الإناث كلها فلذلك شقَّ على اليهود قطعها ، حكاه " الماوردي " .

وقيل : هي ضرب من النخل يقال لتمره : اللَّونْ ، وتمره أجود التمر ، وهو شديد الصفرة ، يرى نواه من خارجه ويغيب فيه الضرس ، والنخلة منها أحب إليهم من وصيف ، وقيل : هي النخلة القريبة من الأرض . وأنشد " الأخفش " :

قد شجَاني الحمَامُ حين تغنى بفراق الأحباب من فوق لينة

وقيل إن اللينة : الفسيلة ، لأنها ألين من النخلة .

وفي" المعجم الوجيز" : (اللين) : كل أنواع النخل ، الواحدة: لينة [٢].

---

(٢) (ص ٥٧٠) .

ومنه قول الشاعر :

غرسوا لينها بمجرى معين ثم حفُّوا النخيل بالآجلم

وقيل : إن اللينة : الأشجار للينها بالحياة

قال ذو الرمة :

طِراقُ الخوافي واقع فوق لينة ندى ليله ريشة يترقرق

والقول العاشر " للأصمعي " : أنها الدقل . وأهل المدينة يقولون : لا تنتفخ الموائد حتى توجد الألوان ، يعنون : الدقل .

ولم ترد كلمة " لينة " في غير هذه الآية بالقرآن الكريم .

- أما الآية ٣٩ من سورة " يس" والتي يقول فيها الحق – جل في علاه – ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ فالقمر بتدبير الله – عز وجل _ جعلت له منازل ، إذ يبدو أول الشهر ضئيلا ، ثم يزداد ليلة بعد ليلة ، إلى أن يكتمل بدراً ، ثم يأخذ في النقصان كذلك ، حتى يعود في مرآه كأصل العنقود من الرطب إذا قدم : دق وانحنى واصفر ، ثم بعد هذا يبديه الله – تعالى – لنا جديداً في أول الشهر الجديد .

ويورد لنا أستاذنا الجليل الدكتور / زغلول النجار : قبساً معرفياً جليلاً من أقوال المفسرين حول : (والقمر قدرناه منازل ..) باستفاضه آثره نجتزي منها :

" وجاء في تفسير الجلالين - رحم الله كاتبيه - ما نصه : (والقمر بالرفع والنصب وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده (قدرناه) من حيث سيره (منازل) ثمانية وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً ، وإن كان تسعة وعشرين يوماً (حتى عاد) في آخر منازله في رأي العين (كالعرجون القديم) : كعود الشماريخ : جمع شمراخ وهي عيدان عنقود النخيل الذي عليه الرطب إذا عتق فإنه يرق وينقوس ويصفر " [1]. وفي (العرجون) يقول " الزَّجَّاج : هو عود العذق الذي عليه الشماريخ ، ثم يحدث له انعراج ، وقال : " قتاده " : هو العذق اليابس المنحني في النخلة .

وقال : " ثعلب " (العرجون) الذي يبقى من الكباسة في النخلة إذا قطعت .

وقال " الخليل " في " باب الرباعي " : (العرجون) أصل العذق وهو أصفر عريض يشبه به الهلال إذا انحنى .

وقال " الجوهري " (العرجون) أصل العذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابساً و (عرجنه) : ضربه بالعرجون . فالنون على قول هؤلاء أصلية ، منه شعر " أعشى بن قيس بن ثعلبه " :

شرق المسكُ والعبير بها　　　فهي صفراء كعرجون القمر

---

(١) د/ زغلول النجار ، من أسرار القرآن ، ج الأهرام ، الحلقة ٦٣ ، ٢/ ٩/ ٢٠٠٢ ، ص ١٢) .

و(العرجون) إذا عتق ويبس وتقوس شبه القمر في دقته وصفرته به .

ويقـال للعـرجون أيضاً : الإهان والكباسة والصفو ويسميه أهل مصر : السباطة .

ذكره " الزمخشري " وقال : هو عود العذق ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة .

ومـن بـين أوجه الإعجاز العلمي في الاية الكريمة التى أوردها أستاذنا الجليل الدكتور / زغلول النجار – حفظه الله ورعاه – نلتقط قول سـيادته عـن المـرحلة الأخيـرة من مراحل الدورة الشهرية للقمر ، وتـشبيهها بالعـرجون القديم : " وهو العنقود من الرطب (العذق) إذا يـبس وانحنى واصفر لونه وهو عند يبوسه على النخلة ينحنى تجاهك فكـذلك الهلال الثاني ينحنى بطرفيه تجاه الأرض ، بينما الهلال الوليد ينحنى بهما بعيداً عنها .. فما أروع هذا التشبيه القرآني .. "[1].

- والحدائق تتزين بالأشجار المثمرة وأشجار الزينة ، وقيل : الحديقة كل أرض ذات شجر مثمر ونخل ، وقد وردت كلمة حدائق بصيغة الجمع هذه ثلاث مرات في القرآن الكريم :

﴿ فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ﴾ " النمل : ٦٠ .

﴿ إن للمتقين مفازا * حدائق وأعنابا ﴾ " النبأ : ٣١، ٣٢ .

---

(١) (المرجع السابق) .

﴿ وحدائق غلبا ﴾ " عبس : ٣٠ .[٢].

وذكر الحدائق بهذه الصورة تعبير عما تشيعه في النفس الإنسانية من بهجة وحسن ، وراحة عميقة من خلال تدبر إبداع الخالق .

- وتحـدثت المعاجم اللغوية عن اللقاح وهو ماء الفحل ، وما يلقح به الشجر والنبات ويقال : ألقحت الريح الشجر والنبات : نقلت اللقاح مـن عضو التذكير إلى عضو التأنيث ، (لقح) النخلة: أبرها وفي " معجم النبات " الكويتي : عرف العرب منذ زمن بعيد تلقيح النخل ، وهو أن يؤخذ شمراخ من طلع النخل المذكر ، ويدس ذلك الشمراخ في جوف النورة المؤنثة . وهذا يعني نقل حبوب اللقاح من الأزهار المذكـرة إلـى الأزهـار المؤنـثة، وهـي عملـية تسمي"التلقيح" Pallination وتلقيح أو تأبير النخل فن له أصوله وقواعده ، فإذا لم يتم علي الوجه الأكمل ، فإنه ينتج صيصاء : أي ثمارا بلا نوى وليست حلوة [٣]. وهو ما يقول عنه " مربو النخيل " : (صَيَّصَتِ) الـنخلة : أي أثمـرت الصيص و (الصيص) : التمر الذي لم يتم نضجه .

يذكر أن كلمة " لواقح " وردت مرة واحدة في قول الحق – سبحانه وتعالى – فـي القرآن الكـريم ، فـي الآية ٢٢ من سـورة الحجـر

---

(٢) (مرجع سابق) .

(٣) (مرجع سابق) .

﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾ والمقصود في هذه الآية معنى آخر : " فرغم أن الرياح تعد أحد عوامل التلقيح ، وتساعد على نقل حبوب اللقاح من زهرة إلى أخرى إلا أن الآية الكريمة تتبع النبات . وقد أجمع العلماء أن هذا يقصد به أن الرياح تحمل ما يسمى نوى التكاثف Nuclei Of Condensation التي تلقح السحب فينزل المطر [١].

- وقول الحق – سبحانه وتعالى- ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ﴾ " الأنعام : ٩٥ "

والنوى : جمع نواة ، وهو يذكر ويؤنث . والنواة : عجمة التمر والزبيب وغيرهما .

ونواة التمر بذرة بها جنين صغير ، ذو فلقة واحدة صغيرة ويشغل الأندوسبيرم Endosperm معظم جسم البذرة . أما نواة الزيتون والمشمش والخوخ واللوز فهي بذرة ذات غلاف خشبي يمثل الجزء الداخلي من غلاف الثمرة ، والبذرة لها جنين يتكون من جذير وريشة وفلقتين ، فالنوى – إذا – قد يدل على البذرة وحدها أو البذرة ومعها جزء من غلاف الثمرة [٢].

- وقول الحق – سبحاه وتعالى – ﴿ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ

---

(١) (مرجع سابق) .

(٢)(مرجع سابق) .

وَيَنْعِهِ ..﴾ " سورة الأنعام – ٩٩ " والثمر اليانع هو الثمر الناضج، الــذي أدرك وطاب وحان قطافه والمعنى بالآية : كل الثمر سواء كان تمر النخيل أو غيره ، فنضج الثمار عملية تتضمن العديد من الــتفاعلات والــتحولات الكيميائــية الحيوية والفسيولوجية ، وهذه التحولات تتم بفعل العديد من الإنزيمات والخمائر . كما يحدث تغير في لون الثمرة من الأخضر إلى ألوان أخرى تختلف باختلاف النوع النباتــي . وأن المرء العادي يحس بنضج التمر حيث يحلو طعمها لمــا يتم من تحولات في المواد الكربوهيدراتية (٣).وفي هذا النص من الآية الكريمة دعوة إلى : النظر والتدبر والاعتبار ونحن ننظر إلـــى الثمر حين يثمر ، وإلى نضجه وكيف يتم بعد مروره بأطوار مختلفة ، وفي ذلك آيات للموقنين .

وعليه يمكن إيجاز ماله صلة بالنخيل في القرآن الكريم في الجدول التالي :

م	اسم السورة	الآيات		اللفظ ذا الصلــة					
				نوى	ينعه	عرجون	حدائق	لينة	الجملة
١	الأنعــام	٩٥	٩٩	١	١				٢
٢	النمــل	٦٠	–				١		١
٣	يــس	٣٩	–			١			١
٤	الحشــر	٥	–					١	١

(٣) (مرجع سابق)

٥	النبـــــأ	٣٢	-				١		١
٦	عبـــــس	٣٠	-				١		١
	الجملـــــــة	٦	١	١	١	١	٣	١	٧
		٧							

وذلك فضلا عما ورد ذكره في آيات النخيل من ألفاظ ذات صلة به مثل :

"قـــنوان دانية " أى : عراجين ، و " صنوان " و" غير صنوان " ، هـــزى ، و" جذوع " ، و" طلعها هضيم " ، و" طلع نضيد " ، وغيرهن مما أوضحناه في سياق تناولنا للآيات القرآنية

❁❁❁❁❁

" الفصل الثالث "

النخيل في السنة النبوية المطهرة

كُرِّمَت النخلة خير تكريم في السنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل صلاة وأزكى تسليم ، والأحاديث النبوية الشريفة عنها وعن تمرها وفوائده الصحية والغذائية تلفت أنظارنا إلى ما خصها به الإسلام من مكانة عالية ، وقدر كبير ، وننهل من قطرات هذا النبع :

ففى " الصحيحين " : عن ابن عمر – رضي الله عنهما – إذا اتى بجمار ، فقال النبى ﷺ : " إن من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم لا يسقط ورقها اخبرونى ما هى ؟ فوقع الناس فى شجر البوادى ، فوقع فى نفسى أنها النخلة فأردت أن أقول : هى النخلة ، ثم نظرت فإذا أنا أصغر القوم سِنا ، فَسَكَتُّ ، فقال رسول الله ﷺ : " هى النخلة " ، فذكرت ذلك لعمر، فقال: لأن تكون قلتها أحب إلى من كذا وكذا"

والحديث النبوى الشريف مليء بأيات الإعجاز العلمى والتربوى والخلقى الآثر :

– ففى الحديث بيان لكيفية تعامل " المعلم " (النبى) ﷺ مع صحابته لإثراء أفكارهم بإلقاء السؤال ، وتمرينهم على اختيار أدق الإجابات ، والوقوف على ما لديهم من معلومات ، بضرب الأمثلة والتشبيه .

– وفى الحديث بيان لما كان عليه الصحابة الأجلاء من خلق كريم

– خاصة من كبارهم – وحياء حميم ، وإمساكهم عن الكلام بهدف إتاحة الفرصة لأولادهم وصغارهم للبوح بما يعرفونه ، وإن لم يعرفه أبائهم ، والنظــرة التربوية الآثرة إلى ذلك : بعدم إساءة ذلك للأباء ، فضلا عن فرحة الأباء بصواب ردود أبنائهم ، وتوفيقهم إلى الصواب وإيثار الأبناء للصمت – رغم علمهم – احتراما للكبار والأباء ، وتوقيرا لمكانتهم .

- تشبيه المسلم بالنخلة " يرى بعض الشراح أنه من عدة جهات : أن أصل دين المسلم ثابت ، وأن ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح مستطاب ، وأنه لا يزال مستورا بدينه ، وأنه ينتفع بكل ما يــصدر عنه حيا وميتا . والمراد بكون فرع المؤمن فى السماء : رفع عمله وقبوله . وأبلغ من ذلك قوله ﷺ فى الحديث الصحيح : " مثل المؤمن مثل النخلة ، ما أتاك منها نفعك " . قال " ابن حجر " فى " الفتح " : " وأما من زعم أن موقع التشبيه بين المسلم والنخلة مــن جهة : كون النخلة إذا قطعت رأسها ماتت ، أو لأنها لا تحمل حتــى تلقح أو لأنها تموت إذا غرقت ، أو لأنها لطلعها رائحة منى الآدمــى ، أو لأنها تعشق ، أو لأنها تشرب من أعلاها فكلها أوجه ضــعيفة لأن جمــيع ذلك مشترك في الآدميين لا يختص بالمسلم ، وأضــعف مــن ذلك قول من زعم أن ذلك لكونها خلقت من فضلة طين آدم ، فكان الحديث في ذلك لم يثبت ، والله أعلم [١]. ويبقى أن نذكــر عبارات ذَكَرَهَا : " كمال الدين الأزهري " في كتابه " حياة

(١) (مرجع سابق ، ص ١٠٦) .

الإنـــسان والحـــيوان " حول تشبيه النخلة بالإنسان : " فالنخلة ذات جـــذع منتصب ، ومنها الذكر والأنثى وأنها لا تثمر إلا إذا لقحت، وإذا قطـــع رأسها ماتت ، وإذا تعرض قلبها لصدمة قوية هلكت ، وإذا قطـــع ســعفها لا تـــستطيع تعويضه من محله كما لا يستطيع الإنـــسان تعـــويض مفاصله ، والنخلة مغطاة بالليف الشبيه بشعر الجـــسم فـــي الإنسان ، فهل لا تكون هذه الصفات شبيهة بصفات البشر ؟ " .

وننتهي إلا أن تشبيه المسلم بالنخلة جاء : لكثرة خيرها ودوام ظلها ، وطيب ثمرها .

- وروى عـــن " أنس بن مالك " – ﷺ قال : أتى النبي ﷺ بقناع في رطـــب فقـــال : " مثل كلمة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها " : هي النخلة .

- وقد عنيت السنة النبوية المطهرة بتقدير ما على النخلة من الرطب تمراً وما على الكَرْمِ من عنب ليعرف قدر الزكاة ، وهو ما يسمى بالخـــرص ، وهو مطلوب في كل الزروع ، وحكمته معرفة القدر الـــذي تجـــب فـــيه الـــزكاة ، وحفظ حق الفقراء ، والتوسعة على الزارعيين بالتناول من زرعهم بعد الخرص ، ووقته : " إذا ظهرت الحـــلاوة في العنب والرطب ، وكيفيته : يطوف الخارص بالشجر كله ويقول : عليها من الرطب قدر كذا ، فإذا يبس كان قدره كذا ،

ويكفـــي فـــي الخــرص رجل عدل ، " لبعث النبي ﷺ عبد الله بن رواحـــة إلـــى خيبر ليخرص زرعها وثمرها ، حتى يطيب قبل أن يؤكل منه ، ثم يُخَيِّر اليهود يأخذونه بذلك الخرص أم يدفعونه إليهم ، لكي تحفظ الزكاة قبل أن تؤكل الثمار وتفرق " [١].

- وعن عتَّاب بن أسيد ﷺ قال : أمر رسول الله ﷺ أن يخرص العنب كما يخرص النخل وتؤخذ زكاته زبيبا كما تؤخذ صدقة النخل تمراً " لأن العـــنب والـــرطب لا يضبطان بالكيل وما يضبط هو الزبيب والتمر .

- كمـــا أسست السنة النبوية المطهرة لتُظِّمْ بيع النخيل والزروع بين البـــشر حفظـــا للحقوق ، والصدق في المعاملات : فعن " أنس بن مالـــك – رضـــي الله عنهما – قال : نهى النبي ﷺ عن بيع الثمرة حتـــى يبدو صلاحها ، وعن النخل حتى يزهو ، قيل : وما يزهو ؟ قال : يحمارُّ أو يصفارُّ " .

- وعـــن ابـــن عمر– رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ نهى عن بيع النخل حتى يَزْهُو وعن السنبل حتى يبيض ويأمن العاهة نهي البائع والمـــشتري . وفـــي رواية : نهى عن بيع العنب حتى يسوَدَّ وعن الحب حتى يشتد [٢].

---

(١) (رواه أبو داود ، بسند موثق) .

(٢) (رواهما : الخمســة) .

- وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : من ابتاع نخلا بعد أن تؤبر (تلقح) فثمرتها للذي باعها إلا أن يشترط المبتاع ومن ابتاع عبدا فما له للذي باعه إلا أن يشترط المبتاع [٣].

- ومن معجزاته ﷺ حنين الجذع له : وهو عود النخلة ، وكان ﷺ أولاً إذا خطب وقف واستند إلى جذع نخل من أعمدة المسجد فلما صُنِعَ له المِنبَر وكان عليه يوم الجمعة : أي جلس عليه سمع كل من في المسجد لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار (جمع عشراء وهي الناقة التي مضى عليها من يوم إرسال الفحل عليها عشرة أشهر) أو كبكاء الصبي فذهب له النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت فحنين الجماد لفراقه ﷺ أعظم معجزة للمتدبرين والمفكرين ، وهو ما جاء في الحديث الشريف : " عن جابر ﷺ قال : كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع المنبر فكان عليه سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت .

- وفي رواية : فلما كان يوم الجمعة ورفع إلى المنبر صاحت النخلة صياح الصبي [٤].

---

(٣) (رواه : الخمسة) .

(٤) (رواه البخاري والنسائي والترمذي بلفظ : فحن الجذع حنين الناقة منزل النبي ﷺ فمسه فسكن) .

- ومن معجزاته أيضاً ﷺ تكثير التمر القليل حتى استوفى الغرماء:

عن جابر رضي الله عنه قال : توفى أبي وعليه دَيْنٌ فأتيت النبي ﷺ فقلت : إن أبي ترك عليه دينا وليس عندي إلا ما يخرج نخلة ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه فانطلق معي لكي لا يُفْحِشْ علَيَّ الغرماء فمشى حول بيدر من بيادر التمر (البيدر : الموضع الذي يجمع فيه التمر بعد حصاده) فدعا الله ثم آخَرَ ثم جلس عليه فقال : انزعوه فأوفاهم الذي لهم وبقى مثل ما أعطاهم [1].

- وعن فوائد أكل التمر الصحية الغذائية يجيء حديث : عامر بن سعد - رضي الله عنهما - عن أبيه عن النبي ﷺ قال : من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سُم ولا سحر "[2]. ولأن شريعة الإسلام تأمر دوما بما فيه صالح النفس الإنسانية وصيانتها فقد أمر المصطفى ﷺ فيما يستحب للصائم في رمضان وغيره ، فبعد الصوم الطويل يكون الجسد في حاجة إلى سكريات سريعة تمد المخ بحاجته منها ، وهو ما يبينه لنا الحديث النبوي الشريف : عن سلمان بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : " إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة فمن لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور"[3].

---

(١) (رواه البخاري) .

(٢) (رواه : الثلاثة والنسائي) .

(٣) (رواه : أصحاب السنن ، بسند صحيح) .

وعن أنس ﷺ قال : كان النبي ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات فإن لم تكن حَسَا حسوات من ماء[٤]. وللترمذي أيضاً : " كان النبي ﷺ يفطر في الشتاء على تمرات وفي الصيف على الماء " .

والحكمة في الإفطار على الماء صيفا أنه يطفئ الحرارة ويروي الجسم .

والتمر في السحور أيضاً ممدوح لأنه حلو وسهل الهضم وكثير التغذية ويقوى البصر الذي يضعف بالصوم ، ولأبي داود : " نعم سحور المؤمن التمر " .

وعن عائشة - رضي الله عنها- قالت : دخل عَلَيَّ النبي ﷺ ذات يوم فقال : هل عندكم شيء ؟ قلنا : لا ، قال : إذن فإني صائم ثم أتانا يوما آخر فقلنا : يا رسول الله أهدى لنا حَيْسٌ (بفتح فسكون وهو طعام يصنع من التمر والسمن والدقيق ، وكان أحسن طعامهم) فقال: أرينه فلقد أصبحت صائماً فأكل [٥]. .

وتتعدد أفضال التمر ، ومن بينها فيما يخص الأطفال والعناية بهم منذ أعمارهم الأولى : " عن أبي موسى ﷺ قال : وُلِدَ لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم فَحَنَّكَهُ بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إلى ،

---

(٤) (رواه أبو داود والترمذي) .

(٥) (رواه الخمسة إلا البخاري) .

قال : وكان أكبر أولادي [1].

وهي سُنَّةٌ يجب أن تتم عقب الولادة من رجل صالح .

وعن أنس ﷺ قال : ذهبت بعبد الله بن أبي طلحة إلى رسول الله ﷺ حين وُلِدَ ورسول الله ﷺ في عَبَاءَةٍ يهنأ بعيرا له (يطليه بالهناء وهو القطـران لإصلاح جسمه) فقال : هل معك تمر ؟ فقلت نعم : فناولته تمـرات فألقاهن في فيه فلاكهن ثم فغر فاه الصبي فمجه في فيه فجعل الـصبي يـتلمظه فقـال رسول الله ﷺ : " حب الأنصار التمر وسماه عبدالله[2] والتحنيك سنة نبوية يجب أن تتم للمولود عقب ولادته ، ليكون الحلـو أول طعـامهم ، وروى مـسلم : أن رسـول الله ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم (أي يدعو لهم بقوله : بارك الله فيك) ويحنكهم، وهـو ما يحرص عليه غالبية أطباء الولادة في عصرنا الحديث اقتداء بسنته ﷺ بعدما أدركوا أنه من أكثر الثمار تغذية للبدن فهو دواء وفاكهة وغذاء ، وشراب وحلوى ."

وقـد ثبت عنه ﷺ قوله : في حديث عائشة - رضي الله عنها - **" بيت لا تمر فيه جياع أهله "** [3].

وفي سنن " النسائي " و" ابن ماجه " من حديث جابر ، وأبي سعيد

---

(١) (رواه : الشيخان) .

(٢) (رواه : الثلاثـة) .

(٣) (صحيح مسلم في الأشربة ٤٧٦ ، ٢/ ١٥٣) .

- رضـــي الله عنهما- عن النبي ﷺ : " العجوة من الجنة ، وهي شفاء من السم ، والكمأة من المن وماؤها شفاء للعين " [٤].

* وبين لنا أستاذنا الجليل الدكتور " زغلول النجار - حفظه الله- جانــبا من فوائد البلح والتمر الغذائية بقوله: " وثمار النخيل من (بسر: ثمر النخل قبل أن يرطب) و(رطب) ، (بلح) ، و(تمر) ، يعتبر من الثمار النباتية المتميزة بقيمة غذائية عالية ، فالتمر الجاف يحتوي على مــواد كـربوهيدراتية بما فيها من السكريات بنسب تزيد على ٧٠% ، وعلى ماء بنسبة ١٣% وأليافا بنسبة ١٠% ، وعلى مواد دهنية بنسب تــصل إلــى ٢,٥% ، وعلــى فيتامينات (أ) ، (ب) ، (ج) وبروتينات وهرمونات ومضادات حيوية بالنسبة المتبقية ومن هذه الهرمونات ، ما يتكون من تسعة أحماض أمينية ، ويشبه هرمون "الأوكسيتوسين " الذي يلعب أدواراً مهمة في جسم الإنسان ذَكَراً كان أم أنثى من مثل : إيقاف النزيف ، وإدرار اللبن ، والمساعدة على يسر المخاض ، وعلى إندمال الرحم وانقباضه بعد الولادة ، وعلى ترقيق المشاعر ، وتثبيت الفؤاد ، وانشراح الصدر ، وجلاء الأحزان عند الجنسين .

ومــنها هــرمون " الأستروجين " الذي له وظائف كثيرة في جسم الإنسان من أهمها : ضبط توازن كل من الدهون والأملاح في الجسم.

---

(٤) (حديث حسن : النسائي في الكبرى (٦٧١٥ ، ٦٧١٨) ، وابن ماجة في الطب (٢٣٥٣) . وفي الزوائد : " إسناده حسن ") .

ومــن أهم مكونات التمر : أملاح الماغنسيوم والمنجنيز والحديد ، التــي تــوجد بنــسب مناسبة وبصورة سهلة الامتصاص بواسطة جسم الإنسان ، فالماغنسيوم له تأثير بالغ على الغدد الموجودة بالجسم بما في ذلك الغدد الصماء التي تقوم على إفراز الهرمونات ، وله دور كذلك في تهدئــة الجهاز العصبي ، وسلامة كل من العظم والأسنان ، وفي زيادة معــدلات نمــو الخلايا ومرونة الأنسجة ، ومقاومة السموم الحمضية ، وخفض حرارة الجسم وترطيبه .

أمــا المنجنيــز فأملاحــه مهدئــة للأعصاب ، ومرققة للمشاعر والعواطف ، ومزيلة للهموم والمخاوف ، ومطمئنة للنفس .

والحديــد يلعب دوراً مهما في بناء المادة الحمراء في الدم ، وهو يــصل إلــى الأطفــال الرضع عن طريق لبن الأمهات أثناء الرضاعة الطبيعية [١].

* ومازلــنا مع نبع الفوائد الغذئية والصحية للنخيل ومن بينها ما كشف حديثا عن " زيت النخيل " وأهم ما فيه أنه خالٍ من "الكوليسترول " فهــو يحــتوي علــى الأحماض الدهنية الأساسية ، كما أن محتوياته ومكوناته الطبيعية تتفق مع ما انتهى إليه العلم والعلماء ، ومع ما أوصوا بــه من أجل الحفاظ على الصحة العامة للإنسان . فاحتواء زيت النخيل

---

(١) (د/ زغلول النجار ، من أسرار القرآن ، ج. الأهرام ، الحلقة ٧٤ ، ١٦/١٠/ ٢٠٠٢ ، ص ١٢) .

على فيتامين (هـ) بالإضافة إلى محتويات من الأحماض الدهنية ، تشكل عاملا وسببا مهما في الوقاية من أمراض القلب ، ومن تصلب الشرايين، بل ويقي من التهابات المفاصل ومن المياه البيضاء التي قد تصيب العين . وإذا كان من المعروف أن متوسط حاجة الرجل الذي يقوم بجهد متوسط هي ٢٨٠٠ سعر حراري ، والمرأة التي تؤدي جهدا مماثلاً تحتاج إلى ٢٢٠٠ سعر حراري ، فإن زيت النخيل في الحالتين ، وفي غيرهما يصبح مصدراً جيداً جداً للطاقة .

ويمكن إيجاز مزايا زيت النخيل الرئيسية – رغم كثرتها – فيما يلي :

- مقاومته للتأكسد ، الأمر الذي يكسبه خاصية الاحتفاظ بصفته الطبيعية لمدة أطول .
- يحتوي على نسبة كبيرة من الجلسرين مما يجعل المستهلكين يفضلونه على غيره .
- يتمتع بدرجة خاصة من البطء في البلورة مما يؤدي إلى تغيير القوام إلى درجة من الصلابة في المنتج النهائي .
- منافسته في سعراته القليلة لكل الزيوت الأخرى .
- هو الأفضل استخداما في صناعة الآيس كريم والشيكولاتة وفي تغذية الأطفال ، وفي صناعة دهون الحلويات .
- الأفضل في استخدمات القلي لاحتوائه على فيتامين (هـ) المضاد -

للأكسدة ، مما يضفي على الطعام طعما ونكهة خاصة ، ويتيح لربة البيت حفظ الطعام لمدة أطول عن أي نوعية مستخدمة من زيوت أخرى .

- أثبتت التجارب والدراسات العلمية أن زيت النخيل يحتفظ بجودته غذائياً وتكنولوجيا لفترات تجريبية طويلة ، دون الحاجة إلى إضافة أي مضادات صناعية للأكسدة .

- أشارت أحداث الدراسات العلمية إلى أن زيت النخيل يحدث درجة ما من التوازن بين مكونات الدم ، فيدفع عن الإنسان شرور الجلطة ، ويمنع حدوثها .

- في أحدث نشرات منظمة الصحة العالمية تحذيرات بضرورة تناول الإنسان لثلث الطاقة الحرارية من مصدر دهني ، بحيث لا يحتوي هذا المصدر على أكثر من ١٠% من الأحماض الدهنية غير المشبعة الكثيرة ، وهو ما يشير إلى تشجيع استخدام زيت النخيل.

وصلاة وسلاماً عليك يا سيدي يا رسول الله يا من علمك الحق ، وأنبأك بآيات الأولين وعلوم المتأخرين فرسمت للبشرية على مدار الأجيال نهجها القويم : فكريا وغذائيا وعلميا ودينيا ، وأسست لسعادتها منذ قرون عديدة ، ولأزمان بعيدة .

- بقي أن نشير إلى أنه :

حين قبض الرسول ﷺ كان القرآن كله مكتوبا على :

- العُسُب (بضم العين والسين) : جمع عسيب ، وهو السعفة أو جريدة النخل إذا يبست ونزع خوصها .

- الكرانيف : جمع كرنافة وهي : أصل السعفة الغليظ الملتصق بجذع النخلة .

وغيرهما من " القضم " و" الأديم " و" اللخاف " ، و" الأكتاف".

ويروي الزهري : أن رسول الله ﷺ قُبِضَ والقرآن في العُسُب والقضم والكرانيف .

* وبكلمات تفيض رقة وعذوبة ، وتعد من أجمل ما وصفت به "النخلة " في تراثنا الأدبي الإسلامي : ما حدثنا به " أبو قتيبة " أن القيصر " ملك الروم " كتب إلى سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ : " أما بعد : فإن رسلي خبرتني أن قبلكم شجرة تخرج مثل آذان الفيلة ثم تنشق عن مثل الدر الأبيض ، ثم تخضر فتكون كالزمرد الأخضر ، ثم تحمر فتكون كالياقوت ، ثم تنضج فتكون كأطيب فالوذج أكل ، ثم تينع وتيبس فتكون عصمة للمقيم وزاداً للمسافر ، فإن تكن رسلي صدقتني فإنها من شجر الجنة .

فكتب إليه سيدنا عمر ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم ... السلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإن رسلك صدقتك ، وأنها الشجرة التي أنبتها الله ﷻ على مريم حين نفست بعيسى ، فاتقى الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله ... الخ .

الباب الثالث

- أودية النخيـــل .
- النخيل في الأدب العربي .
- النخيل في الشعر العربي .
- النخيل في الأغاني الشعبية .
- النخيل والرثاء .
- النخيل في القصة العربية .

الفصل الأول

" أوديـــة النخيـــل "

إن كُــتِبَ لَــكَ أن تطيــر بطائرة فوق البلدان العربية والإسلامية لَرَصَدَتْ عيناك صورة بانورامية آثرة لدرر تتلألأ على امتدادات جبين الــوطن : بتــشكيلاتها الرائعة ، وقممها الخضراء التي تشكل مظلات مــتجاورات بــسعفها المتدنــي والمتداخل ، الذي يكاد يتلامس في حب وعــشق وحنــين آثر في عمق الصحراء والقفار ، والجبال والسهول ، وعلى شواطئ البحار والأنهار ، وفي قلب الحقول ، وفي مداخل المدن وطــرقاتها ، وحدائقها الخاصة والعامة ، تلك الدرر هي أشجار النخيل وحــين تهبط وتغزو الأماكن والمنتديات بعيون فاحصة ، وروح متأملة يأســرك الارتــباط الحنين بين مآذن المساجد وسموقها ، وبين أشجار النخــيل بجذوعها وامتداداتها إلى عنان السماء ، وكلتاهما تنطقان بآيات التوحــيد والإجلال لرب الكون وخالقه – جلّ في علاه – فالمساجد هي ديــار الإيمــان ، وأشجار النخيل فيها من آيات عظمة الخالق ما يجعل الروح تتنقل بين هذه وتلك في عمق إيماني جليل ، فتنتشي شغاف الروح بأنــسام حــياتها ، وروح صمودها ، وبهاء غرسها وإشراقة بسمتها ، وأسرار خيراتها بما تجلوه عن الصحراء من شحوبها وقفرها ، ويتحول وهــج هجيرها وشررها إلى ظل ظليل ، ونيرانها التي تتلظى إلى أفياء تزدهــر بعطــر الحنين ، وتُجلي عنها تعابير الكدر والقسوة والجمود ،

وبإطلالاتهـــا يتغير كل شيء .. حتى المكان .. والإنسان ، ليصبح في رياضها : أنقى .. وأبهى .. وأشعر .. وأقدر .. وأصفى : روحاً وخلقا وحنيـــنا وهو يغفو ويصحو في فيض عطاءاتها ، وكأنه رضيعها ، فهل تقسو الأم على وليدها وتحرمه من خيراتها وبرها ؟ ومن هنا امتزجت حبات الرمال والطين المحيطة بجذوعها بروحه ، وامتدادات جذورها في شغافه لتستمد من عرقه وكدحه حياتها فتكافئه بخيراتها ، بعد ما أيقنت أنــــه فــــي رحابهـــا : يستعيد نبضه ، وتزداد عزيمته ، وأنها عروسه : مهرها حبه ، وصدقه في العمل لإحيائها ونشرها غاية أمله .

ومـــا دمـــنا لا نملـــك المقدرة على التحليق في الفضاء لرؤية تلك الـــبانوراما ، فهـــا هي الكلمات تحقق لنا غايتنا من خلال هذه الإطلالة العجلى على أشهر وأهم تجمعات أشجار النخيل في بعض أقطار عالمنا العربي :

ففـي الجزائـر : تقـــدر المـــساحة المنزرعة بالنخيل بحوالي ٦٠ ألف هكـــتار بهـــا نحـــو ٨ مليون نخلة ، وتتركز أودية النخيل وواحاته في مـــناطق: بـــسكرة ، وورقلة ، والوادي ، وتعد تمور بسكرة من أفضل أنـــواع التمور الجزائرية ويطلق عليها " دقلة نور " وتُصدَّر إلى فرنسا وروسيا وبلجيكا والسنغال والأرجنتين وفنزويلا .

ويعـــد " وادي ميزاب " أحد أهم ٦٠ مكانا صنفتها اليونسكو تراثا إنـــسانيا عالمـــيا يجب عدم المساس به " كما قال أستاذنا الدكتور محمد

المنسي قنديل [1].

واسم " ميزاب " هو تحريف بربري لاسم مصعب بن بادين الجد ا لأول لتلك القبيلة من البربر ، والذي قاد عشيرته للسكن في هذا الوادي، واستقر بني مصعب في هذا الوادي ، وحولوا النخلة الواحدة إلى بساتين من النخيل " .

وفي هذا الوادي : " البئر والنخلة قرينان ، فالنخلة حين تشرع سعفها تدل على المكان الخفي للبشر . فجذورها الممتدة تشي بالماء المخبوء . وعندما تحفر البئر توهب لها النخلة . أن تمرها يباع ومن حصيلته يتم صيانة البئر والمحافظة عليها " [2].

وأرجو أن تسمح لي عزيزي القارئ أن نعرج قليلا على قصص حفر الآبار في بني ميزاب ، لنتأمل من خلالها صمود البشر وعطائهم وتضحياتهم من أجل قطرة المياه : باعثة الحياة للأرض وما عليها .

" وقصص حفر الآبار في بني ميزاب هي ملاحم حقيقية ، قام بها أناس لا ينتمون إلى الواقع كثيراً . لقد قابلت حفيد أحد هؤلاء الحفارين . وحكى لي كثيراً عن هؤلاء الرجال الذين كانوا يهبطون وسط الصخور على عمق ٧٠ مترا ثم تتقطع بهم الحبال أو تشتعل فتائل البارود رغما

---

(١) (في زيارة له ، نشرت بمجلة العربي الكويتية ، العدد ٤٤٥ ، ديسمبر ١٩٩٥م).

(٢) (المرجع السابق)

عنهم فيطفئونها بأجسادهم أو تنهال عليهم الأحجار والرمال . لقد دفعوا حياتهم ثمنا لحياة هذا الوادي الشحيح المياه ، وحفروا بوسائلهم البدائية أكثر من ثلاثة آلاف بئر يتجاوز الكثير منها ٨٠ مترا ، ووزعوا ما يزيد علـى المائتـي ألف نخلة ، وتحتها زرعوا البقول والفواكه ، وتحولت الـرقعة الصغيرة إلى واحات حقيقية في وجه الريح الموسمية المحملة بالرمال [١].

إنـه النـضال الإنساني الشريف من أجل التعمير والحياة وإعمار الكون أسمى رسالة كلفنا بها المولى

إنـه النـضال الإنساني الشريف من أجل التعمير والحياة وإعمار الكـون أسـمى رسالة كلفنا بها المولى ﷻ ولكن الإنسان تصيبه أحيانا نـزعات شـريرة ، ويتكالب وينسى أحيانا أن المانح " هو الله " فيطغى ويتجبـر ، وبعدما يفيق ويندم على فعلته ، ولنتأمل : " إحدى الحكايات حيـنما قام أهالي الوادي بسد الآبار في وجه الطيور حتى لا تشرب من المـياه لمـدة سبعة أيام فعاقبهم الله بالجفاف لمدة سبعة أعوام ، وبعدها أفاقوا وتوجهوا إلى الله بالدعاء حتى يأتيهم الغيث [٢].

وفي الوادي نظام دقيق لتوزيع المياه الذي " يخضع لقوانين مجلس الغرابة (يشبه مجلس القبيلة) . فهم يحصون عدد النخل في كل بستان

---

(١) (المرجع السابق) .

(٢) (المرجع السابق) .

ويسمحون بصنع فتحة يدخل منها الماء متناسبة مع هذا العدد ، وتسد بواسطة حجر له حجم معين ومن المحظور التصرف في الفتحة أو حجم الحجر بأي حال من الأحوال ، دون الرجوع إلى المجلس . ومن يأخذ أكثر من حقه من الماء يعاقب معاقبة السارق أو يغرم وقد ينفي عن الوادي بأكمله " (٣).

" وفي البحرين "

" والتي سميت " بحرين " حيث كان يحيط بها بحر من الأجاج المالح ، ويتفجر من بين صخورها بحر من الماء العذب ، وقد اختلفت النظريات في مصدر هذه المياه ، أكثرها قربا إلى المنطق : أنها قادمة من الجزيرة العربية عبر مسارات صخرية دقيقة أشبه بالأنهار الجوفية ، وتمضي تحت سطح الخليج حتى تتفجر في أرض البحرين "(٤). وتعد عين عذاري " أشهر العيون المائية بها ، ومصدر أساسي لبسط الخضرة ونشرها وزراعة الأشجار ومن أهمها النخيل ويصل عددها إلى المليون نخلة شكلت مَعْلَمًا هاما من معالم الجزيرة ، ولكن العين أصابها الاحتضار منذ ردم البحر حولها ، وتراجعت الخضرة ، وأنّتْ جذوع النخيل من الاحتراق والجفاف ، وانخفض هذا الرقم كثيرا حتى بداية

---

(٣) (المرجع السابق) .

(٤) (د/ محمد المنسي قنديل ، البحرين : الأرض عريقة .. والناس رحب م. العربي الكويتية ، العدد ٤٤٩ ، إبريل ١٩٩٦م .

السبعينات ، ولأن النخلة هي أحد أهم موروثات التراث البحريني فقد أعيد الاهتمام بها ، وانتشرت من جديد المزارع التي تهتم بزراعة النخيل ، وآخر تعداد يشير إلى أنها أصبحت ٤٠٠ ألف نخلة ، وإذا أضفنا إلى ذلك عدد النخل داخل البيوت فسنصل إلى حوالي ٦٠٠ ألف نخلة ، والاهتمام بالنخيل شعبياً وحكومياً يزداد ، والوعي بأهمية النخيل أخذ أبعاداً جديدة من أجل إعادة المجد الذي خبا ضوئه .

" وفي الإمارات العربية المتحدة "

التي نهجت نهجا فريداً في نشر الخضرة ، والمحاولات المستميتة لوقف زحف الرمال فكانت " مسيرة التخضير " التي جلبت ا لأشجار من كل الدنيا ، التي تحتمل ملوحة المياه وحرارة الجو ، وكان البحث عن شجرة عالية الاحتمال ، قادرة على التأقلم إضافة إلى صفاتها الجمالية وخضرتها ، وفي مقدمتها أشجار " الإسباتورا " من أفريقيا الاستوائية ، بالإضافة إلى نخيل " واشنجطونا " من أمريكا الشمالية ، ونخيل الجوز من جزر المحيط الهندي ، وغيرهم أصناف عديدة أخرى تم تربيتها وإكثارها لكسر شوكة الكثبان ، وتحقيق حلم رئيس الدولة عاشق اللون الأخضر سمو الشيخ / زايد بن سلطان آل نهيان – رحمه الله – لوقف زحف الصحراء وحركة الرمال والذي اهتدى إلى فكرة رائدة :

بتسطيح الكثبان والتلال العالية التي تهب منها الرمال لكسر شوكتها ، مع فرش طبقة جديدة من الطين فوق الأرض التي جرى تسويتها ،

ونجحت التجربة ، وأقيمت حولها أحزمة خضراء ثم جرى تقسيمها وتوزيعها على المواطنين . وانتشرت المزارع في مدن الإمارات وجزرها ، وفي جزيرة " صير بني ياس " ثالث أكبر الجزء في إمارة أبو ظبي ، وتبلغ مساحتها ٢٥٠كم مربعا إضافة إلى عشرة كيلو مترات ثم ردمها لتكون امتداداً للجزيرة وتسمى " الجزيرة الخضراء " والتي خصصت لزراعة الفاكهة والموالح والموز ، والرمّان ، والأناناس ، والمانجو ، ونخيل في متناول اليد وأسباط تمر سخية العطاء [١]. وتعد واحة النخيل بمدينة " العين " الإماراتية تجمعا كبيرا لأشجار النخيل أحال الصحراء القاحلة إلى خضرة ونماء وعطاء كبيرة نتيجة زراعة ملايين الأشجار التي أينعت وأعطت الكثير ، فضلا عن أعداد كبيرة أخرى بالمدن الإماراتية الأخرى .

" وفي سلطنة عمان "

مدينة الجبل والصحراء والبحر والساحل ، تبرز قلعة " نزوى " ذات الأبنية والأقواس والسراديب ، والمصممة من مغزى الأرقام المقدسة : سبعة أبواب ، وسبعة من الدرج الضيق ، وسبعة من الصعاب المهلكة عليك اجتيازها للوصول إلى ساكن القلعة ، التي يبلغ ارتفاعها خمسة وثلاثين مترا وقطرها خمسين مترا ، ومحيطها مائة وخمسين مترا . وخلف كل باب شَركٌ ، وفوقه فتحة يصب منها الجنود

(١) (ذ/ محمد المخزنجي ، مجلة العربي الكويتية ، العدد ٤٤٠ يوليو ١٩٩٥م) .

الـزيت المغلـي فوق رأس أي مهاجم ، يناها الإمام العادل سلطان بن ليست بن مالك اليعربي من قبيلة اليعاربة الأزدية الذين حكموا عمان في الفتـرة الممـتدة من سنة (١٠٣٤: ١١٥٤هـ) -(١٦٢٤- ١٧٤١م)، والتي تمثل تاريخا نابضاً بالحياة لفترة مجيدة في تاريخ عمان .

القهـوة والتمر غذاء وضيوفهم ، ويقول الدكتور / محمد المنسي قنديل في زيارته لتلك المنطقة :

" إن بيوتها النائمة تحت النخيل الذي ما زال ينتج تمر " الإخلاص" أفـضل أنـواع التمـر في عمان ، ومساجدها القديمة تعود إلى بدايات العـصر الإسـلامي . وتنتـشر مزارع النخيل أيضاً في وادي " مسقاة العبريين " (بفتح العين وتسكين الباء) والعبريون ينتسبون إلى " عبرة بن زهران الأزدي " وليس لهذه القبيلة بطون وإنما هي بطن من بطون قبيلة الأزد اليمنية القحطية [١].

وفـي عمان تنتشر غابات النخيل في كل فج وواد وتتركز معظم مـناطقه في الأماكن التي تروي بمياه وادي " السمايل " ، والتي تلاقى اهـتماماً كبيـراً مـن السكان لإنتاج التمور وتصنيعها وتصديرها إلى الخارج مما يعد رافدا هاماً من روافد الثروة الاقتصادية والدخل القومي للبلاد .

---

(١) (م العربـي الكويتـية ، العددين :٤٣٨- مايو ١٩٩٥، ٤٤٤ – نوفمبر ١٩٩٥م) .

" وفي الدوحة "

عاصـــمة قطر : إحدى درر الخليج العربي المتناثرة على شواطئه والتــي ارتــبط اسمها في اللغة :بالشجرة العظيمة المتسعة ، وجمعها " دوح" وجمع الجمع " أدوح فكل شجرة عظيمة هي دوحة . ويقال هو من دوحة الكرم .

وإلى جانب معالمها السياحية العديدة الآثرة يبرز كورنيش الدوحة الممـــتد بطـــول شـــاطئ المدينة ، ويضم طريق كبير لسير المشاة ملئ بالأزهـــار وأشجار النخيل التي تبدو بشموخها وانطلاقتها في الفضاء ، وحـــسن تنسيقها ، ومن خلفها البنايات التجارية ومؤسسات الدولة : آية فـــي الروعة والجمال ، تنبئ عن اهتمام كبير بنشر الخضرة ، تتقدمها أشـــجار النخـــيل بسحرها الآخاذ ، وجمالياتها التي لا تباري خاصة في موسم الإثمار ، وتلون الثمار .

" وفي الكويت "

تأتي شجرة النخيل في مقدمة الأشجار المثمرة المنتشرة في الكويت ونشاهدها في المزارع والشوارع والحدائق المنزلية ، حيث لاقت اهتماماً كبيراً من المواطنين والدولة .

ويوجد في الكويت ما يقرب من مائة الف نخلة مثمرة تنتج كل منها حوالـــي خمسة وسبعين كيلو جراماً ، بالإضافة إلى ما يقرب من ثلاثين ألـــف نخلـــة فـــي مرحلة ما قبل الإثمار . وتنتشر تجمعات النخيل في

مزارع " الوفرة " ، و" العبدلي " والكثير من الحدائق العامة والخاصة ، وتتـــتهج الجهـــات العلمـــية في الكويت حاليا إكثار النخيل من خلال " الطـــريقة النـــسيجية " بأخـــذ قطعة من النسيج الخضري من لب النخلة (الجمـــارة) وتغذي بطرق خاصة حتى تكبر وتقطع إلى أجزاء صغيرة تنتج كل منها شجرة متكاملة ، وذلك في إطار من السعي الحثيث والجاد لتـــصبح الكويت : بلد المليون نخلة ، رغم صعوبات العوامل الرئيسية للنهضة الزراعية وفي مقدمتها " مياه الري " .

وبوجه عام " تعتبر دول الخليج العربي هي الأكثر اهتماما بتطوير تلك الطريقة حتى أنها خصصت نحو ستة مليارات دولار أمريكي لإعادة التـــشجير بواســـطة نخيل الأنابيب ، وقد أثبتت هذه الأشجار مقاومتها للأمراض إلى جانب سرعة نموها ، وغزارة إنتاجها " (١).

" وفي دبـــي "

لؤلـــؤة لآلـــئ الخليج العربي في وقتنا الحاضر بسحرها وألقِها ، والتـــي عشق سكانها القدامى من البلدة ، والذين عانوا كثيراً في بدايات عيشهم حيث البحث الدائم عن المراعى لإبلهم ومواشيهم في أرض كانت نـــادرة الخـــضرة والمـــاء ، وحيث التمر مأكلهم شبه الوحيد ، إضافة لاعـــتمادهم شبه الكلي على أشجار النخيل في الكثير من مناحي حياتهم كاســـتخدام جذوعها في البناء ، وأوراقها في حياكة السلال ، والاستفادة

---

(١) (أ / سيف الدين الأناسي ، مجلة العربي ، العدد٤٤٣، أكتوبر ١٦٩٥م).

مــن جــريدها فـــي عمل النخيل وتقديرها ووضعها في مكانتها اللائقة لتتــصدر قائمـــة الزراعات فأصبحت أهم عناصر التجديد المتكئ على أصالة الماضي لنشر الجمال والرونق الأخاذ في قلب الإعمار الهندسي ، والإبــداع المعمـــاري لتزهو المدينة بثوب النخيل الذي ترتديه، وهو ما يعكس مدى الرقي الفكري في دمج عناصر الإعمار للحاق بركب التقدم المعمـــاري التخطيطي ودوره الكبير في إبراز الحاضر المشرق للعطاء الإنساني .

" وفي المملكة العربية السعودية "

انتــشرت تجمعـــات النخيل في فيافيها الواسعة ، ومدنها العامرة ففــضلاً عن أنها الدولة الوحيدة في العالم التي اتخذت من الركن الأول للإســـلام : " شهادة أن : لا إله إلا الله ، محمدًا رسول الله " علما وراية مرفوعة دائماً لا تعرف التنكيس إلى جانب " السيفين " ، تبرز " النخلة " بيـنهما باتساقها وشموخها رمزاً للعز والأصالة والخلود : ففي مدينة " الــرياض " عاصمة المملكة العربية السعودية .. تلك المدينة التي نبتت فـــي قلـــب الصحراء ، وشهدت في النصف الثاني من القرن العشرين للمـــيلاد تطـــورا رهيباً . عكس اهتمام مسئوليها وأبنائها على أن تلحق مدينتهم بركب التقدم الكبير في تخطيط المدن ، وإبراز : جمالياتها لتمثل الحاضـــر المـــشرق الـــنابع من آمال الماضي وجذوره وتراثه ، وعبقه التاريخي ، مقرونا بلمسات التجديد المستمدة من الأصالة ، وربط التراث العـــريق بإمكانيات الحاصر العلمي والتقني لتخطو " الرياض " إلى تبوأ

مكانـــة مـــرموقة ليس بين نظيراتها ممن تمتعن بالجمال والبهاء فقط ، ولكـــنها تأتي في مقدمة المحتفين بالإبداع الهندسي واللمسات المعمارية المتميـــزة المتكئة على نخيلها الباسق ، ورياضها الخضراء ، وبساتينها الفـــيحاء ، التـــي تملأ أرجائها كافة . لقد قهرت " الرياض " منذ أزمان بعيدة قسوة الصحراء ، والمباني الأسمنتية ، والطرق الجافة ، والتلوث البيئـــي عندما برز نهجها الفريد : في نثر الجمال ومد جذوره إلى كل شبر فيها بالحرص على التكثيف الزراعي ، وتخصيص مساحات كبيرة مـــن الحدائق والمتنزهات المليئة بالعديد من أنواع الزهور والأشجار ، وتنسيق بديع على أعلى مستوى ، ويحتل النخيل مكانة بارزة في صنع تلك اللوحة الجمالية ، خاصة نخيل البلح ، ومن ثم بعـــض أصنافـــه ما تنـــتج ثمارها وهي أقل في الطول والارتفاع من طول الإنسان ، فتظل ثمارهـــا في متناول أيدي الجميع " ببلاش " ودون أي قيود : يصطحب الرجل أسرته في سيارته ، ويقف بجوار أقرب شجرة نخيل ويأخذ منها مـــا يشاء ، ليأكل هو وأسرته أشهى أنواع التمر وأجوده في سهولة ما بعدها سهولة .

وتعد مدينة " المجمعة " الواقعة شمال الرياض : أم النخيل ، وهي فـــي بسط من الأرض فسيح ، يروى نخيلها وادي " المشقر " ، وحولها البساتين الخضراء ، وقد أعجب بها أستاذنا الجليل الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي – جاحظ القرن العشرين وأديب العربية الكبير – (١٣٣٣ – ١٤٢٧هـ) (١٩١٥– ٢٠٠٦م) خلال رحلة قام بها – رحمه الله–

لمغانيها ومرابعها في أيام الربيع الزاهية فأنشد لها قصيدة طويلة نجتزئ منها :

هي للحب والخيال مـــراح ... وبالدين والتقـــي مترعــــة

حولـــك السد للمنيـــخ إليه ... مناجـــاة " والحذاقى " معــه

ولـــ " سدحاء " لوعة ومنى ... والنخيل اشتكى وما أضرعه

وفـضلاً عن الجمال والغذاء ، وفي مواجهة التلوث البيئي عكف فـــريق من الخبراء في أبحاثهم على استخدام العنصر النباتي لقهر آثاره السيئة وانعكاساتها على كل المخلوقات : " ووجد علماء المملكة العربية أن التمرة هي المادة الغذائية المرشحة لحماية القدرة الجنسية عند الرجال بالـــذات ، فكـــشف هــؤلاء العلماء النقاب عن سر التمر وأشاروا إلى عنـــصر هـــام يساعد على القيام بوظائف حيوية وأساسية في الجسم : فعنـــصر " البورون " " الموجود بالتمر يؤدي بالإضافة إلى ما سبق إلى مـــنع نخـــر العظام الذي يحدث في الكبر ، ويفيد في تقوية عمل بعض الفيتاميـــنات التـــي تفـــيد في منع التهاب المفاصل وغيرها . والبورون المتوفـــر فـــي التمر يرفع نسبة الهرمونات الجنسية ، حيث يساعد على زيادة هرمون " التستيرون الذكري" بالإضافة لاحتوائه على" السيليبيوم " و" المنجنيـــز " و" الماغنـــسيوم " وكلهـــا عناصر فعالة في الوقاية من أمراض خطيرة مثل السرطان [1].

---

(١) (د/عـــواد جاســـم الجدي ، لمن البقاء لصيدلة الطبيعة أم للأدوية الكيماوية =

وتـشتهر واحة " الأحساء " الواقعة شرق المملكة بأنها سلة غذاء لدول شبه الجزيرة العربية ، ومنطقة الخليج العربي ، والتي تمدها بأجود أنواع التمور التي نمت أشجارها على العيون المائية المتدفقة : وأهمها : " عـين نجم " بمياهها الحارة والباردة ، التي كانت تسقى نخيل مناطق مـتعددة مـن الواحة فضلا عن مهمتها الاستشفائية من أمراض العظام والمفاصـل لوجود نسبة عالية من الكبريت في مياهها الحارة "(١). وفي مقابلة ذلك العطاء صار قول بعضهم : " أهل الأحساء .. أدري بنخيلها " استناداً إلى قول الآخرين : " أهل مكة أدري بشعابها " .

فغابات النخيل الوارفة الظلال والعطاء على امتداد أرض الأحساء وواحاتها ، وبما تقدمه من أشهى أنواع الرطب ، والتمر الشهي ، فضلاً عن العديد من الخيرات والثمرات الأخرى : البطيخ والليمون ن والباميا والتين والورد والريحان ، جعل لها مكانة خاصة في القلوب فتغنت بها منذ أزمان بعيدة :

كم تغنينا بماضيك الجميل ... وتباهينـا بأمجـاد الرعيـل
وسنبني وسنبني كل جيل ... لك يا روضة أشجار النخيل(٢)

=، مجلة الكويت ، العدد ١٥٤ ، أغسطس ١٩٩٦م) .

(١) (محمـد حمـد الصويغ ، عين نجم .. موقع تاريخي وسياحي هام ، المملكة العربية ، العدد ٢٧٣ ، شوال ١٤٢٠هـ ، فبراير ٢٠٠٠م ، بتصرف بسيط .

(٢) (المجلة العربية ، العدد ٣٣٢ ، جمادى الأول ١٤١٧هـ – سبتمبر ١٩٩٦ م ، ص٦٠) .

وعن مدينة " الأحساء" بقول" لوريمر " في كتابه " دليل الخليج" :
" أن التمـــر يمـــثل القسم الأكبر من الزراعة والتجارة في الأحساء في مطلـــع القرن العشرين ، وأن إنتاجه السنوي لا يقل معدله عن ٧٥ ألف طـــن مـــنها ٥١ ألف طن من واحة الأحساء وحدها ، ٢٤ ألف طن من واحـــدة القطـــيف ، ويعد تمر الحسا أجود تمور العالم فهو يفوق تمور عمان والعراق ، ثلثه من نوع الخلاص وهو المفضل ، ونصف من نوع يسمى " الوزيرة " ومعظم الصادر منه إلى البحرين أو عن طريقها .

أمـــا فـــي العصر الحالي فإن الحكومة تشتري التمر من أصحاب البـــساتين وتتولـــى تغليفه في مصانع التمر التي أنشأتها لهذا الغرض ، وتقدمه السعودية كإعانات للكثير من دول العالم الإسلامي والعالم الثالث.

* أما مدينة القطيف إحدى المدن السعودية التاريخية القديمة التي تشكل الزراعة وعيون الماء أهم مكوناتها ، وقد وصفها " ابن بطوطة " فـــي إحدى رحلاته بأنها " مدينة حسنة ذات نخل كثير " ولا تزال حتى الآن تحتفظ ببقايا طابعها القديم رغم اختراق الطرق الحديثة لها ، ورغم إزالـــة الـــسور الذي حدثنا عنه " أبو الفداء " في كتابه " تقويم البلدان " ووصـــفها بأن لها سوراً وخندقاً ولها أربعة أبواب " لا تزال حتى الآن تحيط بها غابة كثيفة من أجود أنواع النخيل .

" ومحافظـــة " حقـــل " إحدى محافظات منطقة " تبوك السعودية ،

وهـــي مديـــنة شهدت حضارات بابلية وثمودية ورومانية ، ثم اكتملت بالحـــضارة الإسلامية التي بسطت شريعتها السمحاء على شتى مناطق المملكـــة ، وهي تبعد عن مدينة " تبوك ٢٢٥كم ، وعن مدينة " ضباء " ٢٧٥كم ، ومنتزه النخيل بمدينة " حقل " وموقعه الرائع حيث مياه الخليج الـــزرقاء الـــصافية ، وصفرة الرمال الناعمة ثم الكساء الأخضر الممتد على مرمى البصر من أشجار النخيل الشامخة المرتفعة في عنان السماء المتعانقة في حب وصفاء ونماء وعطاء ، ويبدو سحر الطبيعة خلاباً في تناسق تام ، وصور بانورامية فريدة ترتاح لها الأعين وتشتاق لها الأفئدة ... أنهـــا درة من درر الخليج العربية التي تعشق النخيل عشقها للحياة والخلود " (١) .

هـــذا إلـــى جانب العديد من واحات النخيل السعودي المنتشرة بأنحائها ، خاصة في المدينة المنورة وتمورها ذات الصفات المتميزة ، والطائـــف وتبوك وغيرهم ، وانتشار أشجار النخيل في العديد من الطـــرق والـــشوارع الرئيـــسية والهيـــئات الكبرى العامة والخاصة والتعليمـــية ، وفي مقدمتها " جامعة الرياض " التي تعد نموذجا في الاهتمام بزراعة وإكثار النخيل .

---

(١) د/ أحمـــد عبد المنعم عربود ، حقل " مدينة النخيل ودرة الخليج ، المجلة العـــربية ، العدد ٢٦٢ ، ذو القعدة ١٤١٩هـ ، مارس ١٩٩٩م ، ص٣٠ ، بتصرف بسيط) .

* ونختم جولتنا تلك بالحديث عن :

" نخيل العراق "

أول دول العالم في إنتاج التمور زراعة وتصنيعاً : فعلى امتدادات نهر الفرات في : الحديثة وهبت ، والرمادي ، كربلاء ، الكوفة ، والنجف ، والسماوة .

وامتدادات نهر دجلة في : مليجي ، تكريت ، وسامراء ، والكاظمية ، والعزيزية ، والكوت ، ولحي ، والرفاعي ، والناصرية . وفي أربيل ، وكركوك ، الموصل وغيرهم تنتشر ملايين من أشجار النخيل ، التي نبتت في أرض الخير والعطاء ناشرة خيراتها في كل مكان . ومن أشهر مناطق إنتاجه وتصنيعه مدينتي بغداد ، والبصرة ، التي تنتج تموراً عديدة الأصناف ، والتي تنتج ما يزيد على ١٣٠ ألف طن سنويا بمفردها ، وهذا الرقم يمثل أكثر من نصف إنتاج العراق كله من التمور على مدار السنة . وفي آخر إحصاء لعدد أشجار النخيل بمدينة البصرة وجد أنها تتخطى أربعة عشر مليون نخلة ، من مجموع عدد النخيل في العراق ، البالغ ٣٠ مليون نخلة ، ولا يمكن لنا أن نغفل الدور الكبير الذي قامت به النخلة وخيراتها في دعم صمود الشعب العراقي في محنته المفروضة عليه منذ أكثر من ستة عشر عاماً .

❁❁❁❁❁

الفصل الثاني

" النخيل في الأدب العربي "

شـــجرة النخيل : هي الشجرة الوحيدة التي اختصها الأدب العربي بالاحتفاء حتى امتلأت المصادر والمراجع بما أطلق عليه " أدب النخيل " والتـــي اســـتلهم الكـــتاب والأدباء من نبع عذوبتها : جمالاً كشفت عنه الحـــروف ، ومن رقتها تلألأت أنوار الكلمات بعطاءاتها ، فانبعث ندى الكلمـــات - شعراً ونثراً - برداً بين الشغاف والضلوع ، جعل القارئ والـــسامع يلهـــث وراء هذا السحر الجذاب الذي أخذ بمجامع الألباب .. ولما لا ؟

إنه النخيل : المـــبارك السعيد الذي وهبه الله حياة ومداً لوجودنا ، ورزقـــاً مُيَـــسَّراً لأهلنا ، وأمنا وجمالاً لربوعنا ، يميل القلب في شغف عندما تتمايل أغصانه ، وتعزف شغاف النفس ألحان الطرب عندما تطالع الأعين سحر الحياة من خلف أوديته ، إنه الجمال ، إبداع الله - جل في علاه - الذي اخْضَرَّ به الصخر وازدانت بنشوته بواديه .

إنه النخيل : الذي يناجي الرياح في عليائها : فيقهر قوتها ويهزم عنفوانها عندما تثور ثائرتها ، وتتردد ألحان الجمال في نفوس راعيها ، وفي بهاء وصفاء وجمال تدعو باريها ، وتلقى بالشقاء لمن يشقيها ، هو نرجس الروض في حدائقها وصحاريها ، ومحيي الموات بخيراته أزمانا فطول العهد لا يبليها ، فصارت رمزاً للعز كل روابيها .

إنه النخيل : هـوى الفـؤاد وموطن الجمال ، يبقى رغم البعد في ضياء الخيال ، ويغرد الطير في منابعه فشدوا الأرض بالبشر والآمال ، وفي المساء حكايا الحنين على أرجائه تنتشر ، والصحبة الوفية تسترجع الماضي وبهجته في عشيات لا حقد فيها ولا شر ، تئن الأرواح في البعد عـنه ، ويبقى لهيب الشوق إليها مستعرا ، وعلى أرضه نعيش في دعة وحنان وسعادة تنهمر ، وقلوب يدفئها العطر ، ويطرب النجم في علياته بباسقاته التي تطاله نشوانة تفتخر .

إنه النخيل: الـذي زفت إليه القوافي طرباً ، شعرا إن لم ينطق له حسباً صـار ضـرباً من اللهو واللعب ، وأبيات تسكب في حبه رحيقاً وتـستقي بهائها من جماله النضر ، لتورق الأحلام في عيوننا ، وتغني طيور القلب في الفجر .. وتسري مواكب الشوق تناجى بالحنين بساتينه الخضراء .. وتتنافس الألحان مع همس الطيور في أجوائه النضر ، ما كنت أحسب أني عاشق بهذا القدر لنبعه العطر ، وما كنت أحسب أن نار الجوى تشتغل في جسدي كلما تمايل غصنه بالرطب .

إنه النخيل: الـذي تصحو على بسمته السهول ، وتلتحف الروابي بحسنه في كل الفصول ، ومنتجعه يغني للحب منتشياً بباسقاته الصامدات في الرمال ، تغازل الشمس في حب وفي شغف ، وتلمس وجه القمر في دوحـه فترى حسنه وترتشف ، والعشب يزهو من حولها بجماله ، نائماً في ظلالها وثمارها في الحلم تؤنسه .

إنه النخيل : تتناقل أساطيره الطيور في رحلاتها ، ويتلوها الرواة علــى صوت الناي ، والبدوية السمراء تخطو في روضه ، وتُنَفِّضُ عن جدائلــه ذرات الرمال ، ويرويه الأهل إذا جف الماء بدمعهم ، وقلوبهم تحـيط بالأغـصان في علياتها ، وتلتف حول جذوعه وتُلْبِسُهُ ثوباً من فـؤادها ومعاطـف مـن جلالها : تقيها هبة الريح العاتية في موسمها الغضوب ، والنذر الفاجعة ، وركام اللهيب .

إنه النخيل : ينـبت في جوف الصحراء فتبتلع الأرض أحزانها ، وترتدي ثوبها الأخضر الرقراق ، وتهنأ بزوال جحافل إهمالها ، وتنتشي بفـرحة عمرانها : أخيراً تذكروني .. دبت أقدامهم الحنينة فوقي .. ما أحلى ضربات فئوسهم في باطني ، كم اشتقت لتلك الضربات ، وحبات العـرق تتـساقط مـن الجباه ، ويدور الزمن وتتغير أشكال الحياة فوق سـطحي ، ينـبت الصغار كما نبتت الأشجار ، وتطل تيجان الخضرة تظللنـي ، وتبتـسم حبات رمالي بلهو الأطفال ، ومعاول الرجال وهي تنبت الحياة من قلب الصخر والرمال .

إنه النخيل : رفـيق الـصحراء والـشواطئ والأمواج ترنو إليه ضـفافها، يناجيه مائها ، وتداعبه نسماتها : تبتغيه وحده لتتسلل إلى نبع أسـراره ، وتغوص في سر عظمته وإبهاره وخلوده ، منذ غرسته أيدي أجـداد الأجـداد العاشقين للحن الخلود ، فنثروا أشجارها على الثرى ، وَسَقَوْهَا وُدُّهُمْ وصبرهم ، وأحلامهم ، ورعوها بدماء أكبادهم ، فتباهت فـي علـيائها : بآهات كَدِّهم ، وتنهيدة صدورهم ، وازدادت شموخاً :

بنظراتهم وبصماتهم وحفاوتهم وآمالهم ، فكافئتهم على صبرهم بعطاءها الغزيـــر، وخيرها الوفير . وتلقف الأحفاد بحفاوة بالغة : عطاء الأجداد فاستعذبوا إكثاره وإنمائه ، فرزقوا خلفه وثماره .

إنه النخيل : حـــين يتجمل .. يتكمل .. يتدلل .. يتشكل .. يتغنى.. يتثنـــى كالملكـــات .. مخـــتالاً كالحـــوريات بفيروزه وياقوته ، وتدلي الألماســـات مـــن جنباته ليملأ دوارق قلوبنا بالقطرات .. ويبلل جفاف أرواحنا في جوف الواحات .

إنه النخيل : قائماً صلداً كأعمدة من حجر الصوان ، تأبى الركوع والهوان والخذلان ، وتظل شموساً في ظلمة الأكوان : مضيئة .. تهدينا إلى شواطئ الأمان ، وتمدنا بآفاق العنفوان .

إنه النخيل : ذاكـــرتنا .. تـــراثنا .. عِزّنا .. غذائنا .. عطرنا .. مَاسَـــاتنا .. يَاقُوتنا .. دُرَرَنا .. فيروزنا .. خيالنا .. شوقنا .. حبنا .. أحلامنا .. رغباتنا .. ثلوجنا .. أمطارنا .. أعاصيرنا .. دفئنا .. أنهارنا .. بحارنا .. غيمنا .. برقنا .. رعدنا .. أهدابنا .. جدراننا .. سياجنا .. قُوّتَنَـــا .. قُوتُنَا .. سلاحنا .. وطننا .. فلذات أكبادنا .

" النخيل في الشعر العربي "

أكثر شعراء العربية القول في طيب نبتها ، وطول سيقانها ، وقمتها العالية الخضراء تطاول عنان السماء :

باسقات النخل في الطلع النضير

تتهادى كالعذارى في الحلـــى

ولشاعر آخر :

كأن النخيل الباسقات وقد بدت

لناظرها حسنا قباب زبرجـــد

وقد علقت من حولها زينـــة لها

قناديـــل ياقوت بأفراس عسجد

وسماها " المعري " أشرف الشجر :

شربنا ماء دجلة خير ماء وزُرنا أشرف الشجر النخيلا

* وألهــبت النخلة خيال " أبو نواس " الحسن بن هانئ ففتح عينيه وأذنيه وحواسه على جمالها ، وتعاطف معها ، وَأَنِسَ بها ، وتَغَزّل فيها غزلاً رقيقاً ، نجتزي مما قاله في وصفها :

لنا خمـــر وليس بخمـــر نحل ولكـــن من نتاج الباسقـــات

كرائم فـــي السماء زهين طولا ففات ثمارهـــا أيدي الجناة

قلائص في الرؤوس لها ضروع تـــدر عـــلى أكـــف الجاليات

صحائـــح لا تعد ولا نراهـــا عجاف في السنين الماحلات

وفي قول آخر له : يراها عروس إزَّينت :

لا أنعت الروض إلا ما رأيت بـــه

قصراً منيفا عليه النخل مشتمـــل

فهل له من صفتي إن كنت مختبرا

ومخبــراً نفــراً عني إذا سألــوا

نخل إذا جليـت أبان زينتهـــا

لاحت بأعناقهـا أعذاقها النُخُل

- أما " امرؤ القيس " فلا يكتمل جمال حبيبته عندما يجذبها إلا عندما تنقاد إليه في لين ودلال كنخلة ذات شماريخ :

فقالت سباك الله إنك فاضحــي

ألست ترى السُمَّار والناس أحوال

فقلت : يمين الله أبــرح قاعـــدا

ولو قطعــوا رأسي لديك وأوصالي

إلى أن يقول :

فلما تنازعنـــا الحديث واسمحــت

هصرت بغصن ذي شماريخ مَيَّـال

أما " شَعَرُ " الحبيبة عنده فهو في كثافته كقنو النخلة أو العذق السباطة " الكثيفة للثمار :

وجيد كجيد الرئــم ليس بفاحش

إذا هــي نصتــه ولا بمعطـــــل

وفرع يُغَشّي المتن أسور فاحم

أثيث كقنــو النخلــة المتعثكـل

- وشـــجرة النخيل هي : حسن الحضارة ، وأصالة الانتماء ، وهي " عروس الأشجار " ، أو هي كحسناء " أبي الطيب المتنبي " العربية الحسن من غير خداع في الزينة :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب

وتشبيه الثــرى :

بترشفن من فمي رشفـــات نقـــت منها حلاوة التوحيد

والتوحيد هنا : نوع من التمر المعروف .

- وعندما يحيط النخل بالقصور والبساتين يكون الجمال خلاباً ترتاح لـــه العين ، ويهواه الفؤاد ، فَيُحَلِّقْ الشعر في الآفاق ، كقول " أبو قطيفة " في قصر " سعيد بن العاص " أمير المدينة المنورة في عهد " معاوية ابن أبي سفيان " :

والقصر والنخل فالجمال بينهمـــا

أشهى إلى النفس من أبواب جيرون

والــشاعر هنا يفضل هذا القصر بنخيله على ما لمدينة دمشق من مناظر خلابة [1].

- وملكت " شجرة النخيل " ألباب الشعراء ، واحتلت مكانة سامية في

---

(١) (أ / محمد محمد حسن شراب ، وادي العقيق في التاريخ ، مجلة الفيصل ، العدد ٩٨ ، مايو ١٩٨٥م) .

تكــوين مفــرداتهم الشعرية ، فتطاولوا معها في أعمدة قصائدهم ، وعاملوها أسمى مما عاملوا البشر : تاريخاً وتوثيقاً ودراسة وبحثاً وتنقيــباً لإبراز سحرها ، حتى نالت الكثيرات من أشجارها شهرة كبيرة :

فنخلــتا حلوان بالعراق : كانتا من غرس الأكاسرة ، وضرب بهما المثل في طول العمر ، وتبارى في تمجيدهما الشعراء ، ومنهم " مطيع ابن إياس " الذي قال فيهما :

أسعــداني يــا نخلتــي حلــوان

وأبكيا لي مـــن ريب هذا الزمان

واعلما – إن علمتما – أن نحساً

ســوف يلقاكمـــا متفرقتــان

أما " حماد عجرد " فقد قال فيهما :

جعل الله سدرتي قصــر شير ن فــداء لنخلتــي حلــوان

جئت مستسعداً فلم تسعداني ومطيع بكــت لــه النخلتان

- وأما الشاعر / عبد الرحمن بن معاوية (المعروف : بعبد الرحمن الداخل) وبصقر قريش ، مؤسس الدولة الأموية في الأندلس ، الذي امتد حكمه بين سنتي : (١٣٨ – ١٧٢هـ – ٧٥٥ – ٧٨٨م) فيقول في قصيدة له بعنوان : " يا نخل " .

يا نخــل أنت فريدة مثلـــي في الأرض نائبة عن الأهــل

تبكي ، وهل تبكي مكممـــة　　　عجماء ، لم تجبل على جبلـــي

ولو أنها عقلت ، إذن لبكت　　　ماء الفرات ومنبـت النخـل

لكنها حُرِمَت ، وأخرجنـــي　　　بُغْضُ بني العباس عن أهلي[1].

وفـــي قصيدة أخرى له يبثها حبه وحنينه ، وأنها خير أنيس له في غربته بالأندلس ، وأنها غريبة هناك عن أرضها مثله ، يقول فيها :

تبدت لنا وسط الرصافـــة نخلـــة

تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت : شبيهي في التغرب والنوى

وطول اكتئابي عن بني وعن أهلـــي

نشأت بأرض أنت فيها غريبـــــة

فمثلك في الإقصاء والمنتـــأى مثلي

سقتك غوادي المزن في المنتأى الذي

يصح ويستمري المساكين بالوبـــل

- وفي وصفه للتمر قال : عبد الله بن حسن السالمي (١٠٥٤- ١١٢٠ هـ) - (١٦٤٤ - ١٧٠٨م) ، وفي حبه له :

أحببته حب الصغير أمـــه　　　ولا عجيب حبي ابن عمه[2].

---

(١) (شعراء أندلسيون، ملحق كتاب في جريدة الأهرام ، نوفمبر ٢٠٠٠م).

* و" للــشهاب المنصوري " (أحد شعراء عصر المماليك) دفقة شــعورية عميقة ، ترجمها شعرا ، وطاف بأبياته حول النيل ، يودعها مرائية ومشاهده ، وفاض لسانه بعبارة وشيقة أقام منها للنيل وشاطئيه، والأغصان والزهر . والنخيل ، والسفن غُرْسا يزدان بالبهجة والفرحة، وفي مقطع من تلك الدفة يقول :

وَمَدَّتِ الدَّوْحُ من أوراقها خيمـــاً

ومن عناقيدهـــا لاحـــت قناديل

وللنخيل إذا مَاسَتْ قلائـــد مـــن

حمر اليواقيـــت حاكتها العثاكيل

لا غرو أن سحرت عيني وخُيِّل لي

بأنها ذهبٌ وهـــي التماثيـــل[٣].

* ومن أبيات : النمر بن تولب " في وصف النخيل ، مبيناً كم من نخلة بسقت ، وبقت ، وراصداكم من نخلة استطالت ومازالت :

بنات الدهر لا يخشين محلا إذا لم تبــق سائمة بقينا

كأن فروعهن بكـــل ريـــح عذارى بالدواب ينتفينا

• أما الشاعر الكبير المرحوم / عبد الله بن زيد آل داود – رحمه الله

---

(٢) (المحبي : تضحه الريحانه ٤/ ٢٥١ ، بتحقيق د/ الحلو ، ط ١) .

(٣) (د/ محمـــود رزق ســلم ، النـــيل في عصر المماليك ، دار القلم / مايو ١٩٦٥م) .

- (١٣٨٥-٢١ ربيع الأول ١٤١٧هـ) - (١٩٦٥- ١٩٩٦م)

والذي يصفه الأديب الأستاذ / عبد الله بن سليم الرشيد بأنه : " شاعر العواطف النبيلة " ، ويبرهن على ذلك بقوله : خُلِقَ عبد الله ألوفا ، وأظنه كان سريع الدمعة ، فقد ألف الشعر ، وألف رتابة الحياة الساكنة ، فآلمه أن يرى المشهد الشاذ بما يحمل من صراع أو فجيعة ، كمشهد الطفلة الصريعة تحت السيارة (يذكر أنه - رحمه الله- توفى في حادث مروري) فيقول :

يا ليتني نخلة قامت تظللها وحولها تسقط الأضواء والثمر(١)

- أما الشاعر السوري / محمود حامد فلنا مع إبداعه وقفة طويلة ، بطول قصيدته : " عاشقا لك النخل يمشي " ، والتي يُعدُّهَا أغلى قصائده ، ويقدمها بقوله :

" هي تلك القصيدة التي انبثقت من غيبها القصي أخيراً لتشكل إضافة جديدة لمسيرة الشعر في حياتي !! ..

هي تلك القصيدة التي يلف الوطن غمامها بين الشفق والأرجوان " ، ويبدأ مقطعها الأول برؤية فنية يتساءل فيها :

أرأيت إذْ ...

قام النخيل إليك يمشي .

---

(١) (المجلة العربية ، السعودية ، العدد ٢٣٣ ، جمادي الآخرة ١٤١٧هـ - نوفمبر ١٩٩٦م ص ١٠٤) .

كيف قام إليك حلو التمتمات

يكاد عصفور المنى

من راحتيه يطير !! ؟

ويتساءل عن قول : " القبرات " و" الريح " ، التي تنقل حديثهن ، وحزن الصحراء منذ غادرها عصفور النخيل :

ماذا تقول القبرات

غداة يعبر نحوهن المعذر المشتاق !! ؟

والريح تنقل للغمام حديثهن

وأي حزن في الرمال يراق !! ؟

إذ يصطفيه العشب ،

والصحراء تحمل عريها

منذ غادر الصحراء عصفور النخيل

وهاجر العشاق !! ؟

ولا يفوت الشاعر " مساء النخيل " وهمسه الحاني :

هذا مساء النخيل يهمس بي .

تعال

فكيف آتي !! ؟

إذ ستكسرني إليك الخطوة الأولى

وتكسرني إليك الخطوة الأخرى

وتقذفني الجهات إلى الجهــات

فكيف آتي !! ؟

ويخلب لب الشاعر : عشق النخيل وكبريائه :

أرأيت إذْ ...

قام النخيل إليك يمشي عاشقاً

يمشي مديد الهام والقامات [1].

وفي قصيدته : عصفوران من نخيل ، يتساءل : من أنت ؟

عصفور النخيل أنا .. وأنت ؟

من العاشقيـــن

ما أنت عندي في الصبايا

مثلهن ... ولا أنا

في صبوتـــي

كالآخرين !!

وفي مقطع آخر منهـــا :

هانحن عند الشرفة الأولى

تفاجئنا غمامات قهوتنـا

نسينا من متى

كان اللقاء

هانحن قُبَّرتَان تتبثقان

---

(١) (المجلـــة العربية ، العدد ٢٦٩ ، جمادى الأول ١٤٢٠هـ- أكتوبر ١٩٩٩م ص ٩٠) .

من نخل وماء

ويشبِّه الحبيبة بالقمر الذي تهادى في صبايا النخل :

هاأنت يا قمراً

تهادى في صبايا النخل

تحملني إليك

فوق ارتعاشه مقلـــــة

تحنـــو عليك

ويعود متسائلاً : من أنت ؟

عصفور النخيل أنا ، وصبوة مقلتيـــك

ويختتم قصيدته : بالتساؤل :

من أنت ؟

عصفور النخيل أنا .. وأنت .. ؟؟

من العاشقين

ما أنت عندي في الصبايا

مثلهن ولا أنا في صبوتهن كالآخرين [٢].

- ومـــا زلنا مع الإبداع الشعري السوري ، من خلال قصيدة الشاعر والكاتب المبدع/جاك صبري شماس في قصيدته : " يا شاعري " ، والتـــي اتخـــذ فيها من النخيل ورائحته لواءً وراية وعلما بارزاً ،

---

(٢) (المجلة العربية ، العدد ٢٣٢ ، جمادى الأول١٤١٧هـ - سبتمبر ١٩٩٦، ص٦٩) .

يـــصف بهم الشاعر السعودي الكبير / محمد حسن فقي في قصيدته المهداة إليه :

أودعت طُهْــرَ الحرف في أفيائي

ويممت أنشق نسمة الشعراء

ودنوت من " حسن " النبيل مصافحا

شم النخيل ، ونخوة البيـــداء

ورجوت ربي أن تعود مظفــراً

بالصحة النعماء والأنداء .

وفي مقطع آخر منها :

أنا شاعر " الخابور " [١] يعرفني الورى

وسلوا إن شئتم نخيل لوائـــي

أدمنت عشق الضاد حين رشفته

من منهل القرآن ، والخلفاء

أنا شاعر طفل ومثلك قدوتـــي

وإلى القيادة طاعتي ، ووفائي

هاتيك أبياتي يصوغ وقاؤهـــا

بالنيل والإيثار والأنداء

الله يشهد ما أقول وإنني

---

(١) (الخابور : نهر عريض يجري في مدينة الحسكة بسورية) .

أفدي النخيل بأحرفي ودمائي[٢].

أمـــا قـــصيدته " منفاك يحبي : غربة وشقاء " والتي كتبها بعد أن ترك الشاعر العراقي الكبير / يحي السماوي المملكة العربية السعودية ، مهاجــراً إلى استراليا ليعيش بين قوم غرباء في اليد والوجه واللسان ، والتي يخاطبه فيها : مذكراً إياه صفوة الهناء في بلاد الغربة ، وقد كان فـــي بلـــد النـــبوة وبين أهله الكرماء ، ومشبها إياه بالنخيل عندما يفقد نـــضارته ، وبـــسعفه الـــذي لا تهون عليه حياضه ما دام يروي أرضه الشهداء .

يا ابن العراق إذا الخطوب تَسَعَّرَت
فمن الخطوب ستنجلي الظلمـــاء
ويؤوب للنخل الكئيـــب نضارة
وتميس في حلل الشذى الورقـــاء
يحيى (أبا شيماء) مهلا يا أخـــي
فالصبر عندك وقفـــــة شمـــــاء
لم يرض سعف النخل هون حياضه
ما دام يسقى تربة الشهـــداء [٣].

---

(٢) (المجلة العربية ، العدد ٢٣٣ ، جمادى الآخر ١٤١٧هـ - نوفمبر ١٩٩٦ ص٩٠) .

(٣) (المجلة العربية ، العدد ٢٦٢ ، ذو القعدة ١٤١٩هـ - مارس ١٩٩٩م ص ٩٥) .

- وحين يخاطب الشاعر شاعراً لا ينسى النخيل : وهذا ما نلمحه في قصيدة الشاعر السوري الدكتور / ثائر زين الدين " بين المتنبي وضميره " ، حين يخاطبه قائلاً :

ضيعت عمرك خلف أوهــام الإمارة

ضيعت عمرك ما استرحت ولا أرحت

من العراق إلى الشــــام

من الشام إلى الكنانــة

من ذا يبيع إمارة بالشعــر ؟

منْ يهديك أسيافاً لت،شهرها عليــه ؟

ضع عنك أعباء الرحيل

جوى الطريق

ووحشة الصحراء

ألق إذن عن حُلْمك الضاري عُبَارة

- الروم تعبث بالشمــال !

و" السّذر " قد ربطوا الخيول إلى النخيل

وأرى البلاد لكل متر واحد ملكٌ ذليل !!

- أتظنُ نفسك منقــذاً ؟

هونا إذن يا سَيِّدَ الشعراء [1].

- ومــن عشقه لوطنه الكبير تغنى الشاعر السوري الراحل " نــزار قبانــي " (ت ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) ، عبــر العديد من قــصائده الوطنية رفيعة المغزى والمعنى ، وقدرته الفائقة على الإمساك باللحظة ، وهموم الناس وشواغلهم وبساطتهم وآهاتهم المكــبوتة ، حتــى أنه يعد بحق أكثر الشعراء توغلا في أحلام البسطاء ، وحقهم في حياة أفضل ، وبرغم ما يؤخذ على بعض أشعاره من جرأة بالغة خاصة عندما تناول الحب باعتباره أسمى العلاقات الإنسانية بين الرجل والمرأة ، ويبقى أنه الشاعر الذي نقــل الحب من الأقبية السرية إلى الهواء الطلق كما قالت ابنته هدباء قباني " .

وحب الأوطان هو جزء من العاطفة الإنسانية تجاه الأرض والنبت والمكان بكل ما يحويه ، وقد برهن على ذلك في العديد من قصائده :

- ففي قصيدته : " موال بغدادي " يناجي " بغداد " في عشق فريد :

مدى بساطي .. واملئي أكوابــي

وانسى العتاب ، فقد نسيت عتابي

عيناك يا بغداد ، منذ طفولتــي

---

(١) (م. العربي – الكويتية ، العدد ٤٣٩ ، يونيو ١٩٩٥م ، ص ١٥٤) .

شمسان نائمتان في أهدابـــي

ويـــستطرد مبيناً آثارها ومعالمها الحضارية ونخيلها وأعنابها فهو يرى فيها كل ملامح الوطن :

حتى رأيتك قطعـــة من جوهـــر

ترتاح بين النخل والأعناب

حيث التفت ، أرى ملامح موطني

وأشم في هذا التراب ترابي [1].

- وعـــندما يناجي " بيروت " في قصيدته : " بيروت الحب والمطر" يشبهها بأنها " نخلة روحه " :

عندما تمطر في بيروت .

تنمو لكآباتي غصون ، ولأحزاني يدان

فادخلي كنزه الصوف ... ونامي

نحن تحت الماء يا نخلة روحي .. نخلتان

- وفـــي قـــصيدته " شـــكرا " يناجي الحبيبة التي علمه حبها القراءة والكتابة ، وزوده بأروع المفردات ، وفي مقطع منها يقول :

شكرا لِشِعْرِكِ .. شاغل الدنيا

---

(١) (كتاب في جريدة ، مختارات نزار قباني ، ج. الأهرام ، ٧/٤/ ١٩٩٩م.

وسارق كل غابات النخيل

شكرا لكل دقيقــة

سمحت بها عيناك في العمر البخيل

- ولم تخل العديد من قصائده وإبداعاته عن ذكر النخيل كقامة سديدة ، ذات كبــرياء وشموخ وتاريخ وأصالة ، وزهو بتفردها وعليائها وعطاءاتها ، ولو راجعنا قصائده :

إلــى الأمير الدمشقي توفيق قباني (١٩٤٩- ١٩٧٣م) ، أحزان الأندلس ، و" حزب المطر " وغيرهم لوجدنا الكثير بما يوحي بقلب ونبع شاعري فياض .

- ولكــن ماذا يقول نبض الشاعر عن بلدته ، ومسقط رأسه ، وملهى الــصبا ، خاصـــة أن كانت كبلد مثل " الهفوف " حاضرة الأحساء بالمملكة العربية السعودية بواحاتها ، ووديانها وبساتينها ونخيلها ؟

يقول الشاعر الكبير الدكتور غازي بن عبد الرحمن القصيبي :

" وفـــي الهفــوف ، حاضرة الأحساء ، مسقط رأسي ، نلقي عصا التسيار ، قلت عن الهفوف ، أني أشعر بتأنيب ضمير هائل نحو الهفوف لـــذنب لا يد لي فيه ، هذا الذنب هو أنى لا أكاد أذكر من طفولتي فيها شــيئاً ، خرجت منها في سن الخامسة ، ومع ذلك لا أتذكر تلك الفترة، يكاد كل ما أذكره عن الهفوف ، بساتينها الجميلة، دروازاتها العتيقة أم

السعف والليف الاسطوانية التي تطير بعد أن يخيم الظلام ، التمر والليمون والتوت والخوخ ، يكاد كل ذلك يرجع إلى مكان خارج الذاكرة ، كنت ، ولا أزال أستجدي الهفوف المغفرة، لعقوق الذاكرة ، ومع الاعتذار تجيء قصيدة " أم النخيل " والتي خاطبها بقوله :[1].

أتذكرين صبيا عاد مكتهلا

مسربلا بعذاب الكون .. مشتملاً ؟

أشعاره هطلت دمعا .. وكم رقصت

على العيون بحيرات الهوى جذلاً

هفوت ! لو ذقت شيئاً من موجعه

وسدته الصدر .. أو أسكنته الخصلا

طال الفراق .. وعذري ما أنوء به

يا أم ! طفلك مكبول بما حملا

ويبثها لواعج نفسه ، وحرقة روحه ، وآلام وطنه ومحنة أمته :

لا تذكري لي صلاح الدين .. لو رجعت

أيامه .. لارتمى في قبره خجلا

---

(١) (كتيب المجلة العربية ، الزمان يزور المكان ربيع الآخر ١٤٢٧هـ - مايو ٢٠٠٦م ، ص ٣٠) .

أين الكرامة .. قد ماتــت بغصتهــا؟

أين الإباء .. أمل الجبن .. فارتحــلا ؟

عجبت من أمة القرآن .. كيف غدت

ضجيعة الذل .. لا ترضى به بــدلاً

أسطورة السلم .. ما زلنــا نعاقرهــا

يا من يصدق ذئبــاً صادق الحمــلا

حمامة السلم .. حلمي أن أقطعهــــا

وأن أعود بصقــر يقنص الوجـــــلا

" شارون " نحن صنعناه بخشيتنــــا

كم من خشية صنعت من فأر جبلا

تعلق القــزم .. لما قزمــت قمــم

واستنسخت نملة في ذعرنا جمــــلا

هات الفؤاد الذي ثار اليقيــــن به

وأقذف بي النصر .. أو فأقذف بي الأجلا

ويختم قصيدته :

آمــلاً من بلدته أن تهبه بديلا للواقع المهترئ ، مشيراً إلى نخيلها

باعتــباره رمزا للخصب والنماء والخلود ، حتى وإن كان الثمن عمره وبقايا روحه :

أم النخيل ! .. هبيني نخلة ذبلـــت

هل ينبت النخل غصنا بعد أن ذبلا ؟!

يا أمّ ! .. ردي على قلبي طفولتــــه

وأرجعي لي شبابا ناعمــاً أفـــــلا

وطَهِّري بماء العيــن .. أوردتـــي

قد ينجلي الهم عن صدري إذا غسلا

هاتي الصبي .. ودنياه .. ولعبتـــه

وهاك عمري وبُقيا الروح .. والمقلا

- **وحين يرسل** الشاعر الكبير الدكتور " غازي القصيبي – حفظه الله – رســالة إلـــى الشاعر العراقي الكبير يحيى السماوي " بمقر إقامته باســتراليا ، والذي عانى من متاعب الحياة وآلامها ، وتقطر نفسه حــزنا على فراقه للأهل والوطن ، وردَّ عليه " السماوي " بقصيدة بلــيغة طــويلة من خمسة وخمسين بيتا بثه فيها أشواقه وحنينه ، وحزنه الكبير على تشرده بعيداً عن العراق : موطنه ومولده وحياته وصديقته التي خلت من بساط الذهور ، وسعيه الدؤوب لوهله رغم أنــه لا ناقــة له في العراق ، وإنما له فيه : مشنقة ، وقيد أسير ،

وقبـــر أباه ولحد صغيره . يقول " يحيى السماوي " في قصيدته : " أنا نخلة البرحى " :

ظمأى لمائدة يا فرات جذوري　　وبسعف نخلك يستغيث حصيري

خُيِّرْت بين ذلال غيرك في الهوى　　ووصول جدول حقلك المهجور

فاخترت وحْلَكِ يا عراق وبي له　　شغف الضريـــر إلى ذبالت نور

وفي مقطع آخر :

أنا نخلة " البرحيِّ " أرتشف اللظى

وأمد أعذاقي لصحـــن فقيــــر!

أنا نخلة " البرحيِّ سعفي في العُــلاَ

يغدو - وصابا - في إناء كفُــورِ

أنا نخلة " البرحيِّ " صدري سُلَّـمٌ

للظاهرين ومن سعــى لطهـــورِ

والحاملين قلوبهـــم بأكفهـــم

بســلاء ضد جحافل التنصيــــر

أنا نخلة " البرحيِّ " أعرف أنني

جذع -- ولكن العظيم نصيـــري

وينتقل مخاطباً : نخيل وادي الرافدين : دجلة والفرات قائلاً :

يا نخل وادي الرافدين: طيـوري .·. ضـاق الفضاء بها..وجف غديري

لا الأرض مـن حـولي تـدور .·. فألتقي أهلي،ولا دار الهوى بسريرِ

وفـي مقطع آخر يبث حنينه إلى العراق ورماده ، وسعف نخيله ، وطين فراته ، في تصوير فني أدبي بديع ، فهما " كَفَنَهُ " وكافوره :

مالي أحِنُّ إلى العراق وليس لـي

بسهولة إلا رمـاد حصيـر ؟

لا ناقة لي في العـراق .. وإنما

لي فيه مشنقـة وقيد أسيـر ؟

لا ناقة لي في العـراق .. وإنما

لي فيه سبْيُ غدٍ وجوع فقيـر ؟

لا ناقة لي في العـراق .. وإنما

لي فيـه قبر أبـي ولحـد صغيري

وبقيـة من إخـوة عبثت بهـم

أغـلال سَجّـان وعتمة سـور

لكن بـي الجنـون فَسَعَفُـهُ

كفني ، وطين " فُراتِه " كافوري[1].

---

(١) المجلة العربية ، العدد ٢١٧ ، صفر١٤١٦هـ - يوليو ١٩٩٥، ص٥٠).

ويـتدفق نهـر الحنين من النبع الإنساني ، الذي يملأ لب الشاعر وفكـره ، فينـساب علـى الورق كرصيد زاخر من المعاني والصور الشعرية التي تأسر الألباب بواقعيتها وبما تنطق به من معاناة ، وهو ما نلمـسه فـي قصيدة " أنا ذلك البدوي " لشاعرنا الكبير يحى السماوي ، والتي يتناول فيها غربته في منفاه : مذبوح الخطى ، ولكنه يرقب بشارة النخل الذي أصاب سعفه السقم ، وما أجمل أن يأتي إلهام الشاعر من نبع معاناته ، وليس من الكتب ، وبطون الدواوين :

يشقيك يا ليـلاي ما يشقينـي

منفاي دونك .. والصبابـة دوني

تبنا وقد عربت مذبوح الخطـا

مسكينة تصبـو إلى مسكيـن

مترقبين بشـارة النخـل الذي

أضحى سقيم السعف والعرجون(٢)

- وفـي تجـربة الشاعر العراقي الكبير/ عبد الوهاب البياتي العديـد مـن الملامح الحسية والنفسية ، والتقوت بالذكريات في لحظات الألم والأسى التي تواجهه :

---

(٢) المجلة العربية ، العدد ٢٧٨، ربيع الأول ١٤١٢هـ- يونيو ٢٠٠٠، ص٢٤).

ففـــي " تــذكار مــن بغداد " لا يتذكر إلا نخلة وقُبَّرَة طارت مع الشمس، وهي ليست مجرد ذكرى قروية لا تنسى .

فالشاعر لا يمر بمرحلة تتراوح فيها نفسه بين القرية والمدينة ، أو مــرحلة حنــين على القرية ، فقد تجاوز المرحلتين ، بل يجب أن تفهم الذكرى في بعدها الرمزي ، ومن أبسط الرموز التي ترتبط بالعراق كله رمز النخلة ، والقُبَّرَةَ التي طارت عن الوطن رمز للشاعر نفسه ، الذي رحــل عن وطنه وراء شمس الحرية والثورة ، رحل من وطن الظلام السياسي الذي لا يعرف النهار لعله يعود إليه بقبس أو جذوة من النار:

يا نخلة في سجن بغداد ، أتذكرين

غنائنا الحزيــن ؟

قبرة طارت مع الشمس ، وهذا كل ما أذكره

يا حسرة للسجــن

قبرة طارت مع الشمس ، وفي بغداد من صراحها أتين يا نخلة في وطن النائي ، أتذكرين ؟[١].

- ونختار من " موريتانيا " قصيدة الشاعر المختار السالم أحمد سـالم " القـيعان الدامـية " ، والتي يبث الشاعر فيها حبيبته :

---

(١) د/ مخــتار أبو غالي ، المدينة في الشعر العربي المعاصر.، عالم المعرفة ، الكويت ، ذو القعدة ١٤١٥هـ - إبريل ١٩٩٥م ، ص ١٩٦) .

أشواقه وهيامه ، ومشاعره ، والخوف المستبد بعينيها فما خافتا البــروقا ، ويشهد عليها " صبايا النخل " في المقطع الأخير من القصيدة :

بالسنين " النمال " وهي تدانــى

ميسم الغيب ، والزمــان العليقا

بخنوع الخيال وهـــي رفـــاة

بصبايا النخــل المريبات شوقا ..

سوف أحدو.. بالطوب.. والطوب حتى

يكتب النخل صمتك الموثوقـــا

ستظل القيعان داميــة ، مـــا

لم تسيلــي براحتي شروقـــاً [٢]

- ولم ينسى الشاعر البحريني الكبير / على الشرقاوي " النخلة في عالمه الشعري المترامي الأطراف ، الحافل بالقضايا والرؤى الــسياسية والاجتماعــية ، مع قدرة فائقة على إحياء التراث ، ودمجــه بمضامين عصرية فتآلفت أعماله مع الطبيعة بسحرها الخــلاب ، ومــا أجمل من البحر والزرع والنخيل . وقد حمل

---

(٢) (المجلــة العــربية ، العــدد ٢١٨ ، ربيع الأول ربيع الأول ١٤١٦هـ – أغسطس ١٩٩٥م ، ص٤٤) .

ديــوانه الصادر عام (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) اسم " نخلة القلب " ارتباطاً بصورة تراثية ذاتية ذات فنية خاصة وأبعاد متفجرة [1].

● أما الشاعر / على عبد الله الخليفة : أحد رواد الحياة الثقافية بالبحــرين ، وناشــر ورئــيس تحرير مجلة " كتابات " الأدبية البحــرينية ، وقد حمل ديوانه العامي اسم : عطش النخيل " ولم تخلــوا قصائده الفصحى من لفت الأنظار إلى النخيل وثماره . وقــصيدته الطويلة " على أبواب الرحلة الأولى " التي يخاطب فيها الغواص الجديد في رحلته ، مصوراً معاناته ، ومطالبته له أن يشتد في مواجهة البحر الجبار :

كن جلاداً .. لا تخف .. كن كالحديد

فالذي تقصد جبار عنيف

عندما تهوى المجاديف على الأمواج

في عنف طليق .. يعتلي شم صوارينا شراع

ويرصد الشاعر صو معاناة الغواص والبحار على سفن صيد اللؤلؤ ابتداء من دوار البحر وعواصفه ، مروراً بمياه الشرب الفاسدة وانتهاء

---

(١) ولــد الشاعر عام ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م بالمنامة ، من دواوينه : الرعد في موســم القحــط (١٣٩٤هـ - ١٩٧٥م) ، تقاسيم ضاحي بن الوليد الجديد (١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م) ، مــشاعل النورس الصغير (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) وغيرهم .

بزاد التمر المدَوِّد ، الذي عافه الدود :

واحذر البحر ، ففي البدء الدوار

عاصف يأتيك .. محموم الأوار

ومياه الشرب في فنطاسنا الهش العميق

كبقايا القيء في جوف السقيم

زادنا تمر نخيلات عجـاف

عاث فيه الدود وطرا .. ثم عاف

بعد أرز قدره قدر الكفاف (٢).

- وفـي المقطـع الأخير من قصيدة الشاعر / راضي صدوق والمعـنونة " من سفر الخروج " نلمس صدق الشاعر ، وحنينه الدائم إلى ظل النخلة ، وعطائها الوفير ، مع تأثره الواضح بما جاء في الذكر الحكيم .

وكانت لنا نخلة ظلها وارف وجناها كريم

نفيء إليها .. لنطفئ في حضنها لفحات الهجير

.. وكنا نهز إلينا الجذوع

---

(٢) أ/ أحمـد محمـد عطية ، على عبد الله خليفة ، شاعر الغوص والبحر ، مجلة الدوحة القطرية ، العدد ١١٢ ، إبريل (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م) ، ص ٧٦ .

فَيَسَّاقط الخير رطبا جنيا

تُرى .. هل طوتها رياح السموم ؟

۞ ۞ ۞

هزرنا الجذوع

خصفنا العناقيــــد

.. لم نجني شيئــاً

وهانحن نضرب في التيه نسأل .. أين المصير ؟[1].

• وحــين تــبدع الــشاعر الكبيرة " نازك الملائكة " صاحبة الــصوت الشعري المغرد في عالمنا العربي بهمومه وقضاياه ، وبــصفاء وعمق وتلقائية ، فحققت شخصيتها الشعرية ملامحها المتفــردة . " فهي الشاعرة التي خلطت حلم الموت بالحياة في تــسبيح رؤيوي لغوي موسيقي مبتكر في شعرنا المعاصر "[2]. فضلاً عن ريادتها النقدية التي احتلت بها مكانة مرموقة في عالم النقد بتعدد أساليبها ورموزها وموضوعاتها ، ومن قصيدتها " في جــبال الــشمال " تتاشــد القطــار أن يعود بها من شبح الغربة والــوحدة بعدما سئمت الطواف في سفوح الجبال ، مشتاقة إلى

---

(١) (مجلة الدوحة ، العدد ١٠٨ ، ديسمبر ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ص ١٧).

(٢) (كتاب في جريدة ، ج الأهرام ، القاهرة ، ٧ مارس ٢٠٠١م ص٢٤) .

الأذرع الحانية في ظلال النخيل ، ففي مقطع منها تقول :

سنعود .. سنطوى الجبال

وركام التلال

هاهنا من جديد

نص يحس الفضاء المديد

نار آهاتنا في المساء الرهيب

في سكون المساء الرهيب

عُد بنا يا قطار الشمال

فهناك وراء الجبال

الوجوه الرقاق التي حجبتها الليال

عد بنا ، عد إلى الأذرع الحانية

في ظلال النخيــل

حيث أيامنا الماضية .. في انتظام طويل (٣).

- ويصور الشاعر / على الصافي العويل كأنه : فضاء المدينة، وصوت النخيل :

---

(٣) (المرجع السابق) .

رصاص عوى

حين كنت تجس الضلوع

لتعرف أنك ما زلت تحيـــا

رصاص عوى في القلوب

كأن العويل : فضاء المدينة

وصوت النخيل[1].

- وفـــي قــصيدته : " أنشودة المطر " يقول الشاعر العراقي الكبير بدر شاكر السياب :

عيناك غابتا نخيــل ساعة السحـــر

أو شرفتان راح ينأى عنهما القمـــر

عيناك حين تبسمان .. تورق الكروم

وترقص الأضواء .. كالأقمار في نهر

وفي قصيدته : " مدينة السندباد " يصل إلى أسماعه عويل النخيل :

عشتار عطشى ، ليس في جبينها زهـــر

وفي يديها سلة ثمارها حجر

---

(١) (مــن قــصيدته : رصاصة واحدة على الأرجح ، مجلة الكويت ، العدد ١٥١ ، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) .

ترجم كل زوجة به .. والنخيل في شطها عويل

* ومـــن ديـــوانه : " الراعي والمطر " يستعيد الشاعر السعودي الكبير أحمد قنديل في قصيدته : " ضحى والنخلة " وصية جده ، مستعيداً معها يوم مولده ، ويوصي أحفاده بغرسها والعناية بها لما لها من مكانة وعز ونسب :

هل ، كما كان ، موعدي

طلعـــة الفجر في الغـــد ؟

جانب النخلة التي

شهدت يوم مولـــــدي

يوم أن قال جدنا : اغرسوها هنا .. هنا

إنها النخل بعدنـــا

زينة الأصل والنسب

رمز عزى وثروتـــي

وحفيدي سيعتنـــي

بعد موتي بغرستـــي

مثلما كان والـــدي(٢).

• وأدمـــت فؤاد الشاعر النوبي / محيى الدين صالح " ذكريات

---

(٢) مجلة الفيصل للسعودية ، العدد ١١٦ ، صفر ١٤٠٧هـ - أكتوبر ١٩٨٦م .

هجـرة الـنوبة "[1]. والتـي لاحقته بسببها المآسي والمشاكل ، وطـاف بمخيلته نخيلها الغارق ، وتبدت حيرته الكبيرة : كيف يرحب بضيوفه والتمر غائب ، فأنشد قصيدته " لامية النوبة " " مخاطبا النيل :

حنانيك يا نيلا .. غمرت بلادنـا
كَسَيْلٍ طَغَى .. فانهار منه المنـازل
أتسلمنا يا نيـل !! أم هـان ودنـا
فغاصت بقاع النهر"حلفا" و"قسطل[2].

---

(١) الهجـرة التـي تمـت لمواطنيها من موطنهم الأصلي " شمال السودان " إلى جـنوب مـصر عام ١٩٦٣م عندما ولد مشروع السد العالي ، والتي جاء في الأثر أن " ثلاثة من سادات أهل الجنة من النوبة : لقمان وبلال والنجاشي) .

(٢) حلفـا : مديـنة نوبية معروفة ، وقسطل : قرية نوبية ، وكلتاهما في قاع بحيـرة النوبة ، وكانت بلاد النوبة تتكون من أكثر من ٤٠ قرية ، وأهل الـنوبة يـتكلمون العـربية والنوبية وهي لغة تنطق ولا تكتب ، حتى في المجـتمع الـواحد ، واللغة النوبية ثلاثة أنماط : (فيجكاوي ، كونزي ، ماتوكـي) ، ويبلغ تعداد النوبيين حوالي خمسة ملايين ، ويرتدي الرجل النوبي : الجلباب الأبيض ، والمرأة ترتدي الثوب الأسود ، ويوجد مجلس مـن كـبار السن لحل مشاكلهم وخلافاتهم ، ويحترم قرار المجلس ، دون اللجوء إلى الشرطة .

وأُغْرِقْتِ يا أرض النخيل .. وأين ما

نقدمه للضيف حين نجامل؟

وتأسى نفس الشاعر لزوال الروابي والدور وضياع تراثها وتاريخها ونخيلها :

تهاوتْ نخيل كان يرجى بقاؤها

قرونا .. فماتت .. شيعتها الفسائل

وغاضت سواقيها .. وأعواد نبتها

تبدت هشيما .. فارقتها المناجل

وزالت روابيها .. وزلزل دورها

وآثارها حلت بهن المهازل

وأغفل ماضيها .. فضاع رجاؤنا

وتباً .. لما آلت إليه البدائل(٣).

- ونجتزئ من قصيدة الشاعر الكويتي : " أحمد العدواني " " بقايا رؤى " مقطعا يمثل ومضة شعرية ذات خصائص جمالية، حاملة لدلالات تصدر عن تفاعل الشاعر ، وتواصله مع القديم :

---

(٣) (مجلة العربي الكويتية ، العدد ٤٦٥ ، أغسطس ١٩٩٧م ، ص٦٤).

" إنها النخلة رفيقة التاريخ ، ورمز الأصالة ، والجوهر الذي لا تتغير **سماته :**

سلمت يا عمتنـا النخلـة

سلمت يا كريمة الأيـادي

ثمرك الشهي كان في الطريق زادي

لولاه ما طابت لي الرحلـة[1].

- والشاعر الكويتي : الدكتور خليفة الوقيان : صوت شعري من أبرز الأصوات الشعرية في عالمنا العربي ، والذي تحفل أشعاره بالصور الغنائية الممتزجة بالرومانسية وبراعة التخيل المرتبط بصدق الواقع ، وحب كبير للوطن والناس والخير ، وهو ما نلمسه في قصيدته " عصفورتان " من ديوانه " حصاد الريح " :

فوق عذق من نخلـة تغردان

ترفرفان في أريكة يزينها الندى

تهزها نسائم شفيفـة الصدى

---

(١) د/ فايز الداية ، الومضة بين الشعرية والنثرية ، م. الكويت ، العدد ١٩١ ، سبتمبر ١٩٩٩م .

الماء من حولهــا

جداول مزخرفــة

تحوك ثوب الشمس

معطفا مفضفض الأردان

مَرَّ عليها فتــى

في كفه نمت عناكب الحجــر

فهبتا مذعورتين

فشك شوك النخلة الرحيمة

ويسيل دمهما فوق كفيه

والرمز في القصيدة إلى الوطن بأنه عصفورتين آمنتين ، وعندما مر علــيهما الفتى : فيه إشارة واضحة إلى مأساة الغزو العراقي للكويت ، وما أحدثته من جراح ، وما أصاب الوطن من ذعر أسال الدماء من جسديهما ، بفعل أشواك النخلة الرحيمة التي دفعت الثمن نتيجة إحراق العراقيون لأكثر من ٥٠٠ بئر بترولية من أفضل أنواع النفط في العالم [٢].

ولــم يقتصر الأمر على ذلك ، بل اشتعلت بقع الزيت وارتفعت ألسنة

---

(١) (أ / عــبد اللطيف الأرناؤوط ، ديوان حصاد الريح ، م العربي ، العدد ٤٤٧ ، فبراير ١٩٩٦ م) .

اللهب لتحصد انجازات البشر على الأرض ، ومن بينها الآلاف من أشجار النخيل ، التي دفعت الثمن غالياً ، وهي رمز العطاء والخير والحياة على مـر الـزمان ، وصـمدت أشجار النخيل وقاومت الحرائق ، وما زالت جذوعها باقية شاهدة على عمق المأساة .

- وللـشاعر / محمـد العفيفي تجربة تميزت بدقة التصوير والصدق للقرية وحال فلاحيها ، وعندما تذكر القرية لابد أن يذكر النخيل :

وَوراء النخيل قوم جلوس

رقصت حولهم قدور النخيل

ذَوَّبَ الروض عطره وسقاهم

في كئوس من النسيم العليل

كل فلاح طاهر النفس يبدو

بين عينيه عبء هم ثقيل [1].

- وفـي كلمات الشاعرة / روحية القليني حين تلمس الريف وسنابل القمـح ، التي تراقص في مناجاة لذيذة نخله الباسق ، والناي الذي يكـسر صمت الدجى بعزفه الشجي ، لا تنسى أن تصف لنا ناحية كـريمة مـن أخـلاق الفلاح ودور زوجته الكبير في تربية الأبناء ،

---

(١) (أ/ محمد عبد الغني حسن ، الفلاح في الأدب العربي ، دار القلم ، المكتبة الثقافية ، العدد ١٢٨ ، أول مارس ١٩٦٥م) .

ومشاركته في أعماله الحقلية :

قصص الكفاح مع الآباء ، وكل ما فيهم فضيلة

والأم كم سهرت وكم عانت لكي ترعى الطفولة

وسنابل القمح التي رقصت مناجية نخيله

والناي في صمت الدجى يحكي ملاحمه الطويلة

والجار يرعى جاره وينير في صدق سبيله

وعلى الوفاء تجمعوا في ظل أنسام عليلة (٢).

- وعـشق الشاعر الكبير / محمود حسن إسماعيل : النخيل ، بل إنه يعـد واحـداً من جيل الشعراء المفتونين بها ، ولنتأمل كلماته في قصيدته " النيل " :

سمعت في شطك الجميل	ما قالت الريح للنخيل
يسبح الطير أو يغنـي	ويشرح الحب للخميل
وأغصن تلك أم صبايا	شربن من خمر الأصيل

وفـي قـصيدة أخرى له بعنوان : " الغراب .. راهب النخيل " يبث النخلة حبه وهيامه بها :

وصبك هذا النخيل لأني أحبه	وبي ما به : وجد لبلواك ساعر

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧ ، ٤٨ .

تظل على عرجونه متأرجحاً خطيبـــاً فتحنوا أغصن ومنابر

ومـــن تلـــك الأبـــيات القليلة من نبعه الغزير ، والتي تميزت بحسن التـــصوير ، وبراعة توظيف المفردات مما رسم في مخيلتنا لوحة رائعة بهمـــسه اللغوي الهادئ وهو جالس على الشط ليستمع إلى ما قالته الريح للنخـــيل ، وإلـــى تسبيح الطير أو غنائه فنحس وأنت تقرأ تلك المفردات التأملـــية بمـــدى عمقها وصدقها ، وكأنها صادرة من فلاح أصيل بعرقه وكدحه ، وإحساسه ، ومشاعره ، معاناته ، وأنين الشوق المتقد بين حناياه ، ورغم كل تلك المعاناة فإن لديه مقدرة فائقة على تحقيق النماء ، ونشر الخـــضرة لتتـــزين لوحة الحياة بأحلى مباهجها وأنضر ثيابها ، وهو ما ينطبق عليه قول الشاعر الكبير الأستاذ / محمود غنيم :

أكبرت في القروي حدة عزمه

وحسبته في صبره " أيوباً "

في الريف فتيان تسيل جباههم

عرقا ، فيصبح لؤلؤا منقوبا

بذلوا لمصر فوق ما في وسعهم

ورضوا بما دون الكفاف نصيبا

- ولا شك أن رؤية النخيل والقمح والأطيار وسائر المزروعات تحقق للفلاح سعادة وهناء لا يدانيهما سعادة ، وهو ما صاغه لنا الشاعر

المبدع الدكتور / عبده بدوى [1]. فى قصيدته " الفلاح السعيد " حيث يقول :

أنا الفلاح كم صلّت	أغاريدى على الأرض
فبعضى قام فى نخل	وفى عشب هوى بعضى
صعدت سماءها طيرا	ودرت بروضها دوحة
وكنت الريشة الخضراء	فى إخراجها " لوحة "
صحبت البذرة العذراء	حتى أصبحت وردة
ولما دار نهدها	لحمت الشعر فى عقدة

ويظل الفلاح فى هذه الأغنية السعيدة يعدد لنا وجوه سعادته حتى بطفلته التى تشم القمح فى جسده فتسأله عن القمح .. ثم يحكى لها قصصه حتى تنام وتذهب فى حلمها الوردى ، ثم يصحو على صوت عصفور يناديه من فوق ربوة :

فأرسل غنوتى البيضا	ء للغصن الذى أثمر

(١) (ت فى الثلث الثانى من شهر ذى الحجة ١٤٢٥ هـ – نهايات يناير ٢٠٠٥ م ، والذى نبع وتألق عطاءه فى وقت امتلأ بكبار الشعراء والمبدعين ، فطالت قامته بينهم ، ورسخت جذوره فى التربة الشعرية فى هدوء وثبات .. أنظر للمؤلف مقاله : ورحل الدكتور عبده بدوى .. بلبل الشعر الحزين ، ج. صوت الأزهر ، ١٦ محرم ١٤٢٦ هـ – ٢٥ فبراير ٢٠٠٥ م) .

وللأرز الذى ينمو وللقطن الذى أقمر [1].

ونستنشق من تلك الكلمات : الحب الكبير الذى يملأ الكيان الإنسانى للفلاح ، وإيمانه العميق الذى يتخلل بنيانه ، وهو ما يبعث فى نفسه حب العمل والكفاح ، والبناء فى إصرار ، يستمده مما يحيط به من زروع بَذَرَ بذرتها ورعاها وكدح حتى اثمرت ، ولهذا يصفه الشاعر بقوله:

عرق الحب فى الحياة كفاحا وبناء يقيـــــه إصرار

وبذورا إذا رماهـــا تغنت بين أهدابها ثمار تدار

❁ ❁ ❁ ❁

وإذا ذهبـــنا نسوق النصوص الدالة على مدى اهتمام شعراء العربية بـــشجرة النخـــيل وعطاءاتهـــا ، ووصفها ، ما يتصل بها ، وتتبع أثارها الجمالـــية والغذائية ، وعلى مدى حبهم وتقديسهم لها ، وانبثاق خواطرهم مـــن مكنوناتها ، وامتزاج نفوسهم ، وتنوع إبداعاتهم . لضاق بنا المجال عن استيعاب كل ذلك ، وحسبنا أن ما قدمنا من إبداع متنوع حول " شجرة النخيل " وما له صلة بها يصل بنا إلى الدلالات والنتائج التالية :

١- الدلالات الوصفية لتقديسها وتقديرها :

فإجمـــاعهم علـــى مر العصور على وصف شجرة النخيل بالمقدسة والمباركة لم يأت من فراغ وإنما هو : تقرير لواقع ، واستلهام لما أجمعت

---

(١) (أ/ محمد عبد الغني حسن ، مرجع سابق ، ص ٧٢) .

علـيه الكتب السماوية وخاتمها القرآن الكريم من بيان لمكانتها ، وتبيين لفـوائد ثمارها ، وتعدد عطاءاتها ، وما جبلت عليه القلوب من محبتها ، وتتـبع مـراحل نموها ، ومرأى العيون لاستطالتها وامتدادها عاما وراء عـام، وطـول أعمارهـا ، وخلودها ، ووجودها فرادى أو تجمعات في الحقول والصحارى في لوحات فنية طبيعية آثرة : تخلب الألباب ، خاصة فـي وقت الإثمار ، وتعدد ألوان الثمر بين الأحمر والأصفر والأخضر – طبقاً لمراحله النضجية – تحت قمتها الخضراء ، التي تظلل الثمار وكأنها تحتـضنها وتحنو عليها كما تحنو أم الوليد على وليدها ، وما يحمله كل ذلك من بشائر الخير والإنعام على كل البشر واالمخلوقات .

من هنا يأتي إجماع الشعراء على تقديسها وتقديرها ، بعدما اغترفوا من ندى راحاتها ، ومن محاسنها التي لا تباري : إلهاما فياضاً ، وعطاء غزيرا ، فظلت نبعاً لا ينضب للإلهام الفكري والتصورات البديعة ، التي امتزجت في خواطر الشعراء الحسية والمعنوية .

٢- الدلالات الوصفية الشعرية لمحاسنها وآثارها :

في الكثير من النصوص الشعرية التي أوردناها استدعى الشعراء من مكـامن ذاكـرة مـوروثهم الثقافي واللغوي آيات حسن شجرة النخيل ، ووضـعوا فـي بؤرة الضوء آثارها الجمالية ووجودها بين أعيننا ، وفي القلـب من زراعاتنا ، وجاء الاستدعاء في مجال إبداعهم مصحوباً بأنبل العواطف الإنسانية . فصبرهم على تبيان جذورها ، وجذوعها ، وسعفها،

وأعذاقها ، وعراجينها ، بشاراتها (إثمارها) ، وثمرها ، وصباياها، وهز جــذوعها ، مع التركيز على جماليات اللغة والمكان ، وتأثيراتهما ، طبقا لما اقتضته طبيعة النصوص ، كل ذلك جاء بهدف تحقيق نهج تكاملي من خلال الغوص الفني الذي يبرز الأدوات التعبيرية ، وهو ما يجعل النص الــشعري مليئاً بالحيوية ن بعيداً عن الملل الذي يفرغ محتوى النص من أهدافه اللغوية والإبداعية .

ولا شك أن استغراق الشاعر – أي شاعر – في خياله الرومانسي ن وإيراده للمفردات الريفية :يعد ظاهرة جمالية يتأثر بها الشعراء والمتلقين علــى حد سواء ، لأنها تعد ارتباطاً بالموجودات الكونية يحقق الألفة بين المفــردات الــشعرية ، والنهم الفكري المدقق لقارئ النصوص . كما أن لجــوء الــشعراء إلــى اســتدعاء آيات الحسن والبهاء في شجرة النخيل والتوغل في عرض آثارها النفسية والجمالية يأتي منهم من ثقة نابعة من مخزون متراكم من الانتماء الطبيعي لأنفسهم وبالحياة والأحياء، فيشعرون أنهــم لم يبددوا طاقاتهم الفكرية والإنسانية في معترك زائف ، فضلا عن أنهــم يفــرغون مــا فــي جعابهم من حنين أليف للحياة الريفية بهدوئها ومسالمتها ، وهو ما يحقق لهم شيء من الأنس النفسي ، ومحاولة التكيف والــتوازن لتقريب الخيال النصي من الواقع الموضوعي ، والشعراء في استخداماتهم الشعرية لتلك المفردات الحية ، الحياتية : يعيدون لها حيويتها ، وهو ما يعد استكشافاً يرتقي بتلك المفردات ويضمها بمذاقها الخاص إلى القاموس الشعري .

٣- الدلالات الوصفية لصمودها وصبرها وقوة تحملها :

شـــجرة النخيل : نبت يستعصى على الانكسار ، وإن بعد يوم الغيث وطـــال ، يقـــاوم في صلابة فريدة الآثار البيئية والجوية مهما كانت شدة قسوتها ، صامداً في كبرياء أمام شدة الأنواء ، ثابت بجذوره المتوغلة في ثـــراه ، متمـــسك بترابه كالمقاتل الصلد تشتد وتقوى عزيمته كلما اشتدت عليه المخاطر . شجرة جُبلت على العطاء : أيقنت أنها تزرع لينهل البشر وينعموا بخيراتها غذائياً وصناعياً فهي مرتبطة بالإنسان ومُسَخَّرةٌ لخدمته حياتيا . وهي شجرة دائمة العناق مع الكون المحيط بها دائمة النضارة : فـــإن مَلِـــحَ الماء حول جذوعها ازدادت مَلاَحَةً وبهجة وحَسُنَ منظرها ، وازداد إشراقها ، وإن نبتت في هجير الصحراء أضحت كالثريات تضيء جنباتها ، وتطفئ لهيبها ، وفي كلتا الحالتين لا يتغير طعم تمرها السكري المـــذاق ، ولا تتـــبدل محاســـنها التـــي لا تبارى ففي وجودها يفر جدب الـــصحراء ، ويعـــم الـــرخاء . ومـــن كل ذلك ليس بمستغرب أن يأسر صمودها وشموخها وصبرها وصلابتها قلوب كل من يعرفونها – وَأَرَقَّهُمْ فـــي ذلك الشعراء – لتشغل حيزاً كبيراً من فكرهم وإحساسهم ومداركهم فـــسرحوا ورائهـــا بخيالاتهم ، حتى أنهم تصوروها عروساً شغلت قلب أحِبَّتِهَا ، وزاداً كريماً وكنزاً للخيرات وزمردة خضراء منذ انبثاق سوقها من الأرض السوداء ، وحتى يَنَعِها لتعطي أطيب القوت للحاضر ، والزاد للمـــسافر . فسبحان الخالق المنعم الذي فاضت عطاءاته لكل البشر على مدار الأجيال والأزمان وإلى أن تقوم الساعة .

٤- الدلالات الوصفية لما له صلة بشجرة النخيل :

ومـــع اختلاف لغة الشعراء في الأداء : لكنك تلمس إحساسهم العالي بمفردات خلفية اللوحة الطبيعية الساحرة التي تستدق وتستطيل وتمتد فيها شـــجرة النخـــيل ، التي قد تميل أحيانا على حافة النهر ، وكأنها تصغى لمناجاة خريره ، أو أنها تداعبه لقاء ما منحها من مائه وغذاءه وأفضاله ، ولـــم لا ومياه النهر والنيل والجداول هي سر الحياة لكل الكائنات ؟ وتلك الـــصورة تجعـــل الشاعر يطوف طواف العاشق ، بعدما بهرته وأسرته مراثيها ، فَتَبَدَّت له آيات الجمال في زواياها ، ولمس الفرحة والبهجة في جـــريدها المتهدل المتدلي على صفحة الماء يشدو بألحان كأنها در تناثر عقـــده ، والـــتأمت مـــن حباته تيجان خضراء رصعت رؤوس الحقول ، وتعانقت مع صفحة السماء الزرقاء ، وتبدو القوارب في الصورة من بعيد كعرائس مشتاقة إلى ظل روضة الجريد النضر . ويأتي توظيف الشعراء لمـــا لـــه صـــلة بالنخيل مثل الخضرة والقبرات والريح والماء والسماء والحقـــول والطـــيور والـــثمار لخدمة النص الشعري ، وإثارة الأحاسيس البـــصرية والفكـــرية للقارئ ، للفت انتباهه إلى ما في الكون من جمال وإبـــداع خـــلاق – جـــل مـــن صنعه – وتنبيه له نحو المزيد من التأمل لارتشاف جرعات إيمانية صادقة تمنح قلبه زاداً إيمانياً دافقاً ، وتنمي في شغاف قلبه قيما إنسانية فريدة ، من خلال نبع الخيال البكر للكلمة ، القادر علـــى تحصينه فكرياً ضد ما يحيط به من أخطار في دنياه وأخراه ، وهو ملمح ديني برز في ثنايا العديد من النصوص الشعرية التي أوردناها .

❁ ❁ ❁ ❁

ويظـل سـر الحياة الخطير في " شجرة النخيل " هو " قوة استمرارها وصمودها " ، بـل إنه " سرها الأعظم الذي وعته جيداً ذاكرة الشعراء والأدباء فـنهلوا من نبعها العظيم ، فضلا عن التفاقم إلى مصدر هام من مصادر الخصب والنماء التي تمتد جذوره في أعماق التاريخ لآلاف السنين .

" النخيل في الأغاني الشعبية "

ترخز الأغاني الشعبية العربية ، والتى تعد تراثا تناقلته الأجيال جيلا وراء جيل ، وترددها في مناسباتها كافة : بمآثر شجرة النخيل ، وثمرها بمـا فيه من دواء وشفاء ، ومن أبرز تلك الأغنيات في أفراحهم وسمرهم تلـك الأغنية التي تربط بين النخلة والخصب والنماء ، ويتمنوه لعريسهم وعروستهم :

يا نخلتين في العلالي يا بلحهـم دوا

يا نخلتين على نخلتين طابوا في ليالي الهوا

يا أم العروسة .. زغردي .. يا أم العريس

وفي البحرين حين تهدهد الأم " المنز " (وهو سرير الطفل المصنوع من خوص النخيل وجريده) وتنشد لرضيعها قائلة :

نام نومه هنيـة   نومة الغزلان في البرية

نومة فاطمة ويا صفية

وتفننت الفتيات بأناشيدهن الرقيقة ، ونكرن الحنة والنخلة فجاءت كلماتهن من النبع البيئي بلا تكلف ، وبعفوية تدل على الأصالة ، يواجهون بها قسوة الحياة :

نخلنا يا نخلنا   يا نخل السيسبان
كل أشجاره حنا   وأمشيجة أبرمان (١).

" النخيل والرثاء "

الرثاء: فن تدفق العاطفة وتصوير المشاعر والأحاسيس ، والتعبير عن ألم الفقد والحزن الذي يلهب المشاعر ، وأشهره رثاء الأهل والأحباب وشكوى المصائب والآلام ، أما رثاء المدن والأمم فقد برز في العديد من أعمال الشعراء كقصيدة " أبي البقاء " الشهيرة في رثاء الأندلس ، والتي يقول في مطلعها :

لكل شئ إذا ما تم نقصان   فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول   من سره زمانه ساءته أزمان

والباحث في كنوز الشعر العربي يقف على العديد من المراثي لشعراء أطلق عليهم شعراء الرثاء ، لعل أبرزهم على وجه الإطلاق " الخنساء " في رثاء أخاها " صخرا " ، و" المهلهل " : عدي بن ربيعه " وسمي بذلك لأنه : " أول من هلهل نسيج الشعر أي : أرقّه

---

(١) (أ/ بدرية سلطان ، أغاني البحرين الشعبية م. الكويت ، العدد ١٥٢ يونيو ١٩٩٦م).

" وأبـو ذؤيب الهذلي " من أبرز الشعراء الذين رثوا أنفسهم بعد فجيعته فـي أبـنائه الـسبعة ، الذين ماتوا في عام واحد بسبب " الطاعون " ، وغيـرهم عديدين على امتداد الأجيال والأزمان ، ليبقى الرثاء في نفس الـشاعر خيـر تعبيـر اتسم بالصدق عن عاطفة الألم . لكن ماذا يقول الـشاعر عـندما يرثـى شاعراً مثله ، يربطه به حب عميق ، وصلة ووشائج قربى حتى وإن كان مبعثهما الكتابة ، وما تضمه الصفحات من عطاءاته ، وفي سمة فنية جديدة ينقلنا الشاعر إلى : الطبيعة الخلابة وما تـضمه بـين حناياها بتأملها : مدققا في اختياره ، لأنه يبغي التميز في عملـه ، والتفرد في عطائه ، وتعبيراً عن تجرعه للحزن وحرقة نفسه بفقـده شاعره أو كاتبه المفضل ، نجده في القصيدة التالية يختار النخلة كنبع للكرم ، ورمز للاستطالة لما لها من أصالة مميزة ، والعرب جميعاً يعـشقونها ويمنحونها حبهم الكبير ، فالحب العربي للنخلة معروف منذ القدم ، فهي : أنيس في الغربة ، وعطاء مميز في قلب الصحراء القاحلة ، والعديد من البيوتات العربية على امتداد الوطن لا تخلو حدائقها منها ، باعتبارها " عروس الأشجار " ، ونهلا من هذا الاعتزاز والتكريم يكرم الـشعراء أعـلام الأمـة الراحلين حينما يشبهونهم بالنخيل ، وقصيدة الـشاعر " محمد عبد القادر الفقي " في رثاء الشاعر / عبد الله السيد شرف : رحمه الله :

والمعنونة : " هوت نخلة " ، هي من ذلك النوع :

هوت نخلة

فخار فؤادي الذي كم تَعلَّقَ علياتها

وكم هاجه الشوق والجوع للدفء بين

ظلال جدائلها اليانعات

وكم طفت – والوله المستبد – بأجوائها

أعطر شعري بنفح أطايب أعذاقها

وكم طاردتني البلابل والطير من كل

جنس لكيلا أفوز بـ " زغلولها " [1].

ويرصد الشاعر نُوَاح " صنديد " (بلدة الراحل الكريم) ، وحزن النيل ، واليمامات ، وريح الصبا :

هوت نخلة

فناحت " صناديد " [2].

والنيل سال دموعا

وكل اليمامات رجعت الحزن والبوح

والذكريات

---

(١) الزغلول : فرخ الحمام ، وتطلق في مصر على نوع من البلح ضخم الحجم)

(٢) (محافظة الغربية ، وشهدت مولده وحياته) .

وريح الصبا لم تباكر زهور الطريق

* * * * * *

هوت نخلة

على سعفها قد رسمت خرائط قلبي

وعشقي

وشيدت عشي

وأطلقت أطيار شعري خماصاً

وحين تصير بطانا

تسافر في الأفق ، وتأبى القفول

فقد بايعتك على الحب والحب

كيف تعود ؟

* * * * * *

هوت نخلة طالما تصدت لبطش الريح

وعصف الألم

هوت فوق قلبي .. فأظلم الطريق .. وجف القلم [٣].

• وعشق المصريون النخيل ، فاختاروا أماكن تجمعه لبناء مقابرهم وجباناتهم ، لتظل خير رفيق وأنيس لهم حتى بعد الرحيل :

---

(٣) المجلة العربية ، العدد ٢١٦ ، محرم ١٤١٦ هـ ، يونيو ١٩٩٥ م ص ٣٣)

ففي قرية بني زيد الأكراد - محافظة أسيوط وغيرها بنى الأهالي مقابرهم وجباناتهم في أماكن تجمع النخيل ومنها : " مدافن الأربعين" بين النخيل الذي يقع على الجانب الشرقي من الجسر ، ومقابر العشرات في نخل العشرات ، ومقابر البسايسة في نخيل البسايسة ، ومقابر المصاليح في نخيل المصاليح وغيرها " [١].

" والفـنان الشعبي يؤنس الطبيعة ، ويصورها في النصوص بالأم الحانية التي تستقبل الميت في مودة كتعويض عن الأهل :

لَمَّنْ وقعت ما حد سَمَّى عليـك

جريد النخل طاطا يسمي عليك

وهـي صورة آسرة لامتزاج الإنسان بالطبيعة ، وصورة النخل ، وهـو ينحني ، وهي لصيق اللحود والمقابر وجزء من البيئة المكانية ، تـستقبل الميت في حنو بالغ ، ولعلها إشارة إلى الشائع من تقدير خاص للنخلة في التراث العربي الشعبي " [٢].

وتحضر صورة النخلة مرة أخرى في التصوير التالي :

ولا الكبار هلبت [٣]. ما شافوا الصغيرين زي النخلة هانوا [٤]. ولا

---

(١) أ / أحمد توفيق ، أغنيات الفراق ، الهيئة العامة للكتاب ط ٢٠٠٥ م)

(٢) (المرجع السابق) .

(٣) (ما إن) .

(٤) (استطالوا).

الكبار هلبت ما فرحوا الصغيرين زي النخلة ما طرحوا [٥].

ولا يغيب البلح عن استخداماتهم اللفظية في " عديد اليتامى" [٦].

يا عمي سوقني بلح طايب

يا عم سوقني دا أبوي غايب

يا عمي سوقني بلح بلاص

يا عم سوقني دا أبوي ما جاش [٧].

ومن عديد الأم على ابنها يبرز " طرف جريد النخيل " وهو " معنى " النشو " في النص التالي "

فايت عَلَيَّ والنشو في ايده أخضر

ارتاح يا بوي لما غداك يحضر

فأيت على والنشو في ايده

ارتاح يا يوي لما غداك نجيبه [٨].

وفي أغلب تلك النماذج نلمس ارتباط النصوص بالموت ، باعتباره

---

(٥) (المرجع السابق) .

(٦)(العديد : ما تقوله النساء المتشحة بالسواد في وداع المتوفين) .

(٧) (المرجع السابق) .

(٨) (المرجع السابق) .

المناسـبة التي أنتجت النص ، والنص فيما بعد مرور الزمن يصبح له فعلـه وأثره الملموس في حياة الجماعة ، فهو يحيا من خلالها ، ويحيى فيها الإحساس بالوجود والكيان والديمومة " [1].

- ولكن ماذا تقول الكلمات نثراً عندما ترى العينان " شجرة النخيل " تهوى من عليائها بفعل القصف الجوي الأمريكي على بغداد ، الذي استهدف البشر والخيرات ، وقتل نضارة الحياة ؟ وقتها رُوِّعَ قلبي وصرخت شغافه بهذه الكلمات الرثائية حزنا على ما أصاب العراق وما عليها ، والتي جاءت تحت عنوان :

" الأوطان .. والشعوب .. والنخيل .. لا يموتون "

كانـت الفاجعـة أكبر مما أتصور ، حين وصل النبأ إلى أسماعي تملكنـي الذهول ، ودفنت وجهي بين يدي ، وقطرات الدمع تنسال من مقلتي ، فتحفر أخدوداً عميقاً تلهب نيرانه وجنتي ، وتحجرت عيني في مآقـيها ، وأمـسى الحزن رفيقي ، وتبلدت مشاعري حتى شعرت بعدم قدرتي على التعامل مع معطيات الحياة :

أين ذهبت رفيقة الصبا وغرس الأجداد .. وغذاء الأحفاد ؟

أيـن ذهـبت النضارة والشموخ يا ريحانة القلب.. ومهجة الفؤاد؟ **أتموت الباسقات** ؟ أم أنه جرم الإنسان حينما تأخذه العزة بالإثم ؟ فيندفع

---

(١) (المرجع السابق) .

بلا بصيرة : يقتلع النماء .. ويبيد العطاء .. ويحطم الكبرياء .. ويدفن في خيلاء : نبع الوفاء ، وأسمى عطاءات السماء .

أتدفن الباسقات ؟ وتَغَـيَّب تحـت الثـرى " وذكرياتنا وأمنياتنا وهمـساتنا وأحلامنا محفورة على جذعها الرشيق .. وسعفها الأنيق .. وشـوكها الـرقيق ، وعلى امتداد الأزمان صار لها : مائة ألف صديق وصديق .

أتقتل الرشيقات ؟ التـي عَرَّشَـتْ في جدران أرواحنا ، وامتدت جـذورها في حنايا صدورنا ووجناتنا ، ونزل طلعها النضير من عليائه ليـستقر فـي شغاف قلوبنا : فرشفت دماءنا من رحيقه ، وغاصت في تراب لحمنا جذوره .

أعرف أنَّكِ : حتى وإن اقتلعوك ليقتلوك : كنت تودين أن تكوني لنا : سقفا ظليلاً فوق حجرة من الطين ، وتنسجين مع سعفك ملحمة البقاء والعطاء إلى أبد الآبدين

أعـرف أنك : تتألمين .. بل تصرخين ، ولأني أعرف طعم الأنين من جور الإنسان وطغيانه على مر السنين ، فإني أناشدك يا حبيبتي في مرقدك الحزين أن تجيبي :

مـاذا أقول للماء حولك وللجداول والرياحين ، ماذا أقول للشواطئ والمزارع والسهول وصبابات العاشقين ؟

ماذا أقول للشمس حين تشرق في الغد وتسألني عنك ؟

ماذا أقول لعشاق العيش في نشوك الظليل ؟

ماذا أقول لعشاق الشفق والأرجون ؟

مــاذا أقــول لعـصفورك الغريد عندما يبحث عن عشه بين سعفك الأصيل ، وأين يناجي صباياه العاشقين ؟

مــاذا أقول للنخيل والبشر ، وقد تعودا أن يُطْفِئَا لفحات الهجير في ظلك الظليل ؟

مــاذا أقول للريح عندما تسألني : من سيسمع حديثي عندما أناجي الغمام ؟

مــاذا أقــول (لطالع النخل) ؟ ماذا أقول (للنخيل) ؟ ماذا أقول للحمام ؟

ماذا أقول للأحفاد عندما يسألونني : أين زرْع الأجداد ؟

ثم ماذا أقول لهم وموسم التمر هَلّ وعاد ؟ ماذا أقول لهم والأولاد حولهم يلهون بالتمر ، بينما عيون الأحفاد كسيرة ذليلة ناقمة تشكو لوعة الحرمان ؟

مــاذا أقــول لكل هؤلاء يا حبيبتي ؟ يا نخلتي . وقد أصبحت في الثرى بشموخك وعليائك ؟

لن يكون قولي لهم سوى : قدموا لي العزاء .

كما أن الشعوب لا تموت ما دامت في أوطانها ، فإن النخيل لا يموت ما دامت جذوره في أرضها [1].

" النخيل في القصة العربية "

لم تتخلف القصة والرواية العربية عن الشعر كثيراً عند الحديث عن شجرة النخيل ، باعتبارها أرحب مجالا وأكثر مقدرة على الوصف والتحليل ، ولم تغب النخلة كثيراً عن فكر الروائيين والكتاب العرب ، ولم يتجاهلها كتاب القصة وأدبائها خاصة من عشق منهم الريف ، وغاص في أعماقه ، وتناوله في أعماله الإبداعية :

- فقد خلدها الكاتب الكير " جمال الغيطاني " في السفر الثاني من كتابه " التجليات " عندما رأى النخيل عند مسقط رأس أبيه : " وعند المدخل المؤدي رأيت النخيل الكثيف فحننت حنين يعرفه العائد إلى أصله ، والمنفي إلى وطنه ، والعائد بعد شتات وهجاج ، بداخله خوف ألا يعرفه أهله الأقربون ، حزنت إذا رأيت النخيل ، ما من شئ من الموجودات يقوي على الحنين إلى الماضي كشجر النخيل ، ربما لأنه ثابت قديم ويندر تمايله حتى مع الريح الصرصر ، ربما لأنه راسخ فكأنما أفلت من العدم ، هل رأى أحد

---

(١) (عبد المقصود السعيد عبد المقصود ، ج صوت الأزهر ، القاهرة ، العدد ١٩٢ ، ٢٩ ربيع الأول ١٤٢١ هـ - ٣٠ مايو ٢٠٠٣ م ، ص ٨ .

منكم شجرة نخيل تسقط محتضرة ؟

ويقول أستاذنا الجليل " عزت القمحاوي " : ربما كانت للنخلة القدرة علـى إثـارة كل هذه المشاعر لدى " الغيطاني " لأنها أيضا عمته أخت أبيه.

وتتكرر مشاهد النخل في أعمال الغيطاني أكثر من أي روائي آخر، واسأله عن هذه العلاقة فيقول : النخلة عندي علامة التوحيد ، مثلما أرفع سبابتي عند التشهد وأعتقد أنها أصل المسلة والمئذنة " [1].

- وفي كتيب " رحيل الموسم الوردي " للأديب السعودي عبد الله سالم الحميد : ستة قصص صاغها بأسلوبه الشعري ، بعيداً عن التكنيك الفني المعهود للقصة ، وتحمل قصته " قبل موسم الحصاد " إضاءة فنية للقصة ، في بدايتها نلحظ قدرة الكاتب على مزج نمو نخلتين غرستا بالحديقة مع نمو " فاطمة " بطلة القصة : " تفتحت عيناها مـنذ الطفولة ، وهي في حضانة جدتها لأنها حيث انفصمت عرى العلاقة بين أبويها بالطلاق ، وهي لم تزل في بطن أمها "

وفـي تناوله السردي لأحداث القصة يقرأ عن أبيها الذي احتضنها فـي بيته الذي غرس بحديقة نخلتين : " امتزج نمو هاتين النخلتين بنمو الفتاة " فاطمة " وأختها من أبيها التي تصغرها بأربع سنوات "

وتتسم قصص الكتيب برومانسية فريدة أرادها الأديب عبد الله سالم

---

(١) (مرجع سابق) .

الحميد ، وهو ما يبدو واضحاً من اختياره لاسم الكتيب : " رحيل الموسم الوردي " (٢).

- وحــين نطالع قصة : " النخلة " للأديب / عبد الستار خليف تشعر وكأنــه يــصحبك في رحلة على جذعها الخشبي ، وما تلاقيه من صعوبات بعدما ترتفع قليلاً ، وتلقي نظرة إلى أسفل : يتملكك دوار ، تبدو معه الأشياء على الأرض أصغر مما تتخيل ، حائراً يجذبك البلح الأحمر في قمتها ، والخوف يشدك إلى أسفل ، خاصة بعد أن وصل إلى أسماعك : صوت يناديك .

والحب في قصة " النخلة " وسيلته " طبق البلح " :

" صــعدت نخلــة عائلة علام العالية لإحضار البلح الأحمر الحلو المذاق ، فسمعت صوتاً لأحد جذع النخلة ينادي على ويأمرني ويتوعدني . هــبطت سريعاً ، وقبل أن أصل إلى جذع النخلة الخشن ، قفزت إلى الأرض ، ســقطت ، إلتوت قدمي اليسرى ولم أقو على الحركة ، أطبق الرجل علي ، جذبني بشدة من ثوبي ، وقبل أن يضربني بعصاه اليابسة ، ســمعت صوتاً طفولياً ينادي على الأجير : أتركه أنا التي طلبت منه طلوع النخلة " وانصرف دون أن يقوى على النظر في وجهها الصغير ، حزيناً ، عاد إلى الدار يخشى العقاب " فصعود نخيل عائلة علام شئ لا يغتفر ، يؤدي في معظم الأحيان إلى عقاب شديد، ونتائجه لا تحصى" .

---

(٢) (المجلة العربية ، العدد ٢٧٢ ، رمضان ١٤٢٠ هـ - يناير ٢٠٠٠م ص ٣٢) .

وبعد أن نقل إلى بيته فوجئ بــ " نوسه " ومعها خادمتها : " قالت نوســة : وهي تقدم إلَيَّ طبقاً مملوءاً بالتمرات : هذه لأختك " لوزة " ، ونظرت إلى خادمتها العجوز ، في صمت وضعت الطبق أمام الصغيرة، لــم تتكلم ولم تعقب أمي ، حيال هذا الصمت ، قلت إنها أحضرت البلح لــك . قالت الصغيرة بدهشة وهي تضع راحة يدها على صدرها : لي أنه؟ قلت بهدوء : نعم ضحكت وقالت : إنها قالت لك ذلك أمام أم العز . وعادت تضحك . ساد الصمت ولفني الخجل " [1].

- وللراحل يحي الطاهر عبد الله قصة بعنوان " العالية " يصف فيها نخلة معمرة لا يجود جده ببلحها إلا للضيف العزيز ، ويرسل الجد " بسطاري الأقرع إلى محمد ابن المجذوم ليطلع العالية ، التي من ثمــرها أكــل الجدود والآباء ، ويصل الأقرع إلى المجذوم طالع النخيل بعد أن أنكرته أمه العزيزة في البداية خوفاً عليه .. واستمع إلى يحي الطاهر يقول في العالية :

قال المجذوم للأقرع وهو يربت على كتفه : ما كانت لتعرفك وهي خريــرة . ودخل البيت وأخذ الحبل الطويل المتين الذي يحزم به وسط النخل ووسطه . قالت الضريرة :

يا محمداني لا تطلع العالية .. اليوم يوم الريح القديمة التي عرفها الجــدود .. ستكون هذه المرة كالخيل التي تجمح .. ستكون لها حوافر

---

(١) (المجلة العربية ، العدد ٢٣٥ ، شعبان ١٤١٧ هـ – ديسمبر ١٩٩٦ ص ١١٢) .

وأعراف من نار .. ستهدم بيتين وتحرق بيتين وتأخذ رجلاً .. و .. "

قاطعها محمداني :

يا امرأة لا يقدر على طلوع العالية غيري ، وابن الأكابر حسن لا يرسل رسوله لي كي أطلع العالية إلا إذا زاره ضيف عالي المقام .

جَعَرت العمياء :

أقول .. العالية هذه المرة لن تعرفك .. هذه المرة لن تعرفك العالية يا محمداني "

تقــرفص الأقــرع تحت العالية الشامخة القامة ، يمص قالب سكر ويبتسم في وجه محمداني ببلاهة ، بينما وقف محمداني ينظر من أسفل العالية المنتصبة كبنات الجن :

" تلــك هي المرة الأولى التي يرى فيها العلياء شديدة العلو ملساء الساق ". شعر بنفضة عرق الخوف عند الرجال الكامن تحت الصدغ . قال :

لــن أخاف العالية .. تلك المرأة هي التي زرعت في نفسي الخوف مــن العالــية .. لــن تخيفني امرأة .. وها أنا أرى الريح أخف من يد العاشق تعبث بجريد العالية في حنو .. ما رجعت العمياء بالغيب مرة إلا وصــدقت لكن يكذب المنجمون وشد محمداني الحبل على جذعه وشده علــى جــذع العالية ، وثناه وثلثه ، وحدث نفسه " لن تجعلني الضريرة

التـــي أعرفها وتعرفني أخاف .. إنها الريح الهوجاء فكت قيودها قادمة من محبسها البعيد .. يا ساق يا ساقي كوني كابن البشر .

هكذا صرخت المعمرة التي خبرت ريح الأزمنة ، ومالت ، ولمت جريدها المجدول تحمي ثمرها الطيب : لن أواجه مواجهة الثور ، ولن أستسلم كبقرة .. مكر الثعالب يغلب القوى الباطش "

وصرخت :

" ويـــا جــذوري .. أنت يا جذوري ... كوني في الأرض أوتاداً ، كوني في الأرض أوتاداً .. وثبتي الريح .. تثبتي الريح " [1].

- وفي قصص الأديب العراقي محمد خضيِّر [2]. تمثل غابات النخيل مـــشهداً خاصـــاً فـــي الـــسرد الدرامي لأعماله ، ففي قصته " إله المـــستنقعات " والتي كتبها عام ١٩٧٦م ، وبدأها بقوله ، بعد أن اســـتعرض المـــستنقع وما يحيط به من أكواخ خالية من الحياة ، وبطل قصته " إدريس ابن مؤذن المسجد ، وما سَبَّبَهُ البعوض من أمـــراض ، ومعانـــاة الأهل من آثار المستنقع السيئة ، والموروث

---

(١) (مرجع سابق)

(٢) (ولد بمدينة البصرة عام ١٩٤٢ م ، وأصر على البقاء بها حتى في فترات القصف اليومـــي الذي تعرضت له المدينة خلال الحرب العراقية الإيرانية ، رغم الهجرة الجماعـــية لسكانها ، صدر له عدد من المجموعات القصصية : المملكة السوداء ١٩٧٢ م ، في درجة ٤٥ مئوي ١٩٧٨م ، رؤيا خريف عام ١٩٩٥ وغيرهن) .

الشعبي في علاج الملاريا : " أمضي ليلة كاملة مع قطعة الرصاص حول رقبته ، ليلة في العزلة ، زارته خلالها الملاريا ثلاث زورات أو أربع ، كان يرى بعد خفوت كل نوبة ذلك الشئ الذي يشبه طائرة أو بعوضة جبارة ، جاثماً في فناء الجامع " إلى أن يصل إلى وصف موقع المستنقع : " كان المستنقع محصوراً بين أشجار النخيل من جهتي الغرب والجنوب ، ومياهه الرائقة تتصل في عدة أماكن بالمياة العكرة للنهر من جهة الشرق [٣]. وفي قصته " منزل النساء " لا يخلو السرد القصصي من التجوال في غابات النخيل المظلمة : " ثم كنت أغيب في مسيرات مشعة بين كومات تراب عبر الأنهر حتى أتلاشى تماماً ولا أتعرف على روحي التي اندمجت مع الأبخرة المتصاعدة من الشقوق المظلمة في أجراف الأنهر المظلمة بأوراق الأشجار الكثيفة التي يرافق حفيفها روحي في تجوالها خلال الليل في غابات النخيل المظلمة ، وهي تلتقي بالضفادع المتناسلة " وفي مقاطع أخرى يشير إلى " أهازيج جامعي التمر ، و " حيات النخيل " وكلها إشارات موظفة فنياً داخل النص تنبئ عن اهتمام القاص بشجرة النخيل ، وما تمثله في نفسه من قدرة بالغة على الصمود والبقاء وإهداء الخير للجميع .

وينقلنا النص الأدبي " اقتراب " للأديب الكبير ط بهاء طاهر " إلى رؤية أكثر عمقاً وصفاءً وتركيزاً من سابقتها ، بقوله : " صعدنا الكثبان

---

(٣) (كتاب في جريدة ، ج الأهرام ٣ / ٣ ١٩٩٩م).

فبدت قمم النخيل والسعف الأخضر المتعانق . وكلما ارتفعنا أخذت الأطراف العليا للجذوع السامقة السمراء تستطيل في اتجاه الأرض إلى أن تبسط الأرض أمام عيوننا فجأة ، فتبدو غابة النخيل وكأن جذوعها تميل على بعض وتتقاطع مع بعض ويرسم سعفها في الأفق أقواساً خضراء متشققة ومتعاقبة تتوهج أطرافها المذهبة بنور الشمس بنور الشمس . وكلما اقتربنا من غابة النخيل بدأت أشجارها المتفرقة تتضح وتتميز . لم تعد تتقاطع وتتشابك ، بل بدت على حقيقتها ، نخلات متفرقة على مسافات شبه منتظمة ، بهوا من الأعمدة الليفية الخشبية تلقى في الهجير ظلا رطبا من سعفها العالي الذي يحتضن سباطات البلح الأخضر الجديد وقد احمرت أطرافه فبدت كحلمات صغيرة متجاورة " [1].

لقد وظف أستاذنا بهاء طاهر الألفاظ النخيلية : " قمم النخيل ، السعف ، الجذوع ، غابة النخيل ، الأعمدة الليفية ، ظل السعف ، سباطات البلح بدرجات نوه وألوانه " بمقدرة فائقة لخدمة النص الأدبي فجاء ممتعاً بفكرة وبرؤيته ، ولغته الآثرة

وينقل إلينا أستاذنا " عزت القمحاوي " رؤية الأديب " خيري شلبي"، الذي اعتبره فارساً آخر من أهل القرى ، وهو يحدثه عن النخلة :" رايت النخلة عندما تطل مترددة ، وترسل شعاع ضوء لا تلبث أن نلمسه ، كبدوية تبرق عينيها من تحت البرقع ، سألته عن ذلك فأجاب : علاقتي

---

(١) (مرجع سابق) .

حمسيمة بالنخلة ، وهي عندي رمز العطاء والكبرياء بالدرجة الأولى ، مازلـت أحمل في صدري مشهد شموخ النخلة في وجهنا نحن الصغار عندما نقذفها بالطوب طوباً وإنما تنزل علينا البلح ، هذا المشهد أتذكره دائمـاً كلمـا تكررت التطاول على الكبار .والنخلة عندي هي الحياة ، فحيـثما تجد نخلة لابد أن يظهر بعد قليل البشر ، ولهذا الحب الخاص تتأبـى عليا النخلة فتعاندني ، عندي رواية كتبتها منذ عشرون عاماً (٢) ولـم تنـشر إسمها " نخل كحكاية " وكحكاية هذه هي حارسة النخل لا صاحبته ، لم أرض عن الرواية فحجبتها وسأعيد كتابتها هذه الأيام .

ونخل كحكاية له مع خيري شلبي ألف حكاية وحكاية ، فهو يظهر فـي روايته الأخرى " بغلة العرش " ، وهو قائم هناك في قصة رائعة بعنوان " موال من الزمن القديم " ، صدرت مع رواية " السنيورة "

ويطلعـنا خيـري شلبي على حكاية " نخل كحكاية " فيقول : " هو عـبارة عـن قطيع من النخل على مساحة عشرة أفدنة كان ملكاً لرجل يدعى المعلم عبده وهو من أوائل العرب الذين استوطنوا قريتنا " شباس عمير " هذا القطيع من النخل كان شيئاً هاماً في حياة قريتنا ، كل القرية تعـيش علـيه ، فهـو موردها الاقتصادي الأهم وكان موسم قطع البلح مهـرجاناً للـبهجة ، وتصف الرواية هذا المهرجان حيث يجئ التجار لشراء البلح وهو على النخل ، ويوم القطع يأتي كل سكان القرية للعمل.

---

(٢) (وقت الحديث ١٩٩٤ م) .

وقامت على هذا البلح مجموعة من الصناعات منها تجفيف البلح وتحويله إلى تمر ، وعجنه وتحويله إلى عجوة ومنها صناعة عرق البلح، وتجد أشكالاً وألواناً من الطعام المصنوع من البلح وتمضي الحكاية بنخل كحكاية حين تقرر الحكومة إزالته لبناء وحدة مجمعة للقرية فيثور الناس وتحدث مواجهات مات فيها من مات حتى رضيت الحكومة بحل وسط : حيث أبقت على نصف النخل ثم جاءت الثورة وأممت هذا النخل ، ومنذ هذا التاريخ تحول إلى أعمدة جرداء تشبه أعمدة النور ولكن بلا نور أو بلح !! .. (١).

وحتى إن كانت " حكاية " رواها لنا الأستاذ / خيري شلبي فعلينا أن نتأمل جيداً : ماذا فعلت عشرة أفدنة بنخيلها في قرية كبيرة " كشباس عمير ؟ لقد ازدهرت الحياة فيها فوجدت الأفواه الجائعة ما يسد رمقها ، ووجدت الأيدي العاملة مجالات متعددة للعمل والإنتاج ، ويكفي أن نشير إلى محصولاتها الثانوية كالجذوع والقحوف والليف والسباطة والجريد والسعف وما تمدنا به من منتجات حياتية ، وتطورت سبل صناعاتها حتى أنهم في الوادي الجديد الآن ينتجون منها : " أرابسك النخيل " ، وهو ما يدفعنا إلى المطالبة بنشر زراعة النخيل في كل مكان في أرض مصر ، ونشر غاباته حول المدن الكبرى وفي قلب صحراءنا الخالية لتكون عامل جذب للبشر على إعمارها .

---

(١) (المرجع السابق) .

- ولا يمكـــن أن ننسى " ابن دمياط " وصاحب العطاءات العديدة في مجـــالات القصة وأدب الرحلات والترجمات الكاتب الراحل / عبد الفــتاح الجمل ، الذي تفتحت عيناه على رؤية النخيل على شاطئ النيل بدمياط ، وفي تجمعاته الكثيفة من السنانية حتى رأس البر ، وعلـــى طـــول الطريق الشرقي من المنصورة إلى دمياط: شجرة بجوار شجرة في تنسيق بديع خلب لبه ، فبادلها حب بحب ، وعشقاً بعشق ، فقدم أحد أعماله الخالدة " إزرع النخلة في صدري " ذلك النص البديع من كتابه : " آمون وطواحين الصمت " فماذا يقول " الجمـــل " رمـــز الـــصبر والتحمل وسفينة الصحراء عن عروس الأشجار وربيبة الصحراء ؟ :

" نحـــن في أرض النخيل ، ضيوف على شجرة الفردوس والجنة ، عـــند الفراعنة ، شجرة المعرفة " الواردة في سفر التكوين ، التي نقشها الملك سليمان على جدران هيكله ، وحفرها الإغريق على نقدهم .

الـــشجرة التـــي لجـــأت إليها مريم البتول في مخاضها ، وهزتها فأسقطت إليها رطباً ، الشجرة التي صنع العرب من ثمرها معبوداً أقاموه فـــي الكعبة وكلما أتى المحصول الجديد أكلوا معبودهم القديم . الشجرة التـــي دفـــع كل من ثبت أنه اقتلعها ، ربع كيلو فضة ، حسب شريعة " حمورابـــي " النخلة المقدسة المباركة ، رمز الخير والخصب والشفاعة نحن في عالم الأقزام ، في أسفار " جليفر " :

" البلح حلو .. بس النخل عالي به " في سيوه لا تضرب هذا المثل، لا تجعلـــه يجري على لسانك أبداً ، لأنه يبعث على السخرية ، بل على الغـضب ، كأنك تقول للأعور : يا مفنجل العينين ، ولعقلة الأصبع يا فارغ الطول ، يا مارد .

الـنخلة هـنا ليست كنخلنا طويلة سامقة ، ليس لها هنا حزام ومشنة وطـلاع تهزه الريح ، طعامها بالملح ، الملح المفرط كطعام أهل الصعيد، أمـا عملهـا فهـو تحويل الملح المفرط إلى فرط حلاوة . النخلة السيوية كالمـرأة البلدية ذات الأثداء التي تشبه عذاق النخيل ، في كل عذق يتعلق طفل ، وحولها عشرات الأبناء ، وهذه من قبيلة " العزاوي " الشيطانية التي تنبت في كل مكان ، وكأن الأرض هنا تنبته بالمنظور ومن الذاكرة.

أمـا النخـيل الصعيدي ابن الذوات الذي نشأ في العز ، فقد صبت الـنواة الطـول الكـامن فـيها في العرض ، فخرجت النخلة مدكوكة مدَملكَـه.

هذه النخلة " القزم " هي المواطن رقم ١ في سيوة .

" ساقي " النخل " له سبعون حسنة "

لمـاذا لا يقلمون النخل هنا ؟ ،إذا قلم ، فللعزاوي وحده ، وبالحرق وليس بالمنجل .

قال المهندس / عبد الله :

أول ما قَدِمْتُ ، أردت بالإقناع أن أُقَلِّمَ النخيل وأرشه ، فلم يستجب

لي أحد ، فرششت بالقوة لأحصل على الإقناع ، ولكن الأهالي بَلّطُوا في الخــط ، ولم أحصل منهم لا على التكاليف ولا على الإقناع .. وضعت عيني على جزء من نخلات تملكها الهيئة ، قلمتها ورششت كتجربة أمام كـــل عين من جودة المحصول وكميته ، وكانت النتيجة ، بالفعل تغييراً جوهرياً في نوعية البلح وفي كميته .

كانت صفعة ، قلما رانِ بالكسوف والخجل ، العلم وقف في داخلي مطـــرقاً يفكر وهو يهرش رأسه ، ناظراً مقلباً في معاييره ، عنصر ولا شك غاب عن التجربة .. هذا العلم المحفوظ ، والتجربة الجاهزة !

قال محمد عمر : الخـــوص هـــنا الذي يترك بلا تقليم ستر وغطا لـــلأرض حول النخلة ، لأنه يمنع البخر ، أي يمنع زيادة الملوحة حول النخلة . عناصِر التجربة إذن ناقصة عنصراً .. طبقت كالتسميع بلا نظر إلى الواقع الاجتماعي للنخل .

" عنده المال ، والنخل حمال " والبلح غذاء وَعُمْلَه .

الـــبواب - وهـــو المـــنادى الذي يدعو الناس بالكشف للأفراح - يتقاضى أجره حتى اليوم في الموسم بلحاً ، أربعة صاعات في الموسم ، والصاع ٥ر ٢ كجم .

وفـــي الماضي القريب - والسيويون لم يعرفوا العملة إلا في العقد الرابع من القرن الماضي [1] كانوا يتاجرون مع القوافل الوافدة بالتبادل

---

(١) (يقـــصد المـــبدع عبد الفتاح الجمل - القرن التاسع عشر حيث ان نصه الذي بين أيدينا كتب في القرن العشرين . المؤلف) .

السلعي ، أما فيما بينهم ، فالبلح يكبسونه في زنابيل صغيرة ، يسع الواحد منها صاعاً من البلح الصعيدي ، يسمونه بلغتهم " تيقوادس " وكانوا يكسدون التيقوداسات كما نكنز النقود .

أما البلح العزاوي فسقطه علف للحمار ، أو يخمر ليصير عرقياً وَجَيِّدَهُ يكبس في تيقوداسات أيضاً أما التيقوداس الصعيدي فهو العملة الذهبية ، والتيقوداس العزاوي فهو العملة الفضية (١).

ويمضي أديبا الراحل / عبد الفتاح الجمل – رحمه الله وجعل الجنة مثواه – في نصه الفريد متناولاً العديد من الأمثال الشعبية المرتبطة بالبيئة النخيلية ، شارحاً في ثناياها إطلالة كل جنوع النخيل واستخداماتها كعروق للأسقف ودعامات للحوائط ، وأعمدة للمنازل ، والعديد من الاستعمالات الأخرى للكثير من أجزائه :

" والسعف الأبيض الخارج في التو من قلب النخلة الأبيض الناصع النابت في التو من الجمار ، واسمه في العراق " اللب ، " ونسميه " القلب ينزع من أمه بالصراخ / ليجفف وينقع في الماء ، ثم يخرج أطباقاً ومراجين وسلالا وحصرا رقيقة ، وسفرا دائرية أنيقة للطعام . وحينما تخطو الخضرة ، حينما يشرب القلب الأبيض بطراطيش الخضرة ، يفقد بعض براءته وتلقائيته ، ليخرج من بين الأيدي الخبيرة حصراً وحفافاً من الدرجة الأولة غير الممتازة ، وحبالاً خاصة .

---

(١) مرجع سابق ص

والمــرحلة الثالثة : الخوص الأخضر للمقاطف والأغبطة والحبال والــسلال ، والبرش الذي يفرش أرض الفقير وسقف الغنى ، والكرينة للتنجيد .

والخوص الجاف مع الليف يدفئ البيت من لدغة الشتاء القارس.

والجريد للأقفاص والأسِرَّة والكراسي والمناضد وشيش النوافذ .

الجــريد الــذي يملأ عالم الأطفال بالبهجة : يركب الطفل جريدته كالخَيَّال وهو يشد اللجام ، ويصنع عظام الطائرة الورقية التي تحلق به في سماء بلده .

والجــريد الذي يملأ عالم الأطفال بالرعب والألم ، الجريدة الجافة كالصخرة تُشَقّ إلى نصفها مقرعة ، تقرع الصبي الذي لم يحفظ لوحه .

والعراجين مكانس الفقراء و " العكس " وهو ذراع العنق المنحنى ، ينــصب فوق عين الأطفال مع التل دريئة من الذباب ، ويتخذه الأطفال بعــد شرخه إلى النصف طقطاقه ، وقوسا يرمي به النشاب [٢]. وينهي أديبنا الراحل عبد الفتاح الجمل نصه الأدبي البديع بقوله :

" لا شــئ في النخلة يذهب هَدَرًا ، النخلة لا تعرف الهباء ، النخلة التــي تجعــل من خدها للإنسان مداساً ، ومن الجمار له طعاماً وشراباً سائغاً ومشبعاً ،يطلق روحه كالحمامات من أبراجها ، ومن جسدها مأوى

---

(٢) (المرجع السابق) .

وملبساً ومعبراً ووقوداً وناراً ودفئاً ، ومن أطرافها أدوات ، مفردات توشى بفيئ الزخارف من يومه المزغلل بالضوء الباهر ، ومن سعفها حمى وطقوساً وظلالاً وغناء وحجاباً واقياً ورجما بالغيب واستشفافاً للمخبأ

ألا أيهذا السامري : إزرع النخلة في صدري [1].

نعم : يا رحلنا الكريم : تستحق شجرة النخيل أن تزرع في صدورنا جميعاً : حباً ووفاء وعطاء لا ينقطع مدده ، وأن نترجم هذا الحب إلى عمل دؤوب بنشرها بخيراتها في بقاع أراضينا كافة ، سائلين المولى القدير أن يجعلنا جميعاً ممن قال فيهم رسول الله ﷺ " سبع يجري للعبد أجرهم بعد موته وهو في قبره :

من علم علما أو أكرى نهراً ، أو حفر بئراً ، أو غرس نخلاً ، أو بنى مسجداً ، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته ، أو ورثه مصحفا " صدق رسول الله ﷺ .

الأديبات العربيات والنخيل

لم يخلو عطاء الأديبات العربيات في أعمالهن العديدة عن استلهام معطيات شجرة النخيل في أعمالهن :

- ففي قصة " النشيد " للأديبة الإماراتية : سلمى مطر سيف " تبرز

---

(١) (المرجع السابق) .

رائحة النخلة من ثنايا العمل الإبداعي ، مشيرة إلى معلم هام من عطاءات النخلة :

بقيت لوحدها في خيمة من الجريد ، وكنت أجلب لها طعاما وولدت بعد حين " [٢].

فالجريد هنا : يمثل البيت والسكن ، وصدق الارتباط بين الشخصية الرئيسية في القصة وعنصر هام من عناصر عطاء شجرة النخيل ، واستغلاله اقتصادياً في تأسيس البيت والسكن دليل ارتباط بين الإنسان وبيئته ، واستثمار ما منحته الطبيعة له في تهيئة المأوى ليكون محلاً للميلاد والحياة حتى تتواصل الأجيال

- ومن بين إبداعات المرأة العربية تبرز المجموعة القصصية " رأيت النخيل " للكاتبة المصرية " رضوى عاشور " والتى صدرت عام ١٩٨٩ م لتؤكد لنا أن شجرة النخيل لم تغب عن فكر الأديبات العربيات على اتساع الوطن والأمة ، مقدمة العديد من الدلالات لعل أبرزها : أن النخيل وعطاءاته وعلاقتهما بالفكر الإنسانى : يتساوى فى ذاكرة المرأة والرجل ، إن لم يتفوق عليها بعنصر الأمومة الذى يربط بينهما .
- أما الأديبة المصرية المبدعة " اعتدال عثمان " فتزخر قصتها "

---

(٢) (مختارات من القصص النسائية العربية ، ملحق ج الأهرام : كتاب في جريدة ، ١ / ٧/ ١٩٩٩م) .

موال شوق " . بالجو الريفي ، ويتناول السرد الفني فيها العديد من الأعمال الزراعية : " عزيق الأرض ، أيام البذار ، موسم الجنى " وما يرتبط بهم مثل : " كيس التقاوى ، حِملْ البرسيم ، التقاط الحبِ " ، وكذا بعض الأعمال المنزلية الريفية: " طَشْ السمن البلدى " . ولا يخلو العمل من الإشارة إلى الأزياء الريفية ومستلزماتها : " تربيعه بِأَوَيةْ ،مَقْطَعْ قماش قطن ، زجاجة مسك صغيرة " .

" تفتح الصرة فترين العجب وكأنك أمام صندوق الدنيا : التُلّي المِقَصَّبْ ، المفضض ، والمِذَهَّبْ ، والأطلسي الزاهي بلون الزبرجد ، أتواب الحرير الهندي والكشمير ، حقَاقِ المكاحل ، البرق والتِرتِرْ ، قطع الصابون النابلسي ، زيت الزيتون ، الطبق النحاسي القديم – التمر حنة ، زهر البرتقال ، وكذا العديد من الأشجار الريفية : "

النبت الشيطاني ، وتنقية الحقول منه ، شجرة الجميز " وكل هذا عندما يمتزج في عمل أدبي تنهل منه أرواحنا : عبق الريف وخيراته ، هدوءه واخضراره ، بل إنها عندما أضافت إحدى المقاطع الغنائية في النص الروائي يتناول التمر والنخيل :

التمر طاب ياعين وهو في العالي

طلب القُطّاف يا عين وهو في العالي

يا مين يقول للجميل النخل ده عالي

وأنا جملي يا عين حداه جرح تحت الحِملْ مِدّاري

لا الجمل بيقول آه ولا الجَمَّال بيه داري .

وتبرز " شوق " بطلة الموال : كنموذج للفتاة الأصيلة التي تتساوى قامتها مع " شجرة النخيل " في السمو والاستطالة والأصالة والزهد بعطاءاتها ، وجذورها المغروسة في تربة العطاء .

- أما الأديبة والكاتبة السعودية " رقية حمود الشبيب " فتبدع في تناولها الفني للنخلة ، والربط بينها وبين الأنثى والوطن في قصتها القصيرة " حينما تصبح الأنثى وطناً " حين تقول وهي تحادثه :

" في أقصى جبينك ضحكة ملغومه .

خارطة الوطن في وجهك ، عليها إشارات ، ثمة شئ يتردد بين حروفك ويسكت ويتلجلج .

قلت مرة لي : إنَّكَ تعويذتي .

ولم أشرك بك أنا .. رأيت أنا أن أخصف عليك من أوراقي ، وتصورت أني " نخلة" تختبئ بي ، حتى لا تتكشف خارطة الوطن في وجهك .

ولم يكن حولي بئر لأسقي ظمأك ، وكنت في عُزلة محكمة " وتمضي الكاتبة بأسلوب فني بديع ، ومداخلات كلامية ، بإحساس أنثوي راق :

" أبحثُ بك عن بيت يختلف عن كل البيوت .. بيت يشبه خارطة

الوطن في زاوية وجهك .

لـــيس للقلب نفوذ إلا التوهم بنخلة وارفة ، لها طلع نضيد ، باسقة ظليلة ، ولا يتساقط رطبها قبل أن تهزه " . وتختتم قصتها بقولها :

" حـــين تكون خارطة الوطن في الملامح ، لا يمكن أن يأتي الحب وطنا أستنشق به رائحة قادمة من بيادر وكروم وأزاهير مروقه ، ولبن وعـــسل مصفى رحيقه هذا الوطن ثم لا تأتي بعده أشياء أخرى : تبقى النخلة بي .. جذعها ثابت ، وفرعها يعانق عنان السماء . ثم ماذا ؟ ظل الـــنخلة أو نخلة وظل . وطن ولا تداخل بين الوطن والحلم . وكان حلم لإمرأة نخلة لا تشبه النساء " [1].



---

(١) المجلة العربية ، العدد ٢٣٥، شعبان ١٤١٧ هـ ، ديسمبر ١٩٩٦ م ، ص١١٥).

" الخاتمة "

وإذا كنا قد بدأنا رسالتنا بالحديث عن الأشجار ، ثم نالت شجرة النخيل قسطا وافرا منه ، فلا بد أن نلفت الأنظار إلى أهمية الحديث في ختام هذه الرسالة عن :

" استخدام شجرة النخيل في التنمية العمرانية الحضارية الخضراء "

خاصة بعدما أدرك البشر :

- مخاطر حلقات الإفساد البيئي المتتالية التي ارتكبها الإنسان في حق نفسه وفيمن حوله منذ بدأ الثورة الصناعية وما أدت إليه من آثار سلبية على الصحة العامة ، نتيجة انبعاث الغازات والأدخنة والأبخرة الملوثة للهواء ، بل والجور الزائد في إزالة الغابات المحلية والاستوائية في تجاهل تام لأهمية دور الأشجار في تنقية الهواء ، والحفاظ على المعدلات الحرارية الجوية ، فضلا عن ازدياد حجم المخلفات الذرية ، وازدياد معدلات إنتاج الطاقة ، وكل ذلك أدى إلى ظهور الاحتباس الحرارى ، وما تحدثه من تقلبات حرارية حادة فانتشرت الأمراض التنفسية القاتلة كالسل ونقص المناعة (AIDS) ، والالتهاب الكبدى بأنواعه وغيرهم ، مع ارتفاع معدلاتهم العالمية ، فضلاً ؛ عن التدهور البيئى الشديد وتأثيراته السلبية على البشر والمخلوقات ، وهو ما أدركته الحكومات ، والهيئات والمؤسسات الدولية متأخرا" فى نهايات

القرن العشرين ، فعقدت العديد من المؤتمرات ، ووضعت الخطط لمــواجهة هذا الغول الصامت ، الذى يدمر الحياة والعمران ومن بين تلك الخطط :

- ضـــرورة نـــشر الخــضرة فـــى المحتوى البيئي ، والحفاظ على الفـــراغات الزراعية بترعها وجداولها ، وآبارها ، وأشجارها .. الـــخ، لـــتكون فراغات طبيعية تتحقق فيها الحرية الكاملة لحركة الهـــواء والتي تساعد على الوصول إلى الدرجات المثلى للحرارة والـــرطوبة ، فـــضلا عـــن نقاء الهواء ، فتكون بذلك مصافى أو مرشحات طبيعية بيئية يتحقق بفضلها النقاء المطلوب .
- ويلفت أنظارنا الأستاذ الدكتور /على مهران هشام الخبير في مجال التخطيط والتصميم البيئي والعمراني إلى جانب آخر قدر على كبير مـــن الأهمـــية وهـــو : " استخدام الأشجار والنباتات والمسطحات الخـــضراء في عملية تظليل المباني والمنشآت بالأشجار والنباتات والتـــي تعمل على تخفيض درجات الحرارة في الداخل والخارج ، وبكفـــاءة أعلى من التغطية باستخدام مواد صناعية ، فقد وجد أن استخدام الأشجار والنباتات والشجيرات المنسقة والمتسلقة يخفض كلفـــة تكيـــيف وتبريد الهواء بمقدار ١٥ : ٣٥ % كما أن تظليل الـــنوافذ وفتحات المنشآت بالنباتات والشجيرات يوفر ١٠ % من التكلفة المستخدمة في التبريد .

ويمكن استخدام الأشجار المستديمة الخضرة لتقليل البرودة والرياح البـاردة في التدفئة ، إضافة إلى ما للأشجار والمسطحات الخضراء من تأثيـر نفـسي وجمالي مميز على الإنسان ، وتخفيض معدلات التلوث للمكان وتنقية الهواء ، وجعل البيئة أكثر صحة ونظافة ، أن كيلو واحدا مـن الوزن الجاف لورق الأشجار له القدرة على امتصاص الرصاص بمعـدل ٣٠ : ٤٠ مليجرام ، كما أن شجرة واحدة بالغة لها القدرة على امتصاص الرصاص المنبعث من ١٢٠ كجم من البنزين المحترق " [١].

- وعـن أهمية الأحزمة الخضراء ، والتجمعات الشجرية (الغابات) حـول المـدن يبين سيادته : " إن حزاما أخضر بعرض ٣٠ متر يمكن أن يمتص ملوثات أكسيد الكربون بنسبة ٦٠ % كما أن كيلو متراً مربعاً من الأشجار يمتص يومياً من ١٢: ١٥ كيلو جراماً من أكسيد الكربون ، كما وجد أن أعداد البكتريا تقل بحوالي ٢٠٠ مرة فـي المـناطق التي تنتشر فيها النباتات والمسطحات الخضراء ، مقارنـة بالمـدن المكـتظة بالطرق الأسفلتية والمباني الخرسانية الصماء " [٢].

- ومـن كـل مـا تقدم يمكن لشجرة النخيل – إلى جانب الأشجار والـشجيرات الأخـرى – أن تشارك كافة الأشجار لتحقيق التنمية

---

(١) (د/ علـي مهـران هشام ، العمارة الخضراء والتنمية العمرانية المستدامة ، م عالم الفكر، المجلد ٣٤، العدد ٤، ابريل – يونيو ٢٠٠٦م ، ص ٢١٥ وما بعدها) .

(٢) (المرجع السابق) .

العمرانية الحضارية الخضراء لمميزاتها التالية :

- أنهـا أحد أهم الأشجار الظليلة الملائمة للبيئة المرتفعة الحرارة ، وزراعـتها ضمن التنسيق العام لتجميل الطرق الداخلية والميادين والمتنزهات يشجع حركة المشاة ، ويهيئ جواً ظليلاً مريحا لرواد الحدائـق ، خاصـة إذا زرعـت في صفوف مستقيمة فردية ، أو مزدوجة تبادلية (رجل غراب) .
- استطالة جذوعها واستقامتها ، وارتفاعاتها العالية وعدم تفرعها لا يعـوق أسلاك الكهرباء الممتدة بين أعمدة الإنارة ولا يشكل خطر داهما عليها .
- إن لم تتوفر لها مقومات التربية والرعاية والعناية ومنها الري فإنها لا تتأثر كثيراً ، وتظل صامدة خضراء ، وليس معنى ذلك إهمالها وعـدم العـناية بها بل يجب توفير العمالة المدربة على رعايتها وتهذيـبها واسـتغلال مخلفاتها صناعياً وتجارياً على الوجه الذي يحقق أقصى استفاده من وجودها
- تتـسم بقدرتها على توفير أسس السلامة والأمان ، وانعدام إعاقتها للـسيولة المرورية خاصة في الانحناءات والالتواءات داخل المدن وخارجهـا فجذورها لا تشكل خطرا على بنية الطرق ، وجذوعها بقوتها وصلابتها قادرة على تحمل اصطدام السيارات بها ، بل إنها سـاعدت كثيـراً في إنقاذ ركابها من الغرق في المجاري المائية الملاصقة للطرق .

شجرة النخيل : شجرة نظيفة تحافظ على نظافة بيئتها ، لعدم تساقط أوراقهــا أو مخلفاتها إلا بفعل الإنسان عندما يهذبها ليزيل ما تَهدّلَ أو جف من سعفها .

- وفــرة الكثيــر من أنواعها التي تثمر في ارتفاع أقل من مترين ، وهــو ما يمكن المارين بها ، والمستظلين بظلها من تناول ثمارها في سهولة ويسر نتيجة تدلي عراجينها المثقلة بالثمار .

❁ ❁ ❁ ❁

ولكل ذلك :

نحبها .. ونعشقها .. فهي ذات كيميائية

خاصة وفريدة ، ويكفى أنها عاشت – وستظل–

في عاطفتنا .. وتفكيرنا .. وخيالنا .. وتصوراتنا

وألفاظ تعبيراتنا .. وشغاف قلوبنــا

جميلة الجميلات .. ورشيقة الرشيقــات

قدَّمنا لها صبابتنا :

فلعلها تروي الأفئدة .. وتضــيء السبيل :

" *المحب الوفي* "

عبد المقصود السعيد عبد المقصود

" مراجع البحث "

أ – كتب وموسوعات :

١- المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ط١٩٧٧م .

٢- تفسير القرطبي ، ط دار الغد العربي ، القاهرة .

٣- د/ حمزة النشرتي وآخرين ، سلسلة القصص القرآني .

٤- قاموس القرآن الكريم : معجم النبات ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، الكويت ، ط٢ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

٥- د/ مختار أبو غالي ، المدينة في الشعر العربي المعاصر ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ذو القعدة ١٤١٥هـ إبريل ١٩٩٥م .

٦- الأستاذ / محمد عبد الغني حسن ، الفلاح في الأدب العربي ، دار القلم ، القاهرة ، أول مارس ١٩٦٥م .

٧- د/ محمود رزق سليم ، النيل في عصر المماليك ، دار القلم ، القاهرة ، مايو ١٩٦٥ م .

٨- د/ على مهران هشام ، العمارة الخضراء والتنمية العمرانية المستدامة ، مجلة عالم الفكر ، المجلد ٣٤ ، العدد ٤ ، إبريل / يونيو ٢٠٠٦ م .

٩- المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، ط ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

١٠-الأستاذ / سليم حسن ، موسوعة مصر القديمة ، القاهرة ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٠م .

١١-د/ محمود رشاد شديد ، د/ محمود هاشم البرقوقى ، أساسيات البساتين ، القاهرة ، ط ١٩٨٣م .

١٢-د/صفوت شاكر مهنا، إنتاج الفاكهة ، القاهرة ، ١٩٨٤م.

١٣-م/ عبد الحميد أحمد حسن ، م/ محمد محسن محمد شعراوى ، مراجعة د/ محمد طلعت قابيل ، الفاكهة ، القاهرة ، ط ١٩٩٠ / ١٩٩١ م .

١٤- أ / أحمد توفيق ، أغنيات الفراق .. تراث الحزن في صعيد مصر ، تصدير أ.د/ أحمد مرسي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة " التراث " القاهرة ، ط ٢٠٠٥ "

١٥-م .ز / شريف فتحي الشرباصي ،إكثار وزراعة نخيل البلح ، وزارة الزراعة ، القاهرة ، ٢٠٠٠م.

١٦-عبد المقصود السعيد عبد المقصود ، أصول الأمن الغذائي في القرآن والسنة ، بحث مقدم إلى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، للنشر في سلسلة " دراسات إسلامية " إن شاء الله.

ب – دوريات :

سلسلة كتاب في جريدة الصادر عن ج الأهرام .

أخبار الأدب ، الصادرة عن أخبار اليوم .

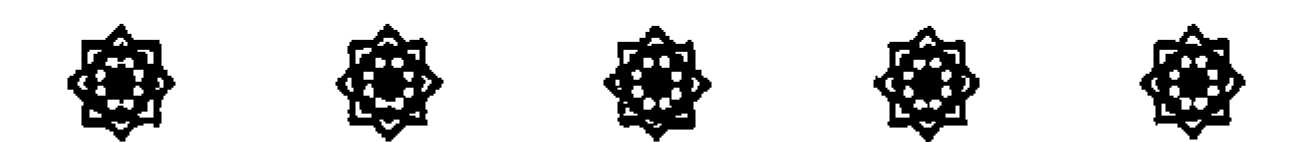
أعداد مجلات : الفيصل ، المجلة العربية ، السعوديتان .

أعداد مجلة : الدوحة القطرية .

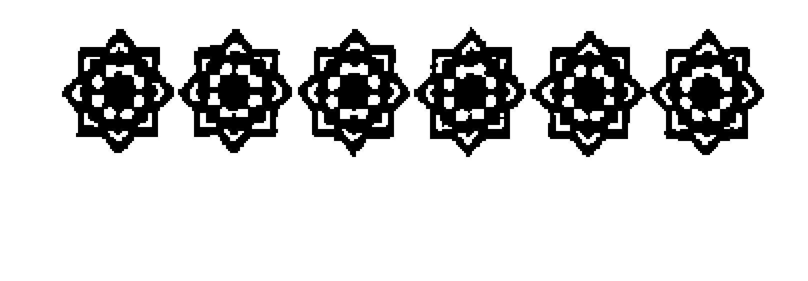
والوارد ذكرهم تفصيلاً بصفحات هذا البحث

مصدر الصور :

- نشرات وزارة الزراعة المصرية .



فهرس المحتويات







عن شجرة النخيل تكريما لها